٣٨

الأدب الإسلامي

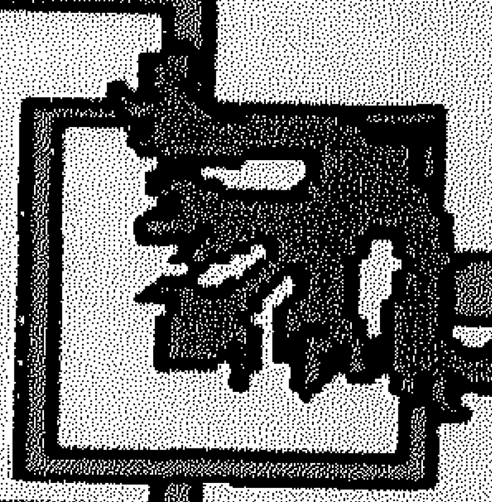
العدد الثامن والثلاثون ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني

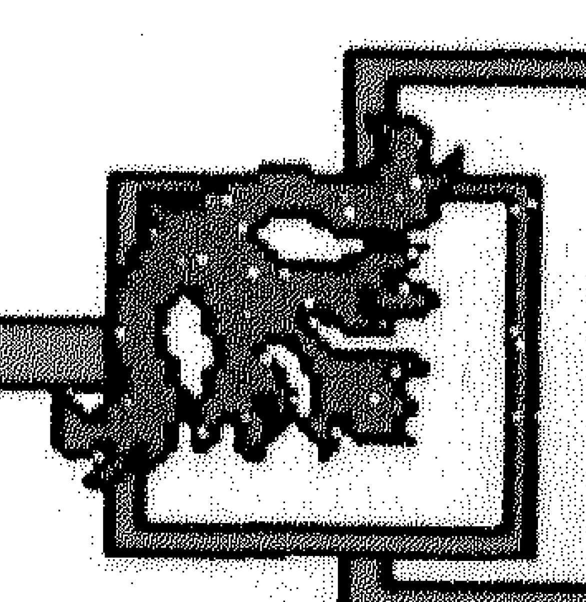
مسابقة القدس الشعرية

التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم

الأعمال المجهولة في مسرح باكثير الاجتماعي



منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية



١- من الشعر الإسلامي الحديث - لشعراء الرابطة.
٢- نظرات في الأدب - أبو الحسن الندوي.
٣- ديوان «رياحين الجنة» عمر بهاء الدين الأميري.
٤- دليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث - د.عبدالباسط بدر.
٥- النص الأدبي للأطفال - د.سعد أبو الرضا.
٦- ديوان «البوسنة والهرسك» - مختارات من شعراء الرابطة.
٧- لن أموت سدى «رواية» - الكاتبة جهاد الرجبي (الرواية الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الرواية.
٨- ديوان « يا إلهي» - محمد التهامي.
٩- يوم الكرة الأرضية «مجموعة قصصية» د.عودة الله القيسي.
١٠- ديوان « مدائن الفجر» د.صابر عبدالدايم.
١١- العائدة «رواية» - سلام أحمد إدريسو «الرواية الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية».
١٢- محكمة الأبرياء « مسرحية شعرية» - د.غازي مختار طليمات.
١٣- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني - د.حلمي القاعود.
١٤- ديوان «حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري» - د.جابر قميحة.
١٥- ديوان «في ظلال الرضا» - أحمد محمود مبارك.
١٦- في النقد التطبيقي - د.عماد الدين خليل.
١٧- الشيخ أبو الحسن الندوي - دراسات وبحوث - مجموعة من الكتاب.
١٨- د. محمد مصطفى هدارة - دراسات وبحوث - مجموعة من الكتاب.
١٩- معسكر الأرامل «رواية مترجمة عن الأفغانية» تأليف مرال معروف، ترجمة د.ماجدة مخلوف.
٢٠- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر - حليمة بنت سويد الحمد.
٢١- قصص من الأدب الإسلامي «القصص الفائزة في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة».
٢٢- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم «دراسة أدبية» محمد رشدي عبيد.

سلسلة أدب الأطفال:

١- غرد يا شبل الإسلام - شعر - محمود مفلح.
٢- قصص من التاريخ الإسلامي - أبو الحسن الندوي.
٣- تغريد البلابل - يحيى الحاج يحيى.
٤- مذكرات فيل مغرور - د. حسين علي محمد.
٥- أشجار الشارع أخواتي - شعر - أحمد فضل شبلول.
٦- أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب - فوزي خضر.
٧- باقة ياسمين « مجموعة قصصية للأطفال من الأدب التركي» تأليف علي نار - ترجمة شمس الدين درمش.

تحت الطبع:

١- ديوان «أقباس» - طاهر محمد العتباني.
٢- الشخصية الإسلامية في الرواية المصرية الحديثة - د . كمال سعد خليفة.
٣- بحوث الملتقى الدولي الأول للأدبيات الإسلاميات.
٤- بحوث ندوة تقريب المفاهيم عن الأدب الإسلامي.
٥- الأعمال الفائزة في مسابقة ترجمة الإبداع من آداب الشعوب الإسلامية (ستة كتب).
٦- الأعمال الفائزة في مسابقة الأدبيات الإسلاميات (١٠ كتب).
٧- الأعمال الفائزة في مسابقة أدب الأطفال التي أجرتها الرابطة، وهي:
- ٣ مجموعات شعرية.
- ٣ مجموعات قصصية.
- ٣ مسرحيات.

معتمدو توزيع مجلة الأدب الإسلامي:
* السعودية :
- جدة الشركة السعودية للتوزيع هاتف ٦٥٣٠٩٠٩ - فاكس ٦٥٢١١٤٦
- الرياض : هاتف ٤٧٧٩٤٤٤ - فاكس ٤٧٧٩٠٣٠٢
- الدمام: هاتف ٨٤١٣٢٣٩ - فاكس ٨٤١٣١٤٨
* الإمارات العربية المتحدة:
- دبي - دار الحكمة - هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ص.ب :٢٠٠٧
* الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف والمطبوعات - هاتف ٤٨٤١٠٤٥ - فاكس ٤٨١٦٨٨٤
* البحرين: المنامة - مؤسسة الأيام للصحافة والتوزيع - هاتف ٧٢٥١١١ - فاكس ٧٢٢٧٦٣
* قطر: الدوحة - مكتبة الإشراق - هاتف وفاكس ٤٤٤٧٨١١
* مصر: القاهرة - دار أخبار اليوم - هاتف ٥٧٨٢٦٠٠ - ٥٧٨٢٥٢٠
* الأردن: عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢
* اليمن : صنعاء - دار القلم للنشر والتوزيع - هاتف ٢٧٢٥٦٣ - فاكس ٢٧٢٥٦٢
* المغرب: الدار البيضاء - الشركة العربية الإفريقية - هاتف ٢٢٤٦٢٠٠ - فاكس ٢٢٤٩٢١٤

عنوان الموقع في الإنترنت: web page adress:www.adabislami.org
العنوان في البريد الإلكتروني: E-mail: info@adabislami.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

أمة التحديات

ليس يغيب عن أذهاننا أن المادة الأولى من نظام رابطة الأدب الإسلامي العالمية تنص على " الالتزام بالبعد عن الصراعات السياسية والحزبية".. ولكننا كتبنا أكثر من مرة أن هذه المادة لا تعني وقوف الرابطة موقفاً سلبياً أمام الأخطار التي تهدد الأمة في وجودها أو مصيرها أو دينها .

وها نحن أولاء نرى أقطار العالم العربي جمعاء ، وقد وُضع كل قطر منها بين المطرقة والسندان . فأما المطرقة فهي دولة إسرائيل ، ومَنْ وراء إسرائيل . وأما طرفا السندان فهو تخلفُ العالم العربي تخلفاً أورث الداء وأمكن الأعداء ، واستفحالُ الخلاف والشقاق على مستوى الدول والشعوب والفرق والأحزاب والمذاهب والجماعات، حتى أصبح بأس الأمة بينها شديداً ، وشغلت بنفسها عن الإعداد لدفع العدوان عنها ، ولرفع مستواها إلى معركة المصير التي لابد أن تخوضها .

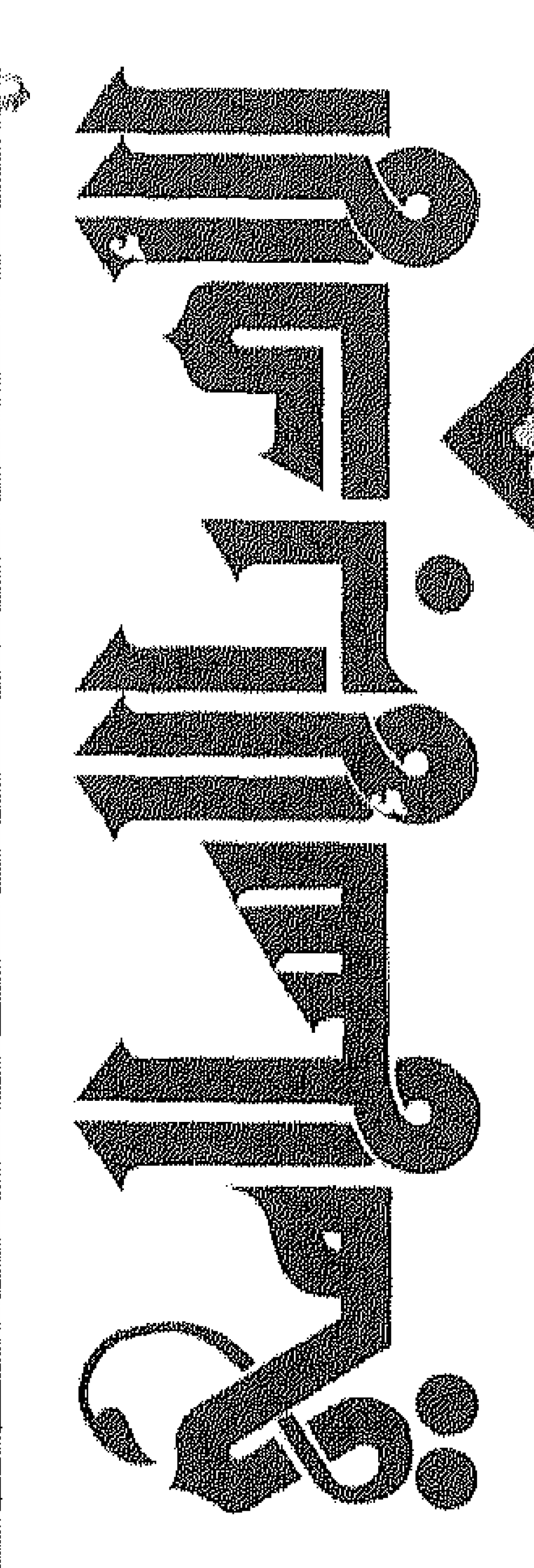
ومن هنا كان على هؤلاء جميعاً أن يضعوا نصب أعينهم ذلك المثل الذي سرى عبر القرون وتناقلته الأجيال : " إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض " . وأن يتفكر الذين هم في غمرة من السهو أو اللغو أو اللهو - وما أكثرهم - في أن الخطر المتربص بهم جميعاً لن ينجو منه أحد من اللاهين أو المتشاغلين أو المتخاصمين ، ممن يظن أن هناك جبلاً سوف يعصمه من الغرق .

ومع ذلك نقول : إن الأمة الإسلامية هي " أمة التحديات " في تاريخها الطويل . وسوف تخرج بإذن الله من تحديات هذا العصر الذي تعيش مآسيه ، عندما تفعل كما فعلت من قبل ، إذ كان المسلمون كلما بلغ السيل الزُبى ، واستحكم اليأس والذل، لجؤوا إلى دينهم الذي هو عصمة أمرهم فأمدّهم بالقدرة على دفع التحدي الذي يجابههم ، مهما كان شأنه ، ومهما تطاول أمده .

ذلك أن الإسلام سوف يحيل فرقتهم وحدة ، وضعفهم قوة ، وتخاذلهم صبراً وجلداً ، فهُمْ هُمُ القوم الذين قال فيهم الفاروق عمر - رضي الله عنه - " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله " ، وهم أولى الناس بالتفكر في قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

رئيس التحرير

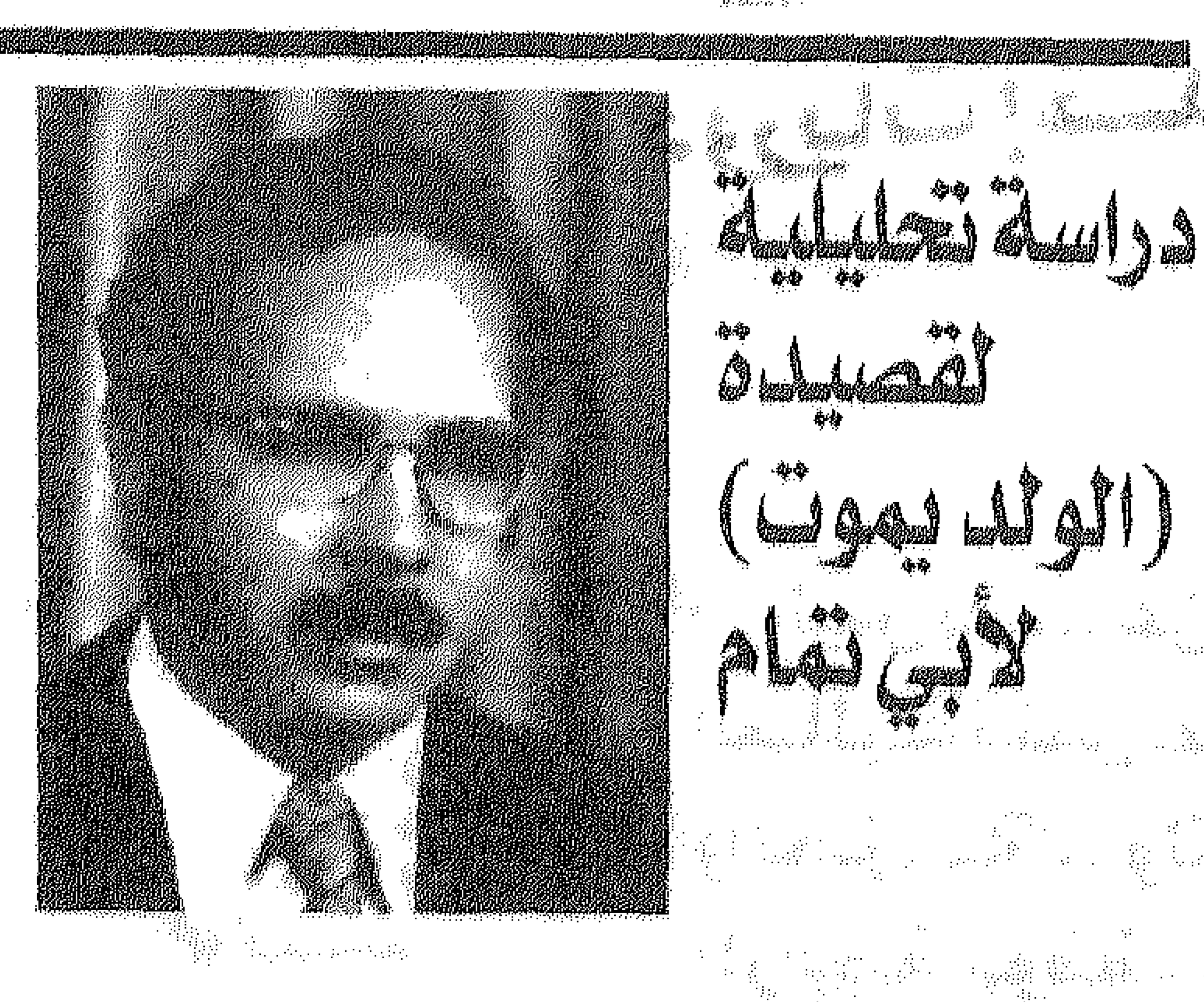




المجلد العاشر
العدد الثامن والثلاثون
١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

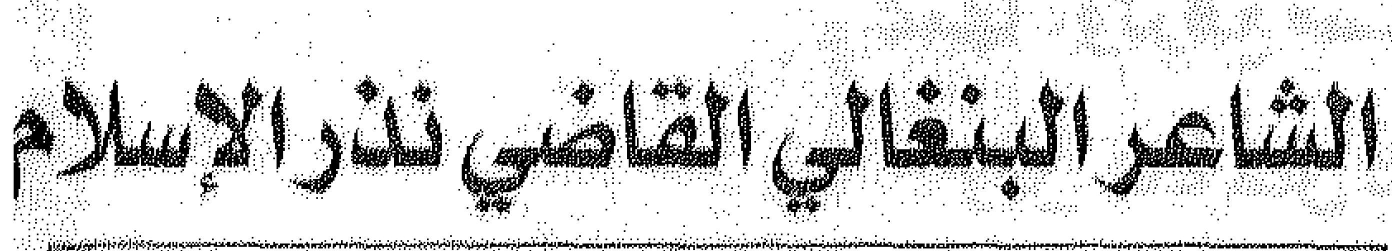
مجلة فصلية
تصدر عن :
رابطة الأدب الإسلامي العالمية

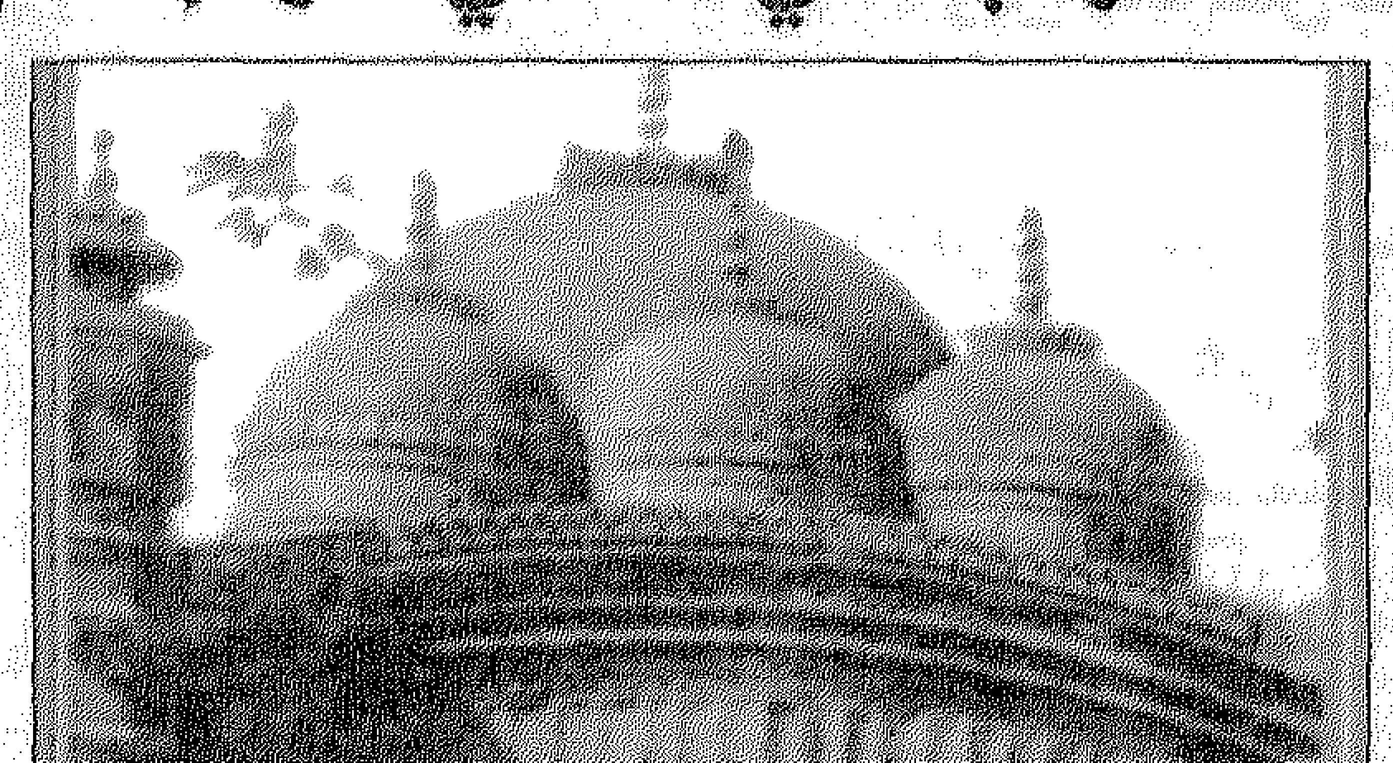
دراسة تحليلية لقصيدة (الولد يموت) لأبي تمام



بنية الملحمة الإسلامية في (تهويمات يقظان)







المراسلات والإعلانات : السعودية - الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨ / فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال٠٥٣٤٧٧٠٩٤

Web page address :www.adabislami.org
E-mail:info@.adabislami.org

في هذا العدد

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره.
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الآلة الكاتبة أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن خمس عشرة صفحة.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقاً علمياً كاملاً.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

الاشتراكات

- للأفراد في البلاد العربية : ما يعادل ١٥ دولاراً - خارج البلاد العربية: ٢٥ دولاراً.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية : ٣٠ دولاراً.

أسعار بيع المجلة

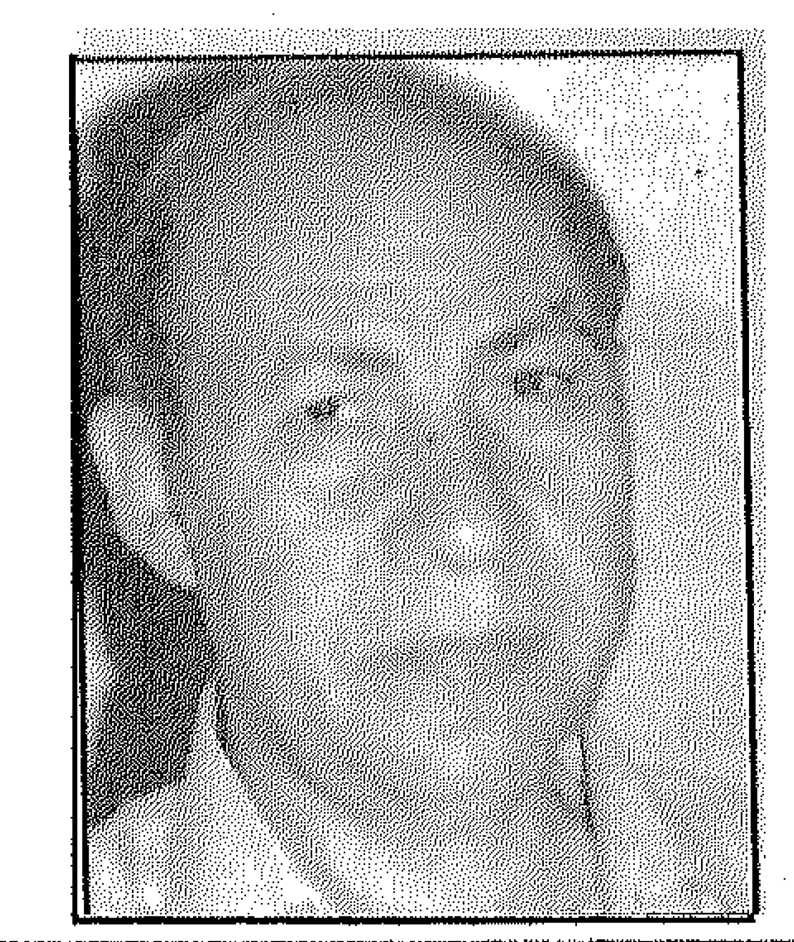
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو مايعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو مايعادلها، اليمن ١٥٠ ريالاً، السودان ٢٥٠٠ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني

قبل أن نتعرض للرواية الإسلامية بالدراسة والتحليل يجدر بنا أن نتحدث عن الرواية بمفهومها العام حتى يتضح لنا الطابع الموضوعي والنصي لبناء الرواية في الأدب الإسلامي، وتميزها بخصائص واضحة في المضمون والشكل الجمالي .

إن الرواية جنس أدبي يتميز برحابة التجربة، وتعدد الاتجاه، وتنوع التكنيك الفني، ومن ثم يبدو تحديد معناه وحصر خصائصه في تعريف منطقي محدد أمرا عسيراً يتجاوز طموح الباحث وقدرته الذاتية. فكل رواية جديدة هي تجربة جديدة في حد ذاتها لها طابعها المميز ورؤيتها الخاصة في التقنية والأسلوب .

ولكن رغم ذلك تعرض لتعريفها كثير من النقاد الأوربيين والعرب .



بقلم: د. عبد الفتاح محمد عثمان*
مصر

يقول تشارلتن : «الرواية ضرب من الخيال النثري له مهمة خاصة به، وهي أن تقص أعمال الرجل العادي في حياته العادية بعد أن تضعها في شبكة من الحوادث كاملة الخطوط متتبعة كل فعل إلى أدق أجزائه وتفصيلاته، وسوابقه ولواحقه موغلة في دخيلة النفس حيناً لتبسط مكنوناتها أثناء وقوع الفعل مستعرضة الآثار الخارجية للفعل حيناً آخر، لا تترك من جوانبه وملحقاته شاردة ولا واردة إلا سجلتها في أمانة وصدق كما تحدث في الحياة الواقعية التي يخوضها الناس ويمارسونها»(1) .

وبتحليل هذا التعريف نجد أنه يركز على العناصر الأساسية التي تشكل معنى الرواية، فهي خيال نثري أي تعبير مخيل عن الواقع الذي يعيش فيه الإنسان بأحداثه وأشخاصه وآماله وآلامه !

ويرى بعض النقاد الأوربيين أن الرواية أعلى مقاماً من الشعر والفلسفة والعلوم المختلفة " لأن الرواية تهتم بالإنسان الكامل الحي، فهي الكتاب الوحيد الوضاء الذي يهتز له الإنسان كله، بخلاف الشعر أو الفلسفة أو العلوم. فإن موضوع الرواية هو الإنسان الحي الكامل . تستطيع الرواية أن تجعل الإنسان ككل يهتز لها . كذلك فجميع الأشياء تتغير لأنها حية " (2) .

ويقدم الناقد العربي الدكتور / محمد غنيمي هلال تعريفاً للرواية يتعرض فيه لكل الجوانب المتصلة بالرواية مضموناً وشكلاً فيه بيان لطبيعتها ووحدتها وموضوعها وغايتها، حيث يقول : " فالرواية كالحياة معقدة متعددة الجوانب، ممتدة حية المعالم، وقصد المؤلف فيها إلى حكاية الفشل أو النجاح أقل من قصده إلى عرض مناظر وتحليل شخصيات ترمي إلى هدف واحد يتصل بحال الإنسان في موقف خاص، وما يحيط به من بؤس، وما يتوعده

* أستاذ البلاغة والنقد الأدبي - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

من أخطار، وما يمكن أن يواجه به هذه الأخطار بما لديه من وسائل، وبما منح من إرادة، ويتكشف هذا كله عن فكرة كبيرة، وهي بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معنى "(٣) .

وفي هذا المعنى يقول الدكتور محمد زغلول سلام إنها " نموذج فني يتصل بكثير مما يهم الناس مما قد يضمنه الفنان عمله "(٤) .

ومعنى هذا كله أن الرواية فن متصل بالحياة ومرتبط بالواقع، يعالج مشاكل الناس وهمومهم وقضاياهم في إطار فني متماسك تتآزر فيه الأحداث وتنمو حتى تصل إلى العقدة ثم يأتي الحل أو لحظة التنوير . ولا تعني واقعيتها أنها انعكاس مرآوي أو نقل حرفي أو تصوير فوتوغرافي . وإنما هي تعبير فني يمتزج فيه الواقع بالخيال !

الرواية الإسلامية

وإذا كان هذا مفهوم الرواية بمعناها االعام فما مفهوم الرواية الإسلامية ؟ وهل هناك رواية إسلامية بالفعل فرضت نفسها على الواقع الأدبي ؟

لقد اختلف الدارسون حول مفهوم الرواية الإسلامية فبعضهم قال : إنها الرواية التي تستمد أحداثها وشخوصها من التراث الإسلامي ممثلاً بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وسير الصحابة والتابعين . وبعضهم توسع وقال: إن أي رواية يكتبها كاتب إسلامي وتعبر عن البيئة في أي بلد إسلامي هي رواية إسلامية !

والرأي عندي أن مفهوم الرواية الإسلامية يتسع لأكثر من هذا كله، فليس بالضرورة أن تكون موضوعاتها دينية، وليس بلازم أن تكون التجربة محدودة في تصوير الزهد، والانتظام في أداء الفرائض، والتعبير عن الشخصيات الخيرة وحدها دون الشريرة !

ليس شرطاً في الرواية الإسلامية أن يكون موضوعها دينياً أو تعبيراً مباشراً عن الحياة الإسلامية بقدر ما يكون ملتزماً بالروح الإسلامية أو التصور الإسلامي .

مع أن الحياة فيها الخيرون والأشرار، والقرآن الكريم نفسه قص علينا حكاية هؤلاء وأولئك .

إن الرواية الإسلامية هي التي تصدر عن رؤية عميقة واعية لقضايا الكون والوجود، وتتوغل داخل أعماق النفس البشرية لتحليلها وتقديم العلاج الناجح لها .

إن القصاص المسلم هو الذي يرتبط بمبادئ وقيم وفضائل يقتنع بها عقله ويهتز لها وجدانه، ومن ثم يبدع أدباً صادق الرؤية فيه من إلهام الفن، وهداية العقيدة وهموم الإنسان وقضايا الكون والوجود !

إنه يعبر عن الروح الإسلامية التي تشرَّبها وسرت في كيانه، واختمرت في وجدانه بحيث أصبحت زاداً يمتاح منه كل تجاربه القصصية فيعبر عنها تعبيراً فنياً يجمع بين جمال الشكل وجلال المضمون !

إن الأدب الإسلامي هو الأدب الملتزم أو كما عرفه الدكتور محمد مصطفى هدَّارة " هو الأدب الذي يعبر عن النظرية الإسلامية الشاملة للكون والوجود فلا يتصادم معها أو يخالفها في أية جزئية من جزئياتها ودقائقها"(٥) .

ولما كانت الرواية ابنة الواقع، وصورة الحياة فإنها أكثر التزاماً بهذه النظرة الإسلامية الشاملة ؛ لأننا لو قصرناها على موضوعات دينية بعينها لتحولت إلى نوع من الخطابة المباشرة والتقريرية البعيدة عن روح الفن وجمالية الشكل.

فالرواية انفتاح على التجربة الإنسانية بكل معطياتها الإيجابية، وغوص في أعماق النفس البشرية لتجلية مكنوناتها، وتعبير فني جميل عن الإنسان وهمومه الحيوية وطموحاته الخالدة .

بناء الرواية الإسلامية

ويمكننا التعرف على بناء الرواية الإسلامية مضموناً وشكلاً من خلال دراسة عناصرها الأساسية وهي : الحكاية والشخصية واللغة والتقنية الفنية (التكنيك الفني)

الحكاية

" الحكاية هي الأساس الذي تبنى عليه الرواية ؛ لأن الرواية في مفهومها البسيط ماهي إلا حكاية تروى على الناس من حيث الأحداث التي تقع لهم وموقفهم منها وتفسيرهم لها، ومصائرهم منها".

وبدونها تفقد الرواية لبها وتماسكها، ويضحي التعبير اللغوي نوعاً من التهويم وضرباً من التجريد الخالي من المعنى والعاري من الدلالة ؛ فالحكاية هي التي تحدد الاحداث في إطارها المادي، وتشكلها في فكرة نامية متآزرة، ترتبط بالزمان والمكان والقيم بغية إحداث أثر كلي يشعر به المتلقي، وينفعل له، ويقتنع به، كما أنها ترسم أدوار الشخصيات وتعين ملامحهم الجسدية والنفسية وتحدد اتجاهم الفكري والاجتماعي "(٦) .

هذه هي الحكاية التي تمثل " الوجه الأساسي الذي لولاه لم يكن لها وجود، فهي كالعمود الفقري أو الدودة الشريطية، لا يمكن التحكم في بدايتها أو نهايتها كما أنها قديمة قدم الزمن ترجع إلى أقدم العصور الجيولوجية "(٧) .

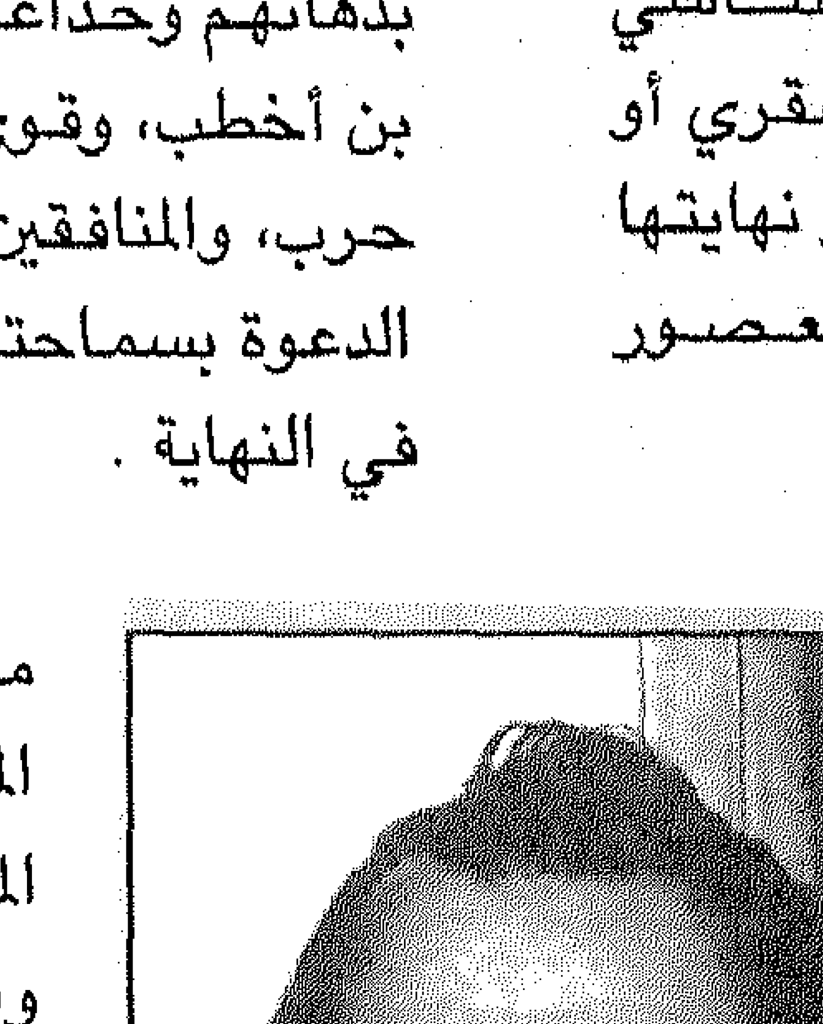
وإذا كان هذا هو دور الحكاية في الرواية بمعناها العام فهل كان للرواية بمعناها الإسلامي طبيعة متميزة ؟ وما خصائص هذا التميز ؟

نستطيع أن نذكر في مجال كتاب الإنتاج القصصي الإسلامي أسماء لامعة كسعيد العريان وعلي أحمد باكثير وعبد الحميد جودة السحار، والدكتور نجيب الكيلاني، ويمكن القول بأن الأخير أغزرهم إنتاجاً، وأكثرهم تنوعاً، وأعظمهم تمكناً من جماليات الشكل القصصي بحيث يمكن اتخاذ قصصه نموذجاً للقصص الإسلامي في مستواه الفني الرفيع، وتجربته الموضوعية الناجحة ! كتب الدكتور نجيب الكيلاني أكثر من أربعين رواية وست مجموعات قصصية، تدور الحكاية فيها كلها عن آفاق التجربة الإنسانية، وفضاء القيم الروحية، وصراع الإنسان لإثبات وجوده في وجه الطغاة، وانتصار الخير في النهاية .

ويمكن الاستشهاد على ذلك ببعض قصصه، فقصته (نور الله) وهي جزآن تصور الصراع الدامي الذي خاضته

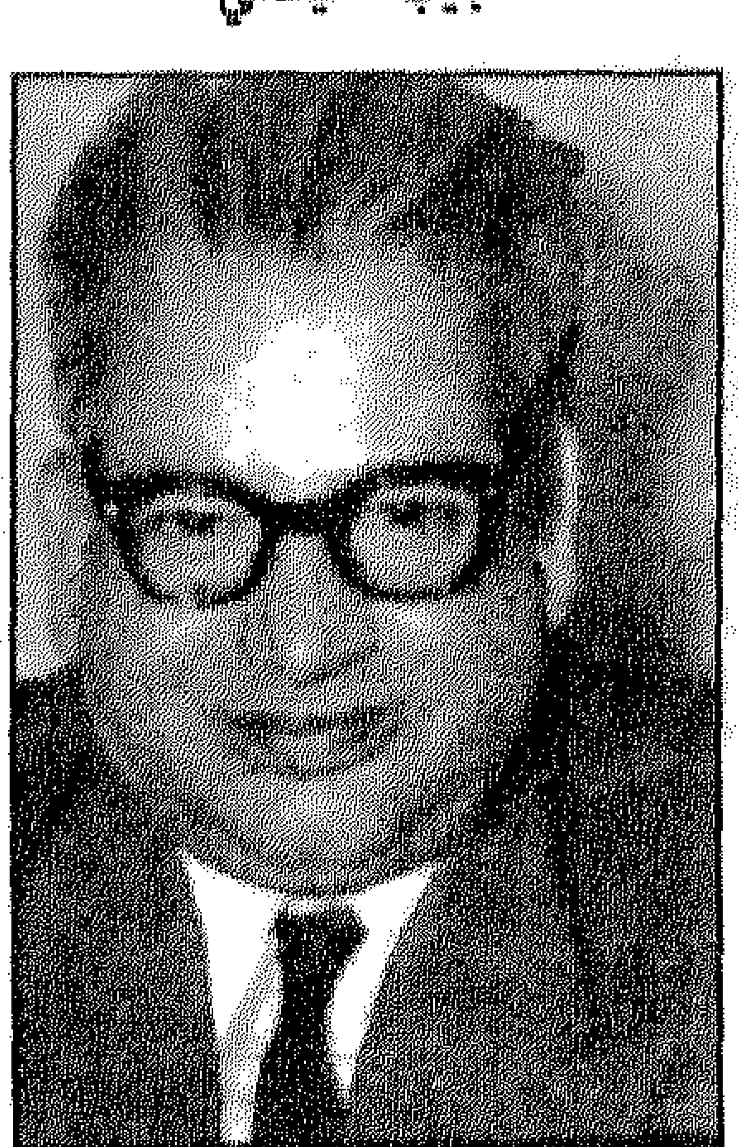
■ الرواية الإسلامية انفتاح على التجربة الإنسانية بكل معطياتها، وغوص في أعماق النفس البشرية، وتعبير فني جميل عن واقع الإنسان وطموحه .

الدعوة الإسلامية في وقت ظهورها ضد قوى اليهود بدهائهم وخداعهم ممثلين في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب، وقوى المشركين ممثلة في أبي سفيان بن حرب، والمنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي، وتتمكن الدعوة بسماحتها وبساطتها وقوة يقينها من الانتصار في النهاية .



نجيب الكيلاني

وروايته(عمر يظهر في القدس) مثال للرواية الجادة العميقة التي تصوّر المثل الأعلى الذي ينبغي أن يقتدي به المسلمون، وتركز الرواية على القيم والمبادئ التي تحلى بها عمر من الحلم والعدل والصدق والأمانة و التواضع والشجاعة، وبذلك تركز على الشخصية من جانبها الأخلاقي لتذكر الناس بالقدوة، وتحثهم على الاقتداء بهذه الشخصية العظيمة التي كان لها دور في انتصار الدعوة الإسلامية وتثبيت أركانها .



محمد سعيد العريان

وتدخل في هذا الإطار قصته (قاتل حمزة) حيث يصف العبدُ وحشي ابن حرب الذي قتل حمزة تجربته، لكنه دخل الإسلام فيما بعد وحسن إسلامه وجاهد وقتل مسيلمة الكذاب تكفيراً عن قتله سيد الشهداء .

إن هذه الروايات الثلاث فتحت آفاقا واسعة أمام المسلمين لمعرفة تاريخهم ورؤية الصفحات الناصعة من هذا التاريخ، والإطلاع على التراث الإسلامي بشكل فني يجذب القارئ ويثير اهتمامه .

وتمتد الحكاية عند نجيب الكيلاني

من ناحية الفضاء المكاني، فنراه يرصد أحوال المسلمين في مناطق عديدة من العالم، حيث كتب (ليالي تركستان) و(عذراء جاكرتا) و (عمالقة الشمال) .

فقد اختار حكايات تدور حول قضايا الإنسان المسلم في تركستان التي كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، وجاكرتا عاصمة أندونيسيا، وعمالقة الشمال التي تجري أحداثها في نيجيريا .

ومعنى ذلك أنه يرصد هموم الإنسان المسلم وقضاياه وصراعه الخالد من أجل حياة أفضل .

وليس معنى ذلك أن القصص الإسلامية عند نجيب الكيلاني تقتصر على التراث الإسلامي وأوضاع المسلمين في بقاع مختلفة من العالم، وإنما تتسع لتشمل النقد الذاتي لأوضاع المسلمين المعاصرة، وما يتعرض له المسلمون داخل أوطانهم من اضطهاد وتعذيب وتنكيل على أيدي الطغاة الذين يظلمون الأبرياء دون ذنب اقترفوه سوى دفاعهم عن عقيدتهم التي يؤمنون بها .

ويمكن الاستشهاد لهذا النوع من القصص بقصتين إحداهما (رحلة إلى الله) والثانية (ليل العبيد) .

إن القصتين من خلال موضوعهما صيغتا بأسلوب فني محكم وتسلسل منطقي للأحداث، واهتمام بنمو الصراع الدرامي، وعقد الحبكة الفنية، كما كان الوصف السردي حياً متدفقاً، والحوار معبراً عن نفسية الشخصيات وأفكارها .

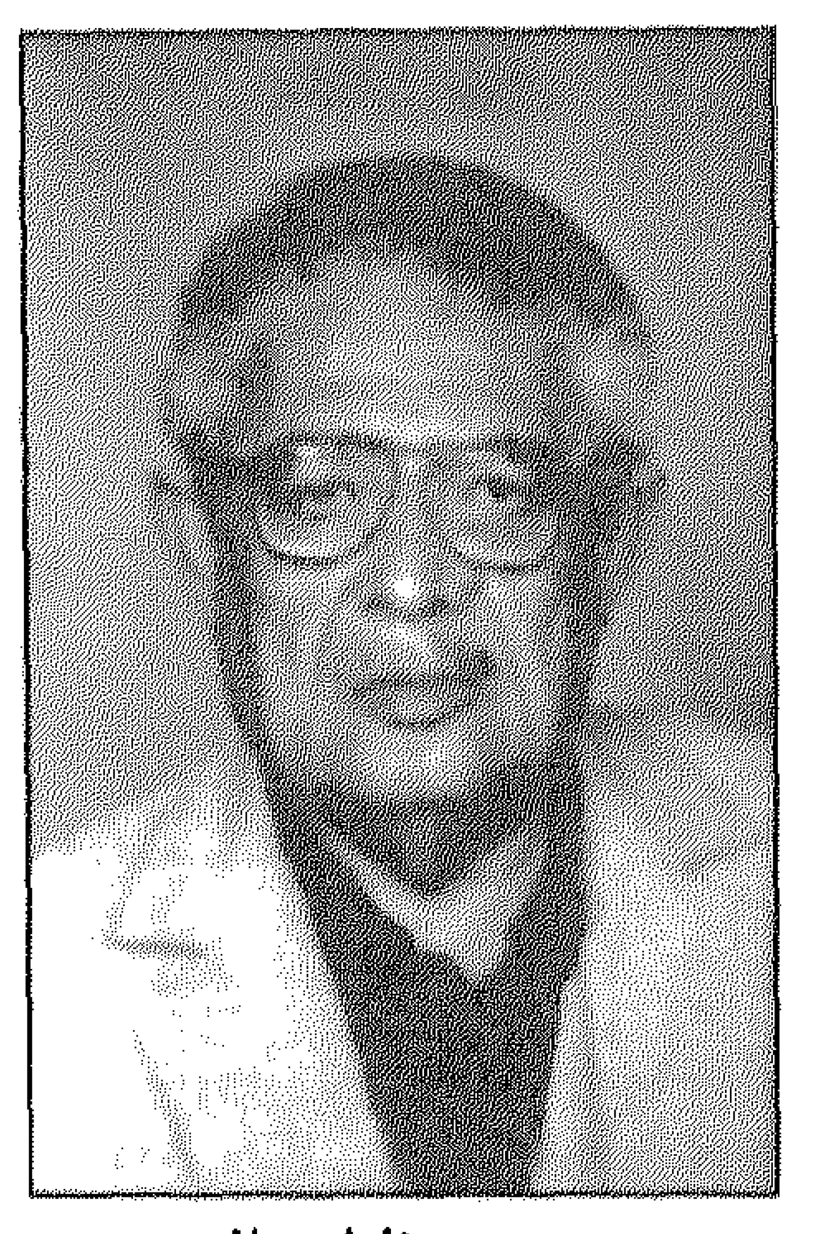
وبهذا ابتعدت هذه القصص عن البث المباشر والتقريرية الساذجة والخطابة السطحية التقريرية، وبذلك جمع الكاتب بين الحكاية ذات الطابع الإنساني والتراثي وبين القيم الجمالية الشكلية .

اللغة

" اللغة هي القالب الذي يصب فيه الروائي أفكاره، ويجسد رؤيته في صورة مادية محسوسة، وينقل من خلاله رؤيته للناس والأشياء من حوله، فباللغة تنطق الشخصيات وتتكشف الأحداث، وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب .

واللغة في الرواية ذات طبيعة متميزة، فهي تختلف عن لغة الشعر ولغة المسرحية ولغة الخطابة ولغة التاريخ "[٨].

وإذا كانت لغة الرواية على هذا النحو من التميز، فإنها أكثر تميزاً في القصص الإسلامي، وذلك لأن الرواية العربية بوجه عام تكتب باللغة العربية الفصحى كما هو الحال في قصص طه حسين ونجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله غير أن بعض الكتاب يكتب بالعامية المنطوقة كإحسان عبد القدوس ويوسف السباعي وغيرهما، وهناك من يكتب بلغة بين الفصحى والعامية مثل توفيق الحكيم، ولكننا نجد كتاب الرواية الإسلامية محمد سعيد العريان وعلي أحمد با كثير وعبد الحميد جودة السحار ونجيب الكيلاني يكتبون باللغة العربية الفصيحة التي تستمد مفرداتها وتراكيبها من التراث، ومن ثم فلغتها مبينة واضحة مشرقة لا التواء فيها ولا غموض، كما أنها بعيدة عن السوقية والابتذال .



د. محمد زغلول سلام

لغة الرواية

تجمع بين الوصف السردي، والمنولوج الخارجي (وهو الحوار بين شخصين) والمنولوج الداخلي (وهو حديث النفس) .

وهي بالحالتين تتميز برصانتها وتستمد مفرداتها وتراكيبها من التراث الإسلامي العربي في عصوره المزدهرة .

لننقل هذا النص من قصة (حكاية جاد الله) وهو سجّان معروف بقسوته وسوء معاملته للمسجونين وقهرهم مع انحراف شخصيته واتجاره بالمخدرات داخل السجن واستهتاره بالقيم الدينية .

" لكل شيء ثمنه، وجاد الله يعتقد من قديم أن الرحمة والحب والتعاون كلمات جوفاء لا معنى لها في السجن، كما أنه لا يؤمن بالشعار المكتوب على السجن " السجن تأديب وتهذيب وإصلاح " الطيبون الذين يسجنون سرعان ما يسيطر عليهم الفساد والضلال، والفاسدون يزدادون فساداً، وقاموس المسجونين كلمات مختارة من الفحش والبذاءة والفجر، ذاك المكان مستنقع كبير "[٩].

ويتدفق الأسلوب على هذا النحو من السلاسة والإبانة والوضوح . ونفس الشيء نجده في الحوار بين الحاخام اليهودي والشيخ المسلم .

" أيها الشيخ حدثني عن الله ...

- قال الشيخ :

يس كمثله شيء ... عادل برٌّ رحيم ... بارئ الأرض والسماء، سميع عليم .

- وتساءل الحاخام :

يقول التلمود : إن الله يبكي من أجل أبناء إسرائيل المعذبين ....

- ابتسم الشيخ قائلاً :

ما شاء الله أيها الحاخام ... إنه سبحانه وتعالى قوي عزيز .. وكلنا لآدم وآدم من تراب ...

- وتمتم الحاخام :

أيها الشيخ حدثني عن الله ....

- رد الشيخ :

يقول : ﴿ **إن اكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

ويقول : ﴿ **.. من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ...** ﴾ .

- ترقرقت الدموع في عيني الحاخام وقال : زدني ... زدني

- رتل الشيخ بصوت رقيق :

﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً** ﴾[10] .

ويمكن القول بأن مثل هذا الحوار يعتبر نموذجاً للغة الرواية الإسلامية، فهو حافل بآيات القرآن ومقررات التراث مما يجعل اللغة ذات طبيعة خاصة مميزة.

غير أن اللغة لا تكون على هذا النحو المباشر في رصدها لجوانب الشخصية الإنسانية، وإنما تجسد العالم النفسي بكل تهاويله في صدق وحرارة وتدفق، والأمثلة كثيرة عند كتاب الرواية الإسلامية وفي مقدمتهم نجيب الكيلاني .

الشخصية

تلعب الشخصية دوراً أساسياً في بناء الرواية، إذ إنها مركز الافكار، ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث، وبدونها تضحي الرواية ضرباً من الدعاية

■ العريان وباكثير والسحار والكيلاني نجوم مضيئة في سماء الرواية الإسلامية، يمثلون أنواع الالتزام فيها وأشكالها الفنية الرائدة

المباشرة، والوصف التقريري، والشعارات الجوفاء الخالية من المضمون الإنساني المؤثر في حركة الأحداث ؛ فالأفكار تحيا في الشخصية، وتأخذ طريقها إلى المتلقي عبر أشخاص معينين لهم آراؤهم واتجاهاتهم، وتقاليدهم في مجتمع معين وفي زمن معين[11] .

وشخصيات الرواية منها الرئيسية والثانوية كما أن منها الشخصية الإيجابية والشخصية السلبية، والشخصية المقنعة وغير المقنعة .



عبدالحميد جودت السحار

وقدرة الكاتب تتمثل في مهارته وإجادته لرسم الشخصية بسماتها الجسدية وتضاريسها النفسية، فهناك شخصيات تبدو متناقضة مزدوجة الشخصية ولكن الكاتب يقدمها بطريقة فنية ومنطقية كشخصية السيد أحمد عبد الجواد في الثلاثية، كما تكون الشخصية ذات نتوآت نفسية بارزة كلها حقد وشر ومع ذلك يستطيع الكاتب الماهر أن يجعلها صورة فنية مقنعة . من ذلك شخصية (زيطة) صانع العاهات لنجيب محفوظ في قصته الشهيرة (زقاق المدق) .

والرواية الإسلامية استطاع كاتبوها أن يرسوا بأصالة واقتدار شخصيات مقنعة فنياً سواء كانت خيرة أم شريرة .

فنجيب الكيلاني صور اليهود والمشركين والمنافقين في (نور الله) كما صور في نفس الوقت الصحابة والتابعين .

وفي (عمر يظهر في القدس) رصد الشخصيات باقتدار في صياغة فنية مقنعة .

وحتى الشخصيات الشريرة كتبها باقتدار فني، من ذلك شخصية (عطوة) الملواني قائد السجن الحربي

في قصته (رحلة إلى الله)، وشخصية (جاد الله) حارس السجن الغليظ القلب في قصته (حكاية جاد الله)، واليهودي الذي قتل القسيس ليصنع من دمه فطيرة في روايته (دم لفطير صهيون) .

لقد توغل الكاتب في العالم النفسي للشخصية ورسم تهاويلها النفسية وأبان عن مركب النقص ونقط الضعف في هذه الشخصيات التي تحتمي بسلطتها، ولكنها تعاني الضعف والخواء من الداخل .

وإلى جانب هذه الشخصيات الشريرة نجح الكاتب في تصوير الشخصيات العظيمة كشخصية عمر، والصحابة وشخصية محمود صقر.

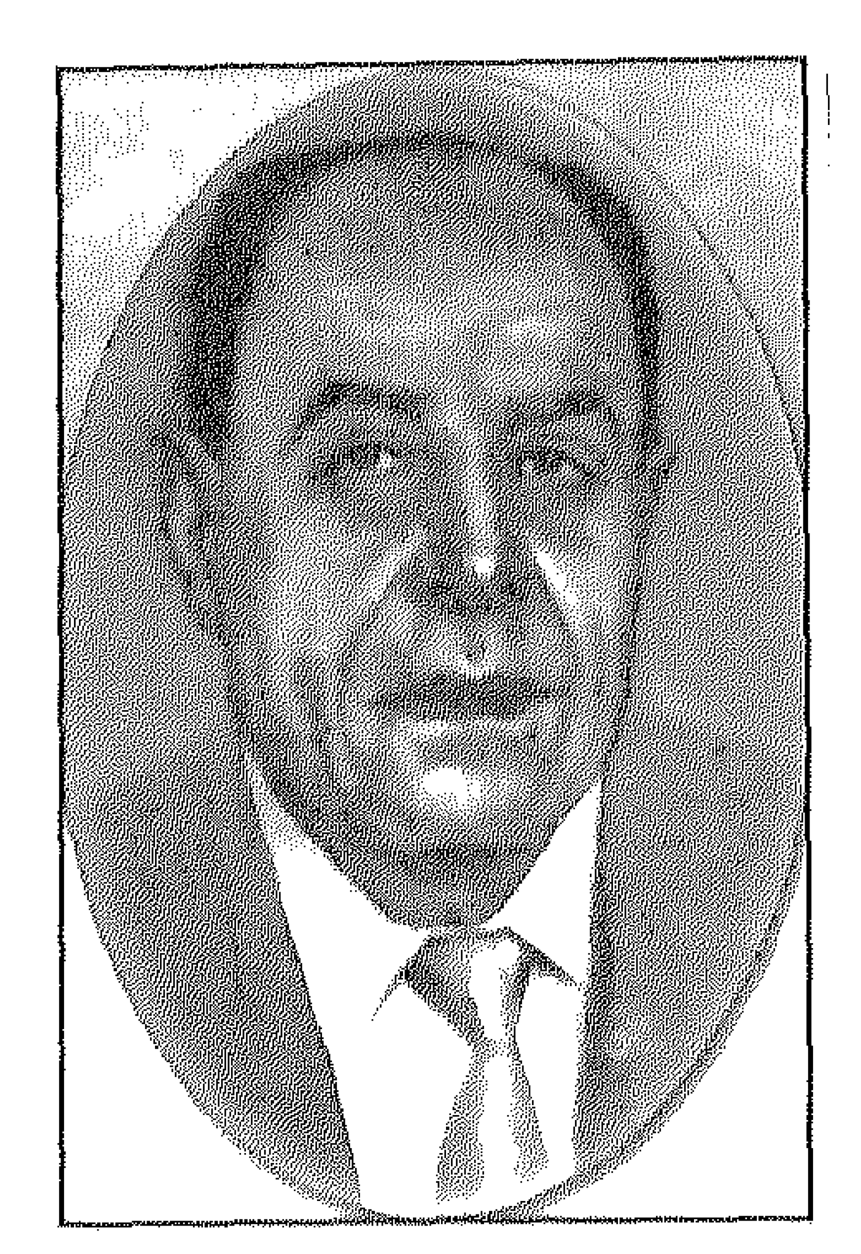
وشخصية نبيلة عبد الله وهي فتاة عادية مثقفة اتخذها الكاتب رمزاً للفتاة المسلمة الواعية التي تقف ضد الظلم وتتعاطف مع الأبرياء وتقف في وجه الطاغية عطوة الملواني قائد السجن الحربي، وتتعرض بسبب موقفها للإهانة والتعذيب حتى تضطر إلى ترك مصر والعمل بالكويت، وتؤلب الرأي العام العربي ضد زبانية التعذيب في مصر .

ومعنى هذا كله أن إسلامية الرواية لم تؤثر عليها في بناء الشخصية بل نجحت في رسم الشخصيات على أعلى مستوى من الاقتدار الفني .

التقنية الفنية

ترتبط التقنية الفنية ببناء الرواية ارتباطا وثيقاً لأنها " الطريقة التي يجتازها الكاتب لبناء روايته من ناحية تشكيل الأحداث، وترتيبها على نحو ما وتحديد علاقتها بالزمان والمكان والشخصية بغية تحقيق هدفه الفني الذي يهدف إليه وهو الوصول بها إلى اقصى غاياتها الجمالية والموضوعية "(١٢) .

وحين ننظر في القصص الإسلامية نجد أنها تنوعت من حيث التقنية الفنية فبعضها يبدأ وينمو طولياً تصاعدياً حيث تبدأ الأحداث من البداية وتستمر في نموها مراعية الحس التاريخي حتى تصل إلى العقدة والحل، وبعضها يبدأ من النهاية ثم يعود إلى البداية عن طريق الاسترجاع أو "الفلاش باك" كما أن بعض الروايات الإسلامية خاصة عند



د. محمد مصطفى هدارة

نجيب الكيلاني توظف التقنيات الفنية الحديثة من ناحية استخدام المنولوج الداخلي والحلم وتيار الوعي الذي يعبر عن مستويات ما قبل الشعور للإفصاح عن العالم النفسي المضطرب للشخصية وسلوكها غير المنطقي وغير الخاضع لسلطان العقل، أما حديث النفس أو المنولوج الداخلي فيقصد الكاتب الإفصاح عن العالم النفسي الداخلي للشخصية دون تدخل الكاتب بالوصف، ويكون ذلك عند الشخصيات التي تعاني الاضطراب النفسي والقلق الداخلي والكبت والحرمان .

إن الرواية الإسلامية لها طبيعتها الخاصة في رحاب التجربة الإنسانية واتساع آفاقها ورصدها للقيم الأخلاقية النبيلة بعيداً عن السقوط والابتذال .

كما أن لها طريقتها المميزة في الأداء اللغوي المشرق المبين المستمد من التراث والخالي من الإسفاف والعامية الرخيصة المبتذلة،وهي أيضاً استطاعت بمهارة أن ترسم الشخصيات الإنسانية بحيوية مدهشة سواء في جانبها الإيجابي أم السلبي .

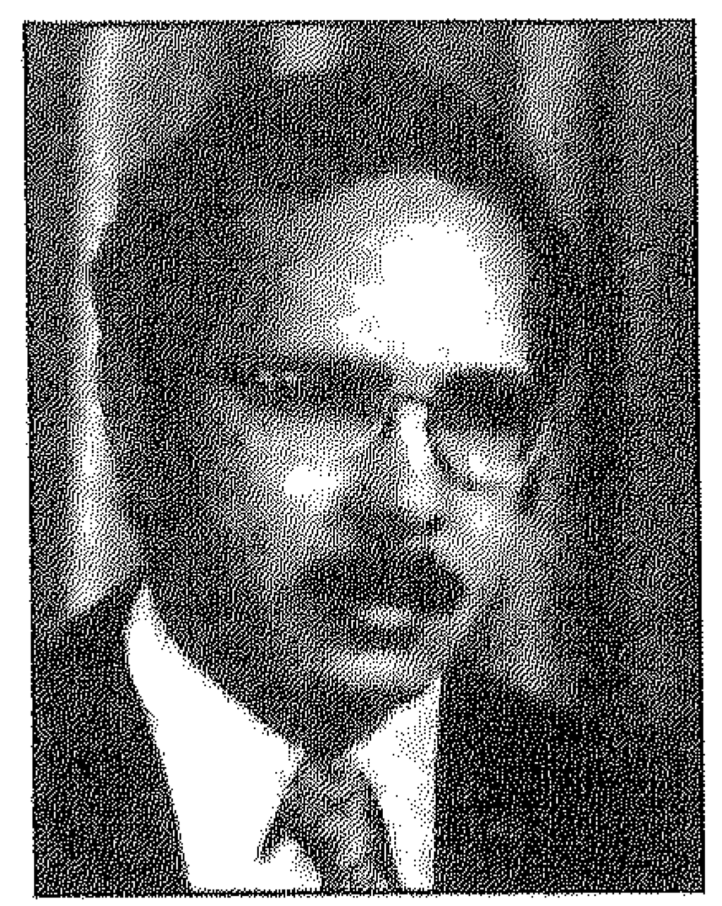
اما التقنية الفنية فقد وظفت التقنيات التي عرفتها الرواية الحديثة بمهارة واقتدار . ■

الهوامش:

(١) فنون الأدب، ترجمة د. زكي نجيب محمود، ط لجنة الترجمة والنشر، صـ ١٢٨ .
(٢) نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي - د.إنجيل بطرس، ط الهيئة العامة للكتاب، صـ ٧٩ .
(٣) النقد الأدبي الحديث، ط نهضة مصر، صـ ٥٤٩ .
(٤) دراسات في الرواية العربية الحديثة، ط منشأة المعارف بالإسكندرية، ص ٥ .
(٥) بحوث ندوة الادب الإسلامي، مطابع الدرعية، صـ١٩ .
(٦) بناء الرواية، د. عبد الفتاح عثمان، نشر مكتبة الشباب، القاهرة، ص ٤٣ .
(٧) أركان الرواية أ.م فورستر، ترجمة كمال عيد، دار الكرنك، ص٣٤ .
(٨) بناء الرواية، د. عبد الفتاح عثمان، نشر مكتبة الشباب، صـ ١٩٩ .
(٩) حكاية جاد الله، طبع مؤسسة الرسالة، صـ ٨ .
(١٠) دم لفطير صهيون - نجيب الكيلاني، ط دار النفائس، صـ ٩٢ - ٩٣ .
(١١) بناء الرواية، د. عبد الفتاح عثمان صـ ١٠٧ .
(١٢) السابق،صـ ٢٦٩ .

دراسة تحليلية لقصيدة

الولد يموت لأبي تمام



بقلم: د. عبده بدوي
مصر

كانَ الذي خِفْتُ أن يكونا   إنّا إلى اللهِ رَاجِعُونا

أمْسَى ألمُرَجَّى أبو علي   مُوَسَّداً في الثَّرَى يَميناً

حين انْتَهَى واسْتَوى شباباً   وَحَقَّقَ الرَّأيَ والظُّنُونا

أُصِبْتُ فيه وكان عندي   على المُصيباتِ أنْ يُعِيناً

كنتُ عَزيزاً بِهِ كثيراً   وكنتُ صَبّاً بِهِ ضَنيناً

دَافَعْتُ إلاّ المنونَ عَنْه   والمرءُ لا يَدْفَعُ المَنُونا

آخِرُ عَهْدي به صريعاً   للمَوْتِ بالدَّاءِ مُسْتَكِيناً

إذا شكَا غُصّةً وكَرْباً   لاحَظَ ،أوْ رَاجَعَ الأنِينا

يديرُ في رَجْعِهِ لِسَاناً   يَمْنَعُهُ الموتُ أنْ يُبِينا

يَشْخَصُ طَوْراً بناظرَيْه   وَتَارة يُطْبِقُ الجُفُونا

ثمّ قَضَى نَحْبَهُ فأمْسَى   فِي جَدَثٍ للثَّرَى دَفِينَاً

بَعِيدَ دارٍ قَرِيبَ جارٍ   قد فارقَ الإلْفَ والقَرِينا

باشَرَ بَرْدَ الثَّرَى بوجهٍ   قد كانَ مِنْ قَبْلِهِ مَصُونا

بُنَيَّ يا وَاحِدَ البَنِينا   غَادَرْتَني مُفْرداً حَزِيناً

هَوَّنَ رُزْئي بِكَ الرَّزايا   عَلَيَّ فِي النَّاسِ أَجْمَعِينا

آليتُ انساكَ مَا تَجَلَّى   صُبْحُ نهارٍ لِمُصْبِحينا

ومَا دَعَا طائرٌ هديلاً   وَرَجَّعَتْ والِهٌ حَنيناً

تَصَرَّفَ الدَّهْرُ بي صُروفاً   وعادَ لي شأنُهُ شؤونا

وحَزَّ في اللَّحْمِ بلْ بَراهُ   واجْتَثَّ من طَلْحَتِي فُنونا

أصابَ منِّي صَميمَ قلْبِي   وخِفْتُ أنْ يَقْطَعَ الوَتِينا

فالمَرْءُ رَهْنٌ بِحَالَتَيْهِ   فَشِدَّةٌ مَرَّةً ولِينا !

١- القصيدة من (مخلع البسيط) الذي تفعيلاته :

مستفعلنْ فاعلنْ فعولنْ / مستفعلنْ فاعلنْ فعولنْ

وإذا كان البحر البسيط مشهوراً بالغزارة في الشعر العربي ، ويجود بصفة خاصة في حالات الشّجى والنّجْوى ، فإنه قد جاء منه المجزوء الذي تفعيلاته :

مستفعلنْ فاعلنْ مستفعلنْ / مستفعلنْ فاعلنْ مستفعلن

إلا أن هذا المجزوء لم يستطع أن يسيطر على الأذن العربية على الرغم من أن المرقّش الأصغر قد نظم به ، ذلك لأن الشعراء قد تجاوزوه إلى بحر مشتق منه هو (مخلع البسيط) وبخاصة بعد أن تحدد بأنه العروض المقطوعة مع ضربها المقطوع إذا دخلها الخَبْن ، وهناك ما يشبه الإجماع على أنه من اختراع المولدين ، وأنه لم يكن معروفاً قبل العباسيين . ونستطيع أن نقول إن أحداً لم يبدع فيه إبداع أبي تمام في قصيدته الحزينة هذه ، ذلك لأن موضوعها يتفق وحالة (خلل) في موسيقى هذا البحر فنحن فيه لا نجد التناغم والإشباع الموسيقي - الذي يظهر في البحر كاملاً ، أو فيما يسمى الآن (بالبحور الصافية) وقد تنبه إلى شيء من هذا إبراهيم اليازجي حين ذكر أن هذا البحر يرجع إلى بحرين مختلفين هما البسيط والمُنْسرح ، وحين ذكر أن (عبيد بن الأبرص) قد كتب منه معلقته :

أَقْفَرَ من أهله ملْحوبُ فالقطبيَّاتُ فالذَّنُوبُ

ومن المعروف أن وزن المنسرح أكثر ما يجيء على هذا الوزن مثل :

مستفعلن مفعولات مستعلن/ مستفعلن مفعولات مستعلن

وما أكثر ما تعرض النقاد القدامى للخلل الموسيقي في معلقة عبيد ، المهم أن ما ارتضينا تسميته (بمخلع البسيط) لم يكثر الشعراء من الكتابة منه ، ذلك لأن مسيرة الشعر العربي مع التناغم والإشباع الموسيقي ، فإذا أخذنا الفترة الأخيرة لم نجد - على حد ما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس - أن أحمد شوقي قد نظم منه ، وهناك قصيدة مفردة لحافظ إبراهيم بعنوان (البورصة) ، كما أن هناك قصيدة منه لمحمود غنيم ، ونشيداً لعلي الجارم ، وجزءاً من حوار في رواية العباسة لعزيز أباظة .

ما يهمنا من هذا كله أن هذا البحر يعبّر أصدق تعبير في حال (الفقد) وأن أحداً لم يبدع فيه إبداع أبي تمام .

... والقافية أساساً تعتمد على حرف النون المفتوح ، الذي يعطي صيحة ممدودة هي أشبه ما تكون (بالنَّهْنَهة) بالنسبة لحالة البكاء ، فمن المعروف أن النون من الأصوات الأنفية التي يحبس لها الهواء حبساً تاماً في موضع من الفم ولكن يخفض الحنك اللين فيتمكن الهواء من النفاذ عن طريق الأنف ، المهم أن هناك حالة يحبس لها الهواء حبساً تاماً كما يقول علماء الأصوات ، بحيث يخرج لنا هذا الصوت الأسناني الأنفي المجهور ، الذي يذكرنا بحالة (الأنين) ، ومما يساعد على ذلك أنه شِبْهُ حركة وليس حركة فيما يسمى قوة الوضوح السمعي ، وعلى كل فهناك من يسميه حرف نواح ، ويرى أن مادة الرنين أخذت صفتها منه .

ثم إن هناك قبل النون التزاماً بالواو ، ومخرجها أقصى الحنك ، وبالياء ومخرجها من وسط الحنك ، والياء في القصيدة أكثر من الواو ، لأن الياء تعطي انكساراً يتفق وحالة الموت التي تدور حولها القصيدة ، وإذا كانت هناك مراوحة بين الواو والياء ، فإن هذه المراوحة طبيعية ذلك لأنها لم تدخل في باب الحذْلَقة على نحو ما كان يفعل مثلاً ابن الرومي الذي التزم الياء قبل الباء في قصيدة بلغة ١١٦ بيتاً ، والتزم الواو قبل الباء في قصيدة بلغت ١٥١ بيتاً .

٢- يلاحظ أن الشاعر صرَّع كالعادة في البيت الأول من القصيدة ، وليس من المطلوب إعادة التصريع إلا إذا تغير الموقف ، أو دعت حاجة للتأثير بمضاعفة الموسيقى، وهذا هو ما حدث حين صرَّع الشاعر في البيت الرابع عشر الذي يقول :

بني يا واحد البنينا غادرتني مفرداً حزينا!

ذلك لأن الشاعر وقف لينادي ابنه بحرف نداء مقدر ، وبعد أن أسلمه في البيت الثالث عشر إلى القبر ، فكأنه يستيقظ من كابوس قاس ، وكأنه يتوهم أن ابنه سيرد عليه مادام قد ناداه عن قرب ، ومن هنا أراد أن يبدأ من جديد في القصيدة ، كأنه يريد أن يطيل - بالوهم - حياة ابنه ، وكأنه يريد أن لا يصدق نفسه حين انتهى به الرثاء إلى القبر الموحش في البيت الثالث عشر .

وقد كان من الطبيعي ألا يتعامل الشاعر مع (التدوير) ذلك لأن كل شطر خفقة حزن لا يتحمل صدره أكثر منها ، كما كان من الطبيعي أن يكثر من حروف المد في المطلع بصفة خاصة ذلك لأن المد يتفق مع حالات

(الندب) والتوجع، والصياح ، وفي الوقت نفسه يساعد على البطء والتراخي في الزمن وقد أكثر الشاعر الابتداء من الأفعال الماضية لأنه يتذكر المأساة ، ولم يلجأ إلى الفعل المضارع إلا حين أراد أن (يشخص) الموقف، ويجعلنا نحس بأنه يريد أن يقدم مشهداً يتحرك ، فقد قدم خمسة أفعال مضارعة في قوله :

يدير في وجعه لسانـــاً   يمنعه الموت أن يبينا
يشخص طوراً بناظريه   وتــارة يطبق الجفونا

وبصفة عامة فالشاعر – على غير عادته – قدم لنا لغة سهلة بسيطة جرت كالدمع من وجدانه الحزين ، وهكذا كان الإطار من جنس الصورة ، وكانت حالة الشاعر النفسية لوحات تتحرك ، ومن الغريب أن الشاعر هنا يخرج خروجاً حميداً عن طريقته الخاصة ، فقد أخذ عليه النقاد الألفاظ المستكرهة ، وفي كتاب الموازنة نرى الآمدي يعقد باباً عنوانه (من سوء نسج أبي تمام وتعقيده ووحشي ألفاظه)، ولكن الشاعر هنا يخرج من دنيا اللغة إلى دنيا الأشياء الكبيرة ، ولقد كان في مقدمة الأشياء الكبيرة قضية الموت ولعل هذا وراء رأي ما يراه البعض من أن القصيدة لأبي محمد القاسم بن يوسف ، ولكن آفاقها بعيدة عن شعر أبي محمد قريبة من شعر أبي تمام!

٣– لقد تنبه البحتري إلى قصة الموت في شعر أبي تمام ، وكان أن قال كلمته المشهورة فيه ، وهي أنه (مدّاحة نوّاحة) وفي الحقيقة لقد أكثر أبو تمام من النواح على نفسه وأهل بيته ، والصفوة من رجال عصره ، فقد أثبتنا أنه كان مريضاً بالكلى بصفة خاصة ، وأن في أسرته كان يوجد نوع من الضعف الذي يسرع بهم إلى الموت ، وأن قاموسه يدور حول الموت ، والحزن ، والداء ، والعلة ، والبلى .....إلخ بصفة خاصة ، وهو نفسه كان يحن إلى الموت ، وكان أن تنبأ إسحاق الموصلي بموته الخاطف ، وكانت قولة الكندي " هذا رجل يموت قبل حينه " ! .

وديوانه يحدثنا عن ولعه بالرثاء – وقريب من هذا نجده في كتابيه الحماسة والوحشيات – فقد رثى الكثير من رجال عصره ، وكان هناك من رثاهم بأكثر من قصيدة كخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، كما أنه عزّى بعض الكبار في أبنائهم كما فعل مع محمد بن سعيد ، وفي زوجاتهم كما فعل مع محمد بن سهل – والأصح كما في نسخة أن الرثاء كان لزوجته هو–، وقد يرثي الرجل أخاه ، وقد يرثي ثلاثة إخوة ، وقد يرثي – على غير العادة في الشعر العربي – طفلين كما فعل في رثائه لطفلي عبد الله بن طاهر ، كما أنه لم يكن ينسى أصدقاءه ، ومن المعروف أنه أبدع في التعبير عن الصداقة أكثر مما أبدع في عالم الحب .

أما الوقفة التي تستلزم التأني فهي كثرة الموتى في أسرته ، فقد رثى زوجه – على خلاف ما يرى البعض – فالأبيات تدل على أن الميتة زوجه .

... وكنت أرجّي القـرْبَ وهي بعيـدة
فقد نقلت بعدي عن البعد والقربِ
لها منزل تحت الثرى ... وعهدتها
لهـا منزل بين الجـوانح والـقلبِ!

كما أنه رثى جارية له رثاءً جاء فيه :

يقولون هل يبكي الفتى لخريدةٍ
إذا ما أراد اعتاض عش[illegible] مكانها
وهل يستعيض المرء من عشر كفه
ولو صاغ من حر الُّل[illegible] بنان[illegible]

وله رثاء في أخ له – لم يروه الصولي – [illegible]ء فيه

وكنا معـاً من أم دهرٍ ومن أب
عقيدي صفاء لم تخ[illegible] المع[illegible]بُ
فلما تعالى في السمو اغتدى به
إلى النقص يوماً لا يغال[illegible]
... أخ كان أدنى من يدي يد نصره
إذا بسطت كفاً إلي الن[illegible]ُ

وله رثاء نادر في أخ له حضره وهو يموت ، كما أنه رثى ابناً له يسمي محمداً ، ومن رثائه له نعرف أن هذه الأسرة معطوبة ، وأن الوهن كان يجري فيها ، وأبو تمام نفسه قد تعرض لتتابع الموت في أسرته ، فكان قوله :

تتابع في عام بنِي وإخوتي
فأصبحت إن لم يخلف الله مفرداً

... وما يهمنا في هذا كله هو موقفه من الموت في القصيدة التي نتعرض لها ، مع ملاحظة أن هذا الموقف ينسحب على كل ما قال في الموت ، ولعل وراء ذلك أنه يأخذ

نفسه بوجهة نظر (الجهمية) في الحياة- ولقد كان شديد الميل لهم – فهم لا يلتفتون إلى الموت الذي ينزل بالإنسان ، ولا يرون فيه ما يوجب الكرب والتعاسة ، ذلك لأنهم يأخذون بقول جهم بن صفوان :

إنه ليس شيء على الحقيقة إلا الله تعالى ، إذ كل شيء يبطل ويتلاشى غيرَه والأشياء كلها أعراض!

وانطلاقاً من هذا فهو يقابل الموت بالتسليم المطلق، وبالمقولة الإسلامية التي تقول: (إنا إلى الله راجعون) ومما يؤكد أنه كان على إحساس بقضية (العدم) في أسرته قوله (كان الذي خفت أن يكونا) ومعنى هذا أنه كان يحس بالموت في ابنه أكثر مما كان يحس بالحياة فيه ، على الرغم من أنه كان قد وصل إلى مرحلة الشباب ولكنه وقد دافع عنه أشياء كثيرة ، وقف أمام الموت فلم يستطع له دفعاً ، فهو هنا يحس بأن الفناء جزء من الإنسان ، وأن الإنسان كما يعيش بالحياة يعيش بالموت ، ذلك لأن في كل إنسان وبخاصة أسرته نصيباً من الموت ، فعمليات الهدم والبناء لا يخلو منها جسد ، ولكن عمليات الهدم كانت تتغلب دائماً على الحياة في إخوته وأبنائه وهم في حالتي الصبا والشباب ، ومن واقع هذا الفهم لم يكن الموت كرباً بالنسبة له ، وإنما كان على وجه العموم حالة من حالات القبول [illegible] ومن ثم نراه يبتعد عن حالات التوجع والصراخ ، إلى [illegible] ما يمكن أن يسمى بتسجيل لحظات النزع [illegible] ، مستعيناً على ذلك بالصورة ذات [illegible] وكأنه بذلك يسجل حالة للذكرى ، وفي الوقت نفسه [illegible] الموت بالفن !

[illegible] (قضية [illegible]جيل الحالة) من خصائص شعر أبي تمام [illegible] وهو لا يكتب عند التسجيل (بالكاميرا) وإنما يجتهد في أن يقدم عالماً محسوساً معادلاً للعالم النفسي الذي يعيش فيه الشاعر ، ومن هنا تكون لمفرداته ظلال ، ولأدواته دلالات ، ولعالمه خصوصية ، وخير مثال له في هذا المجال هو تلك القصيدة التي كتبها في أخ له شاهد احتضاره فقد قال :

[illegible] لظن البلى لو كان يفهمه
[illegible] البلى عن بقايا وجهه الحسنُ
يا يومه لم [illegible] حسناً ولا أدباً
إلا حكمت به للحد والكفنُ
لله مقلته والموت يكسرها
كأن أجفانه سكرى من الوسنِ
يرد أنفاسه كرهاً وتعطفها
يد المنية عطف الريح للغصنُ
يا هول ما أبصرت عيني وما سمعت
أذني ... فلا أبصرت عيني ولا أذني
لم يبق من بدني جزء علمت به
إلا وقد حله جزء من الحزنِ
كان اللحاق به أهنى وأحسن بي
من أن أعيش سقيم الروح والبدنِ

وما سميناه (تسجيل الحالة) تسجيلاً شعرياً لا نجده في مراثيه خارج دائرة الإخوة والأبناء ، وفي قصيدتنا نجد هذه الحالة في قوله :

آخر عهدي به صريعاً	**للموت بالداء مستكينا**
يدير في وجهه لساناً	**يمنعه الموت أن يبينا**
يشخص طوراً بناظريه	**وتارة يطبق الجفونا**
ثم قضى نحبه فأمسى	**في جدثٍ للثرى دفيناً**

فهو هنا يسجل لحظة الوداع الأخيرة – كما حدث من قبل في قصيدة قالها في أخيه – وفي ضوء هذا نراه يركز على الوجه ، ثم يكون الانتقال طبيعياً إلى اللسان لأنه يحاول أن يعرف من ابنه شيئاً مما به ، ولكن الموت يحاصر اللسان ، ومن ثم نراه يفزع إلى العينين ليحاول قراءة شيء فيهما ، ولكنه لا يرى إلا مقدمات الموت ، ولهذا كان من الطبيعي أن يستعمل (ثم) كأنه يريد أن يباعد بها الموت عنه شيئاً ما ، ولكن لم يكن هنالك بد من تسليمه إلى القبر ، ولم يكن هناك بد من الخروج من دائرة الفعل المضارع : يدير، يمنع ، يبين، يشخص، يطبق ، إلى دائرة الفعل الماضي : قضى ، أمسى ، وقد رأينا في الفعل المضارع ما يفيد الحركة (يدير) ووقف الحركة (يمنع) ، ومثل هذا يقال في (يشخص) وفي (يطبق) ، وما أدقه في كلمة (يشخص) لأنها كما يقول أبو عمرو: لمن فتح عينه وجعل لا يطرف ! وهي حالة موت ! ثم نراه بعد هذه الصورة المكثفة لحالة الفقد بالنسبة لابنه يتحدث عن حالة فقد خاصة به ، ذلك لأنه ضرب في عدة مقاتل ، ولكنه ينتهي من كل ذلك بالتسليم بمبدأ الإثنينية في الحياة (فشدة مرة وليناً) ، ومن هنا يتأكد ما يقال من

أن الشعر والتأمل الديني متشابهان في الأساس ، لأن لهما نفس الهدف ، وأن قضية الموت قضية شاعرية في المقام الأول ، خاصة حين يكون الموت لمن نحب ، ولمن هم جزء منا !!

المهم أنه قدم لنا صوراً بائسة وحزينة وملموسة ، وأنه سجلها في حالتي الحركة ووقف الحركة ، وما يسميه (الشدة واللين) ومن الطبيعي أنه كان يسجل بالفعل المضارع بصفة خاصة حالة التحول من الشيء إلى النقيض ، بالإضافة إلى ما يمكن أن يسمى حالة الجدل بين الأشياء ، وقد ساعده على هذا الإحساس الحاد بقضية الزمن ، وأن الابن جزء ثمين من الزمن !

٥- من المشاهد في القصيدة أن أبا تمام قد تعامل مع الزمن تعاملاً ذكياً ، فهو لإحساسه الحاد بالموت في نفسه وأسرته كانت عيناه على أولاده ، وكان ما يسميه في البيت الأول الخوف على الولد ، ومن هنا تعامل مع الزمن الماضي ، ومع الزمن الذي يفيد التحول ، ولم ينس المستقبل حين قال عن ابنه أنه (المرجّى) ، ولقد كانت المشكلة عنده أن الموت قد جاء في غير موعد ، فحين انتهى ، واستوى شباباً ، وحقق الرأي والظنون مات الولد ، وهنا يجزع الشاعر من هذه العبثية في الحياة (بتخليد) لحظة الموت ، كأنه يريد أن يجعل لها لحظة وجود على الرغم من العدم ، ومن هنا كان ما سميناه تسجيل الحالة ، والارتفاع بها إلى عالم الشعر ، ليتحقق لها شيء من الخلود المؤقت ، ومن ثم يتحقق في القصيدة الأسلوب الدائري ، فالخاتمة تشبه المطلع ، وبين المطلع والخاتمة تدور الخطوط لتقول إنه لا مفر من موت قاس هو موت الأبناء ، وهو موت الزمن حين يكون هذا الزّمن في أوج الشباب ! وهكذا يكون الوجود محكوماً بالموت وبالحياة معاً ، ويكون في حركة دائرية .

٦- والآن يأتي سؤال يقول : ماذا فعل الشاعر في هذا الحادث الشخصي الذي ألم به ؟ وهل سيظل هذا الحادث حبيس هذه الدائرة الشخصية ؟ والذي نراه أن الشاعر قد نجح في التعبير عن حالة الفقد التي أصيب بها ، ومع أن حزنه على ابنه كان حزناً عاقلاً ، لأنه إلى جانب اعتقاده بما يقوله (الجهمية) ، كان يعرف (العطب) الكامن في أسرته ، وقبل ذلك فهو مستوعب للروح الإسلامي في هذا المجال ، ولكن الملاحظ أن الشاعر قد نجح في نقل مأساته الخاصة إلى مأساة عامة ، فقد أعطانا الإحساس بأن الإنسان (مخلوق خزفي) وأنه لعبة ستتوقف عن الحركة ، وأنه حتى في فترة اللعب – أي الحياة – يمكن أن يعاني معاناة شديدة ، ثم إنه لا منطق لهذه المعاناة ، لقد بدأ الشاعر قصيدته من الداخل ، ولكنه شيئاً فشيئاً طرحها على الخارج ، بحيث أضاف إلى صوته كمنكوب صوته كشاهد على عصر يتكسر فيه الإنسان – كتكسر الخزف !– ، وفي الوقت نفسه يمكن أن ينعكس هذا على كل العصور مما يؤكد مأساوية الوجود .

٧- لقد قال كل هذا ببساطة شديدة – جديدة على أسلوبه الخاص – وقد ساعده أسلوب (الحكي) وعرض المأساة عرضاً عاماً ، ثم (وضع البطل الذي يموت) على المسرح أمام النظارة ، وحين ينتهي تمثيل ظاهرة (النزع الأخير) نرى الشاعر يصرخ بكلمة (بني) ثم يواصل عملية (التعديد) المعروفة في العالم العربي ، ثم يذكرنا المفتتح والمختتم (بالجوقة) المشاركة للأب المحزون ، والمؤكدة في الوقت نفسه لحقيقة الحقائق التي تقول: إن الكل يموت ، ولما قيل من أن النياحة القديمة لم تكن عملاً شعرياً بقدر ما كانت شعيرة دينية يقوم بها أقرباء الميت ، ويبدو أن أبا تمام لم يقصر في أداء هذه الشعيرة ... بل وفي تخليدها – بالنسبة لأسرته قرابة وبالنسبة لمن أحبهم وفاء ، وبالنسبة لقارئه حزناً وكمداً .■

قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه):

« خذو الكلمة من الحكمة من حيث كانت، فإن الكلمة من الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تسكن إلى صواحبها».

المجتنى لابن دريد / ٧٨

نغم اليقين

شعر: يس الفيل
مصر

بك يستطيب النائمون قياما ... ولديك إشراق الهدى يتسامى

تأتي .. وقد أخذ الهوى بزمامنا ... عامًا .. وأبحرَ في الغواية عاما

تمضي بنا الأيام، ليس يردنا ... أنّا بها نتجرع الآثاما..

ونظل نبحر .. والسراب يقودنا ... لمتاهة، فيها الظلام أقاما

ونكاد نصرخ .. والضلال يحوطنا ... والليل مات -على الربا- أقداما

حتى إذا ما الكيل فاض، وأوشكت ... نذر العواصف حولنا تترامى

تأتي .. فتوقظ من غفا .. وترده ... لعوالم هطلت سنًا وسلاما

* * *

رمضان يا نغم السماء ويا مدى ... بالحب يخطر بيننا بساما

لو تدرك الأيام حكمتك التي ... تأتي بها فتعطر الأياما

لأقامت الدنيا بليلك ترتجي ... عفو الإله، ولن تمل مقاما

ولأسلمتك قيادها، ولما ارتضت ... بسواك يا نغم اليقين إماما

* * *

هذي جموع المسلمين تسابقت ... للخير.. كل بالضراعة هاما

صاموا نهارًا، واستظل بليلهم ... أملٌ.. وجادوا باليسير كراما

يبغون وجه الله في ملأ طغى ... ومضى يقطع بينهم أرحاما

يتلقون بما أفاءت عليهمُ ... ويحطمون بليلهم أصناما

وإليك يلتجئون إن عصفت بهم ... محنٌ.. ومدت للرقاب سهاما

فانصر عبادك..إنهم بك قوة ... كبرى .. وهم بسواك - ربِ - يتامى

* * *

شهر الصيام تحية من شاعر ... عن كل ما يؤذي المشاعر صاما

هذي أحاسيس بليلك تزدهي ... ومشاعري بك -طاعة- تتسامى

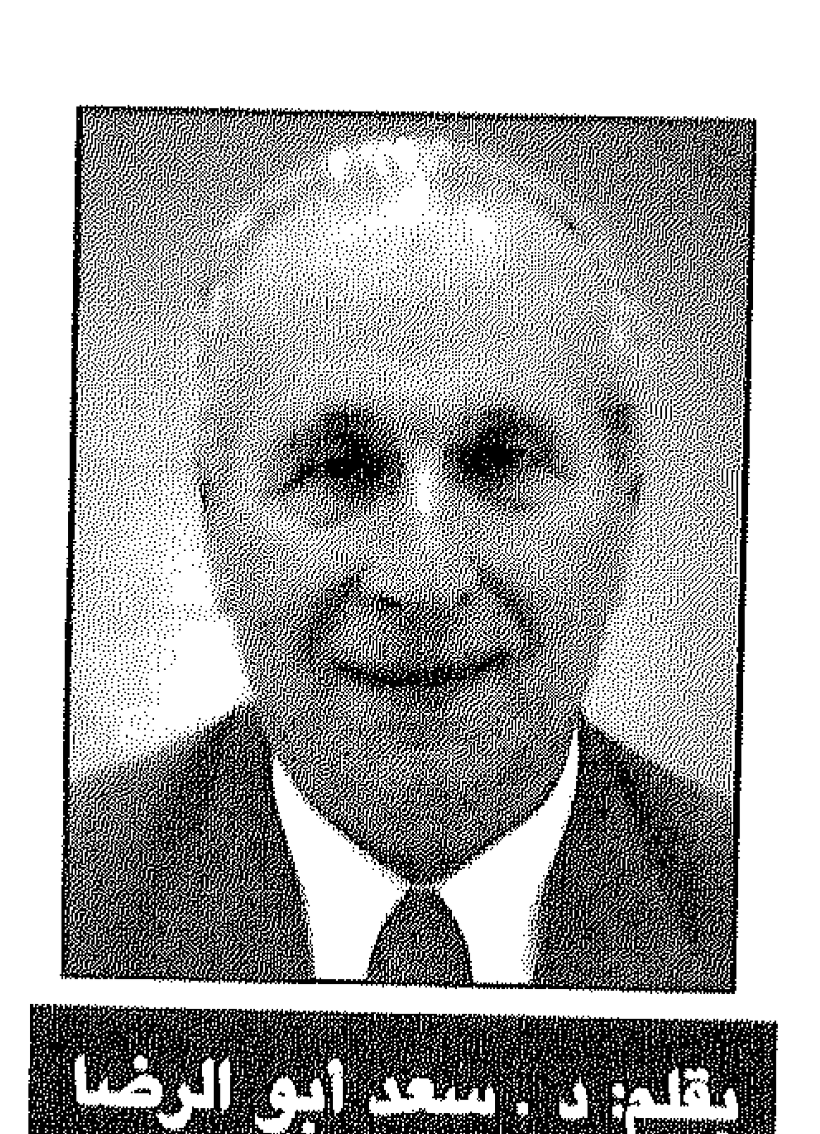
أقبل.. كما أرجو.. عوالم رحمة ... حتى لمن هو عن سناك تعامى

وأقم كريمًا بين أكرم أمة ... خطرت هدى، وتألقت إسلاما

وإذا رحلت.. وأنت أكرم راحل ... فاحمل إلى ملأ السماء سلاما

وغدًا تجيء لنا ونحن على هدى ... نحيا .. وبالتقوى نذوب هياما

الأدب الإسلامي وتجديد الخطاب الديني



بقلم: د . سعد ابو الرضا

تجديد الخطاب الديني عبارة مراوغة ، من ثم فهي بحاجة إلى مناقشة تكشف جوانبها ، وتوضح كيفية التعامل السوي معها ، بما يدعم أصالتنا ، ولا يهدد شخصيتنا واستقلالها في عصر العولمة التي تحاول احتواءنا .. وابتلاع العالم كله ، كما نحاول أن نبين موقف الأدب الإسلامي من هذا التجديد ..

تتألف عبارة " تجديد الخطاب الديني " من ثلاث مفردات ؛ أولها التجديد ، وهو أمر مطلوب ، بل إن الحياة لا تزدهر وتتقدم إلا به ، والتجديد مصدر للفعل جدّد ، والتضعيف في مادة الفعل يوحي بأن ذلك يتطلب مزيداً من الجهد والفاعلية حتى يتم هذا التجديد ، مما يكشف عن أهميته وضرورته .

أما الخطاب : فهو كل كلام تجاوز الجملة الواحدة منطوقاً أو مكتوباً ، لكن مثل هذا المصطلح ارتبط اليوم في ظل الحداثة بأن هناك دلالات للكلام غير ملفوظة ، يدركها المتحدث أو السامع ، وذلك يتعلق بفكرة المسكوت عنه في الكلام التي يعتمد عليها محللو النصوص ، عندما يستنتجون دلالات قد تتجاوز المنطوق أو المكتوب ، وهنا يمكن استنتاج سلطوية الخطاب أو هيمنته ، أو غير ذلك من الدلالات التي بشر بها فوكو وغيره من منظري أسس تحليل الخطاب .

أما الديني : فهو نسبة إلى الدين ، ومن معاني الدين الطاعة ، وبالنسبة للدين الإسلامي فقيمه مستمدة من القرآن الكريم ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرجة الأولى ، ثم يلي ذلك الإجماع والقياس والاجتهاد ، وبرغم أن المصادر الأخيرة من أعمال البشر ، لكنها تقوم على أساس روح وسياق المصدرين الأولين وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واعتماداً عليهما ، ولذلك فقيم الدين الإسلامي من الثوابت .

ولعل المتابع للمؤتمرات الثقافية التي عقدت في عالمنا العربي تحت دعوة " تجديد الخطاب " يدرك مما أعلن من مناقشاتها ونتائجها إلى أي حد قد تجاوزت الثوابت بدعوى التجديد ، وكان من الأولى أن يكون عنوانها تجديد الخطاب الديني ، حتى يكون هناك وضوح في الطرح والتناول ، لكنها للأسف تدعو إلى تجديد خادع ، بعيد عن المرجو منها .

وثمة قضية خطيرة في هذا المجال ، عندما يصبح النص الديني : القرآن الكريم أو الحديث الشريف مجالاً للتأويل والتفسير المتجاوز للثوابت ، استجابة لفكرة المسكوت عنه في النص ، لأننا بذلك نتجاوز خصوصية هذه النصوص التي هي جوهر ديننا وكينونيتنا .

وحقاً يجب أن نعيد النظر في خطابنا للآخر بما يكشف عن عدالة موقفنا ، وسمو أهدافنا ، وشمولية ديننا للدنيا والآخرة ، وسماحة ثوابتنا ..

وبالنسبة إلى تأويل وتفسير النص الديني فيجب ألا يتصدى لهذه المهمة إلا القادرون المؤهلون لهذه المهمة عقديا وفكريا وعلميا، وأن يكون هناك تواصل علمي بين هؤلاء القادرين المؤهلين ، حتى نتجنب الشطط من ناحية ، والغلو المنهجي عنه من ناحية أخرى.

ولقد حاولت المناهج النقدية للحداثة وما بعد الحداثة أن تطلق العنان للقارئ لتفسير النص فرأت البنيوية وغيرها موت المؤلف، وأن لا شيء خارج النص ، كما اعتبرت التفكيكية كل قراءة إساءة قراءة، مما ينتهي إلى اللامعنى، لكن هذه التوجهات الحداثية تؤدي إلى فوضى التفس.

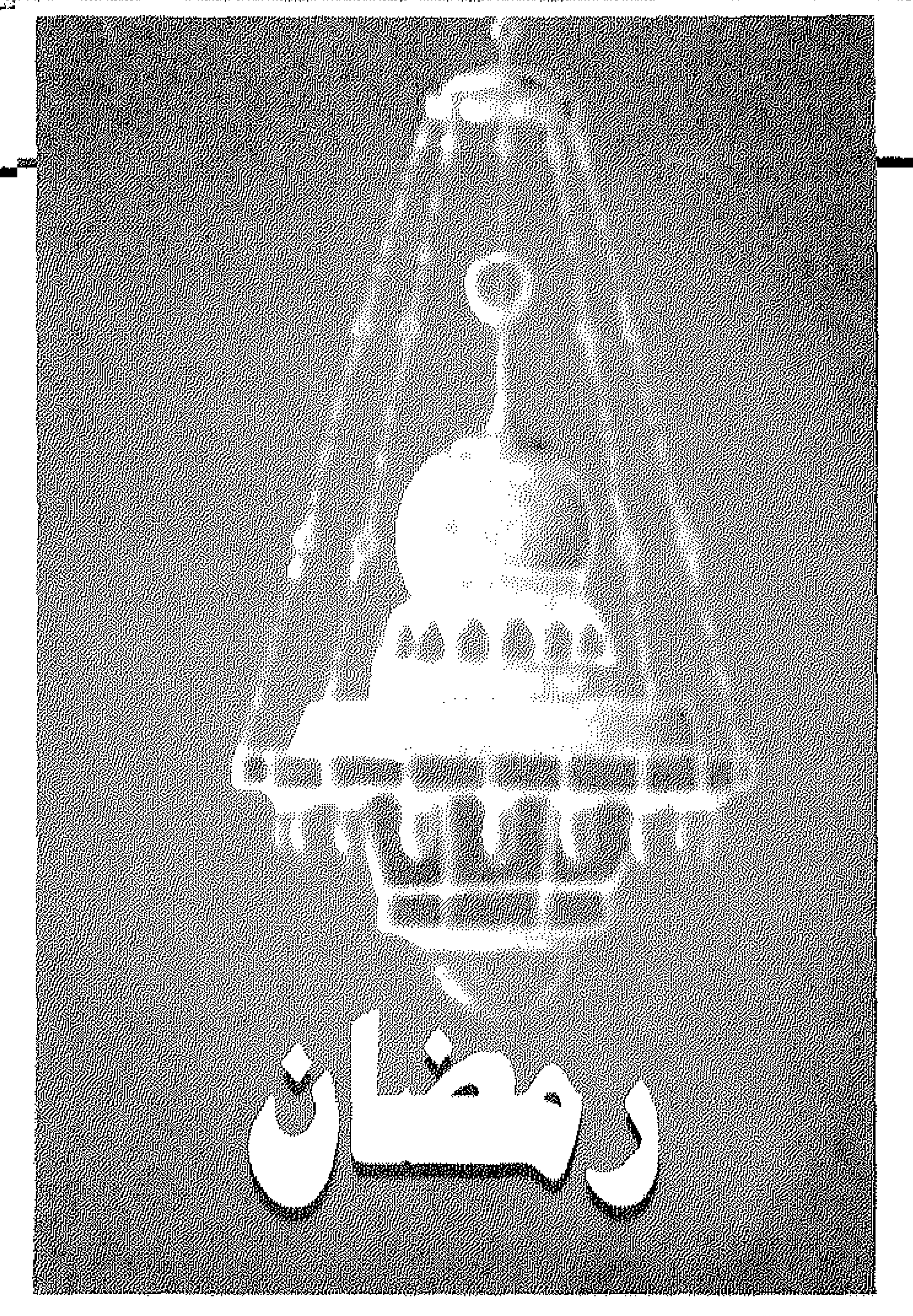
وإذا كانت قد حاولت كبح جماح المبدع بالنسبة للنص فقد أطلقت العنان للقارئ في تفسير النص ، وتحقيق المعنى، مما أدى إلى فوضى التفسير ، وذلك مما جعل نظرية نقدية أخرى هي نظرية التلقي تضع من الضوابط ما حاولت به كبح جماح القارئ فاعتدت بأفق هذا القارئ الذي تشكله ثقافته وبيئته وهو يواجه به النص، كما اعتبرت أفق هذا القارئ جزءا من أفق الجماعة المفسرة التي ينتمي إليها القارئ ، وذلك كوسيلة للتقريب بين مواجهات القراء للنص، لكن يظل إطلاق العنان للقارئ في مواجهة النص على هذا النحو سبيلا لفوضى التفسير والتأويل ، وهو ما يجب أن ينأى عنه أي خطاب بصفة عامة، والخطاب الديني بصفة خاصة ، ذلك الخطاب الذي تسهم في تشكيله الملابسات والظروف وكذلك علاقته بالمبدع والمتلقي.

إذن أين يكون التجديد ؟ إن التجديد واسع فسيح الأرجاء .. في فهمنا نحن ، وتصوراتنا نحن ، ورؤيتنا نحن تجاه هذه الثوابت ، ولنا أسوة حسنة في اختلاف الفقهاء الأئمة ابن حنبل وأبي حنيفة والشافعي ومالك ؛ مع الفارق الكبير والبون الشاسع بين توجهاتهم ، وما يمكن أن نقوم به نحن ، فهم برغم اختلافهم ، فقد كان اختلافهم رحمة ، ولم يخرجوا على هذه الثوابت ، ومن ثم فعدم الخروج على الثوابت يجب أن يكون سياجاً لخطابنا ، وألا نسمح للمسكوت عنه أن يتجاوز هذه الثوابت ، أو يتعارض معها ، مهما تعددت مجالات خطابنا الديني ، وتباينت توجهاته .

إن مجال الأحكام الشرعية ثوابت قد ضبطها الفقهاء الأئمة ، في ضوء مصادر التشريع الإسلامي ، ويبقى لنا مجال فسيح في العلاقات الاجتماعية ، والأخلاق ، وعلاقة الحاكم بالمحكوم ، وما يحقق مصلحة الأمة ، .. إلى غير ذلك ، من أصغر الأمور كإماطة الأذى عن الطريق ... إلى أعظمها وهو الجهاد .

هنا يأتي دور الأدب الإسلامي ونهجه في التعبير عن هموم الأمة وآمالها ، إذ يصبح من أنسب الوسائل التعبيرية للكشف عن تجديد الخطاب ، لأن الأدب الإسلامي يوظف الكلمة الجميلة المعبرة في التعبير عن قضايا الأمة مع استرفاده لملاحقة المتغيرات ، وكل هذا وفق التصور الإسلامي ، دون سلطوية أو هيمنة مزعومة .

وبذلك يلبي احتياجات الأمة ، ويشبع رغباتها ومتطلباتها في الخير والحق والعدل ، وهي تتعامل مع أمسها وحاضرها ومستقبلها . ■



شعر: محمد عبد القادر الفقي
مصر

تعاطيتُ شهد الصوم، لم أخش لائماً
وكان غذائي الحمدَ في رمضانِ

وأسلمت وجهي للذي حبه الغنى
وحُبُّ سواه الفقرُ في الإيمانِ

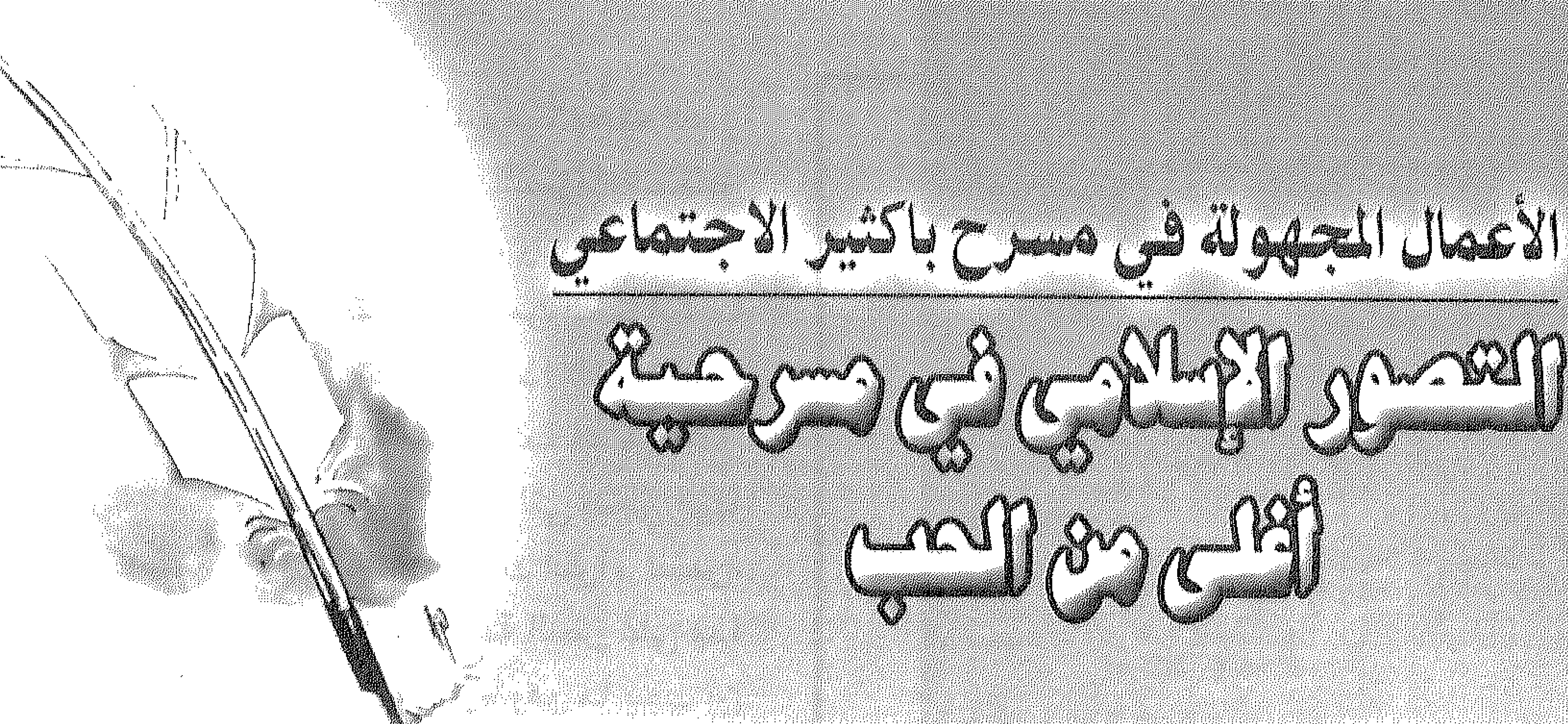
يقول فؤادي: ليس من صام مفطراً
كمن ذاق تمر الوجد والإذعانِ

وما يستوي البحران: هذا أجاجه
معاصٍ، وهذا عذبُه رباني

فإن كنت في خير الشهور مجاهداً
فليس طريقُ العبد في الحرمانِ

ولكنها تقوى الحبيب وآية
تسير بها نوراً إلى الريانِ

وما الدنى للفتى غير لحظةٍ
هي الخوف من فطر على النيرانِ

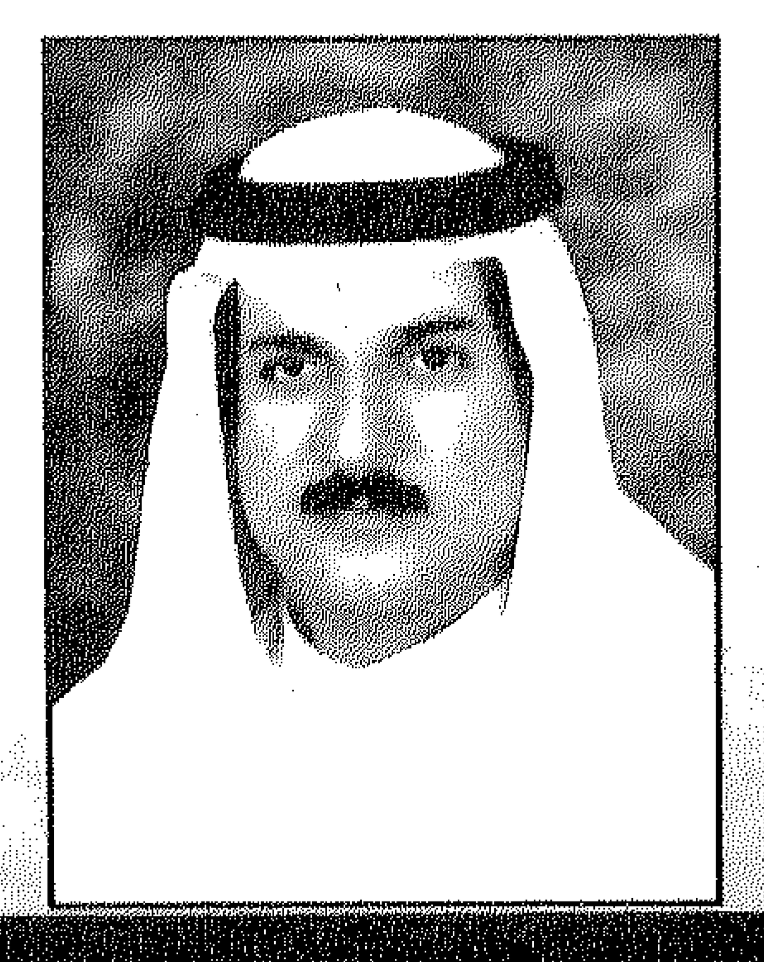


الأعمال المجهولة في مسرح باكثير الاجتماعي

التصور الإسلامي في مسرحية أغلى من الحب

الأعمال الأدبية التي يتركها أصحابها مخطوطة أو غير منشورة في كتب تصبح «وثائق أدبية» ذات قيمة تاريخية يجب نشرها كما تركها مؤلفوها.

وهذه القيمة التاريخية التي تكتسبها تلك المؤلفات تقتضي من النقاد والدارسين دراستها في إطار الروح الثقافية والاجتماعية والسياسية للعصر الذي كتبت فيه، وتقويمها في حدود مرحلة التطور الفني التي بلغها الكاتب عند كتابته لهذا العمل أو ذاك، علماً أن التطور الفني للأديب - كما هو معروف - لا يحكمه التسلسل التاريخي لأعماله بقدر ما تحكمه عوامل فنية وإبداعية لا يمكن تقنينها أو التكهن بها إلا من خلال دراسة الظروف الذاتية والموضوعية لكل عمل على حدة.



بقلم: د. محمد أبو بكر حميد

توفي علي أحمد باكثير في العاشر من نوفمبر سنة ١٩٦٩م تاركا وراءه عددا من المسرحيات المخطوطة، عثرت عليها بين أوراقه ومحتويات مكتبه لدى أسرته بالقاهرة، وهي **(الوطن الأكبر)**، **(حرب البسوس)**، **(قضية أهل الربع)**، **(أحلام نابليون)**، **(مأساة زينب)** و**(فاوست الجديد)**. وقد نشرت مكتبة مصر هذه المسرحيات، وأقوم حاليا بإعداد أعمال أخرى للنشر مثل مسرحيات **(عرايس وعرسان)**، **(شلبية)** و(**لباس العفة)** والمجموعات القصيرة ومنها ما نشر في الصحف مسلسلا ولكن لم يجمع في كتاب مثل مسرحية (**أغلى من الحب)**.

وتنتمي معظم مسرحيات باكثير المجهولة إلى المسرح الاجتماعي. ومسرحية **(أغلى من الحب)** إحدى هذه المسرحيات الاجتماعية، لهذا فإن هذه الدراسة ستعنى بالوقوف على مسرح باكثير الاجتماعي الذي لم يأخذ حقه من الدراسة النقدية باستعراض تاريخه وقضاياه، وبالتالي التعرف على موقع مسرحية **(أغلى من الحب)** بين أعمال باكثير الاجتماعية فنيا وفكريا.

بدأ علي أحمد باكثير نتاجه المسرحي بكتابة المسرحية الاجتماعية، فمسرحية **(همام أو في بلاد الأحقاف)** الشعرية التي كتبها في مدينة الطائف في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٣٣م، تعد من المسرحيات الاجتماعية الرائدة في المسرح الشعري العربي.

عبر باكثير في هذه المسرحية عن مشكلته الشخصية، وقضايا مجتمعه الحضرمي الاجتماعي التي تمثلت في العقبات التي واجهها في زواجه من الفتاة التي أحبها، وتزوجها في حضرموت، والخاتمة

المأســاوية لهــذا الزواج الذي انتــهى بموت الزوجــة الحبيبة ، وما ترتب على ذلك من صدمة نفسية جعلت الشـاعر العاشق يفر هارباً من وطنه، ماراً بالحجاز لينتهي به المطاف إلى مصر سنة ١٩٣٤ م فيستقر بها نهائياً.

وقد عرض باكثير على مرآة مأساته الشخصية قضايا التخلف الاجتماعي التي عانى منها مجتمعه الحضرمي مثل قضايا الزواج، وحرية الاختيار، والتفرقة الطبقية، وتعليم المرأة، والبدع والخرافات، وهي معوقات ما أنزل الله بها من سلطان، تقود إلى الجهل بالتعاليم الصحيحة للدين الإسلامي، وتقديم التقاليد العتيقة المتوارثة على الضوابط الشرعية الصحيحة الثابتة.

وبعد وصوله مصر انصرف عن مواصلة كتابة المسرحية الاجتماعية، وقد برر هذا الانصراف في كتابه **(فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية)** لسببين **أولهما:** أنه وافد على المجتمع المصري ولا يستطيع الإلمام بقضاياه الاجتماعية، **وثانيهما:** أنه يرى الأخطار السياسية التي تهدد الأمة والمتمثلة في الاستعمار والصهيونية أولى بالاهتمام من المشكلات الاجتماعية التي يمكن حلها فيما بعد بالتحرر والاستقلال. وقد اعترف باكثير بعد ذلك بخطأ رأيه ذاك، وقال: إن القضايا الاجتماعية لا تقل أهمية عن القضايا السياسية، بل إن حلها قد يكون مفتاحاً لحل المشكلات السياسية (راجع كتابه فن المسرحية).

لهذا لم يتوقف باكثير عن كتابة المسرحية الاجتماعية طوال حياته، بل رأيناه يعود بين الحين والآخر لكتابة مسرحية اجتماعية تعالج إحدى قضايا العصر التي شغلته وألحت على تفكيره، ونستطيع أن نحصر اهتمامات مسرح باكثير الاجتماعي في جانبين:

الأول: العلاقة بين الرجل والمرأة في إطار العلاقة الزوجية وما ينتج عنها من مشكلات مثل الحب والخيانة والقوامة والإنفاق والسكن وتربية الأبناء وبر الوالدين.

الثاني: موقف المجتمع من المرأة ومراحل نظرة الرجل إليها وقضايا خروجها للعمل ومطالبتها بالمساواة وتعاملها مع أنوثتها وتصورها لدورها في الحياة زوجة وموظفة.

أما من الناحية التاريخية، ونقصد به التسلسل الزمني، فإن مسرح باكثير الاجتماعي كتب في مرحلتين بينهما ثماني سنوات:

المرحلة الأولى:

سبع سنوات كتب فيها أربع مسرحيات اجتماعية وقد بدأت من سنة ١٩٤٧م إلى سنة ١٩٥٤م، كان اهتمامه فيها بالقضايا الاجتماعية على فترات متباعدة لانشغاله بالموضوعات السياسية والتاريخية والفكرية. وقد كتب في هذه المرحلة **(الدكتور حازم)** ١٩٤٧م أولى مسرحياته الاجتماعية في مصر حاول فيها تصحيح المفاهيم نحو قضية القوامة وقيادة الأسرة وبر الوالدين.



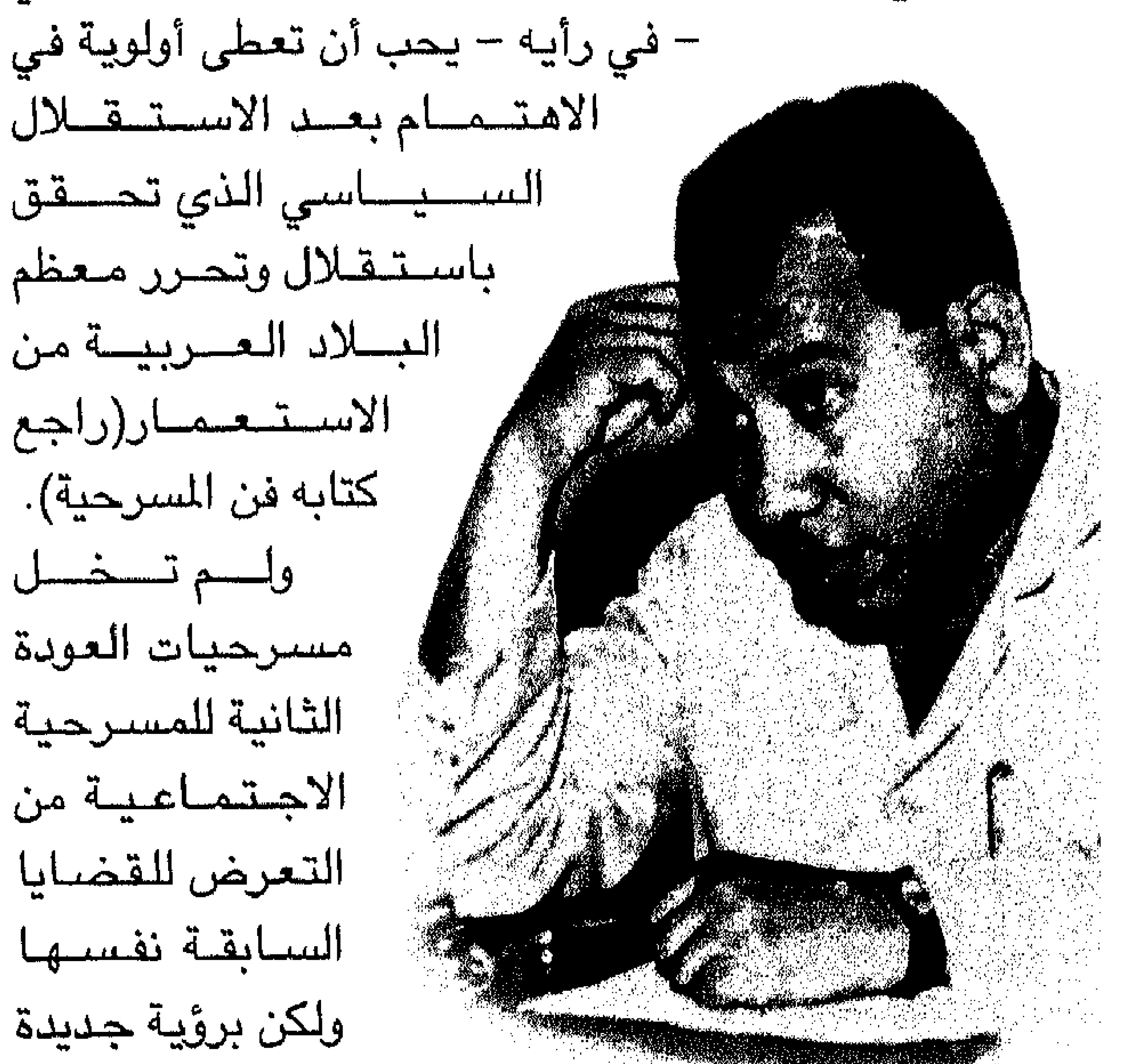
وعالج في **(السلسلة والغفران)** سنة ١٩٥١م ملابسات الخيانة الزوجية والتوبة منها. وسخر في مسرحية **(الدنيا فوضى)** سنة ١٩٥٢م من الفكرة الساذجة التي تحملها المرأة عن المساواة بالرجل، والتي تريد بعض النساء الوصول بها إلى مرحلة التشبه الكامل في كل شيء.

أما في مسرحية **(أغلى من الحب)** التي نشرها مسلسلة في جريدة الجمهورية سنة ١٩٥٤م فقد جعل المؤلف الأحداث جميعاً تدور قبل بدء الحياة الزوجية، وصور من خلال شابا درس الفن السينمائي في أوروبا مثلاً للتضحية والطموح والاغترار الزائد بالنفس إلى درجة نكران قدرة الله!!

وبعد سنة ١٩٥٤م انقطع عن كتابة المسرحية الاجتماعية لمدة ثماني سنوات انتقل فيها إلى كتابة المسرحيات التي يراها تعبر عن موقفه الفكري والسياسي بشكل أقوى تجاه القضايا والأحداث التي عاشها العالم العربي والأمة الإسلامية في تلك الفترة، ولم يعد لكتابة المسرحية الاجتماعية إلا سنة ١٩٦٢م.

المرحلة الثانية:

مرحلة الستينيات، من أهم المراحل في تاريخ مصر والعرب، كتب فيها باكثير بمعدل مسرحية اجتماعية كل سنة ما عدا سنة الهزيمة ١٩٦٧م. وتمتد من سنة ١٩٦٢م إلى سنة وفاته ١٩٦٩م. وتعتبر هذه المرحلة التطبيق العملي لإدراكه الجديد لأهمية القضايا الاجتماعية التي - في رأيه - يجب أن تعطى أولوية في الاهتمام بعد الاستقلال السياسي الذي تحقق باستقلال وتحرر معظم البلاد العربية من الاستعمار(راجع كتابه فن المسرحية). ولم تخل مسرحيات العودة الثانية للمسرحية الاجتماعية من التعرض للقضايا السابقة نفسها ولكن برؤية جديدة



اقتضتها مستجدات المرحلة التاريخية التي مرت بها مصر في الستينيات الميلادية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وما استجد من جراء ذلك على حياة المرأة من هذه الجوانب جميعاً.

وعلى ضوء مستجدات هذه المرحلة تعرض باكثير في مسرحية **(قطط وفيران)** سنة ١٩٦٢م لمشكلة المرأة الموظفة التي تعتقد أن وظيفتها أهم من حياتها الأسرية ، ورفضها مشاركة الزوج في الإنفاق وما يترتب على ذلك من مشكلات .

وفي سنة ١٩٦٣م في مسرحية **(جلفدان هانم)** الشهيرة عرض لأساليب التربية التي يسلب فيها الآباء الأبناء حق حرية الاختيار من خلال ما فعلته جلفدان هانم مع حفيدها حيث أرادت أن تصنع منه أديبا بالإكراه ، فاشترت له عملا أدبيا ينشر باسمه.

وفي العام التالي ١٩٦٤م كتب مسرحية **(شلبيه)** (لم تنشر) التي عكست أحداث العصر،ومرحلة التحول الاشتراكي في مصر الناصرية ، وجعل شخصية شلبية بكل ما يحمله الاسم من معان رمزا لمصر.

وفي سنة ١٩٦٥م يحاول باكثير في مسرحية **(حبل الغسيل)** الانتقام لمصر وثورة الاشتراكية المؤمنة من اليسار الانتهازي الذي يسرق شعاراتها ويسخرها لمصالحه الشخصية ومآربه العقائدية ، وذلك من خلال شخصياتها التي تنتمي جميعا للوسط الفني المسرحي، والوسط الأدبي الثقافي، وقد عبر في هذه المسرحية عن احتجاجه على الشللية الفكرية التي أبعدته عن عرشه المسرحي وأوقفت عرض أعماله على المسرح.

وفي سنة ١٩٦٦م كتب باكثير مسرحية **(عرايس وعرسان)** (لم تنشر) تعرض فيها لمشكلة العنوسة التي سببتها مشكلات السكن والمعيشة ، وقد ارهص باكثير بتفاقم هذه المشكلة الذي حدث فعلا واصبح الآن سببا رئيسيا في تأخير زواج الشباب.

وفي سنة ١٩٦٨م كتب صرخته الاجتماعية الأخيرة في مسرحية **(قضية أهل الربع)** محذراً من الفساد الأخلاقي وتفسخ العلاقات الاجتماعية وظهور الجريمة، وبدء إلقاء الهموم المعيشية بظلالها القاتمة على الحياة الزوجية والمجتمع بشكل عام.

كانت تلك المسرحيات العشر التي تشكل مسرح باكثير الاجتماعي، وتلك القضايا التي عرضها فيها،

ولكن لم ينشر منها في حياته إلا ست مسرحيات، ولم يمثل منها إلا ثلاث.

فالمسرحيات التي صدرت في حياته: **(الدكتور حازم)** ١٩٤٧م، **(السلسلة والغفران)** ١٩٥١م، **(الدنيا فوضى)** ١٩٥٢م، **(قطط وفيران)** ١٩٦٢م، **(جلفدان هانم)** ١٩٦٣م، وأخيراً **(حبل الغسيل)** ١٩٦٥م.

أما المسرحيات الأخرى فقد تركها مخطوطة - رحمه الله - وهي من حصاد مرحلة الصمت الذي ضُرب حول أعماله من اليسار الإنتهازي الذي كان مسيطرا على المسرح ومعظم منابر الثقافة في مصر آنذاك*.

* * *

عثرت على نص مسرحية **(أغلى من الحب)** ضمن ما عثرت عليه من أعمال مجهولة ومخطوطة بين محتويات مكتبة باكثير الخاصة*.

ولعل هذه المسرحية الوحيدة من ذوات ثلاثة الفصول التي لم أعثر لها على نص مخطوط، وإنما وجدت قصاصات النص المنشور في جريدة الجمهورية على ثلاث حلقات سنة ١٩٥٤م، نشرت الحلقة الأولى منه في ٨ فبراير، والثانية في ١٥ فبراير، والثالثة في ٢٢ فبراير. وكان العثور عليها مفاجأة لي إذ إنه لم يرد لها ذكر حتى في المخططات التي وضعها بخط يده عن بعض أعماله القادمة التي يرغب في جمعها ونشرها في كتب أو تلك التي كان ينوي تأليفها، خاصة وأنه في آخر عمل طبع له في حياته، أوبريت **(شادية الإسلام)** ١٩٦٩م، كان قد ذيله بأسماء مجموعة من أعماله التي لم تنشر.

وليس لدينا من تفسير لتجاهله لنشرها ضمن قوائم أعماله المطبوعة أو التي يعد بطباعتها. فهل كان ينوي إعادة كتابتها أو تعديلها قبل جمعها في كتاب كما فعل في مسرحية **(إبراهيم باشا)**، التي طبعت سنة ١٩٤٤م وأعاد صياغتها بالشعر الحر سنة ١٩٦٨م بعنوان **(الوطن الأكبر)**؟

ولعل الوقوف عند هذا النص يعيننا في الإجابة عن هذا السؤال.

* * *

يقدم باكثير في هذه المسرحية - من منظور التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة - نموذجاً للضياع الروحي والقلق النفسي الذي يعيشه الإنسان بعيداً عن الإيمان بالغيب وبسبق مشيئة الله لإرادته البشرية، ومن معارضة للدراما الغربية التي تجعل من الإنسان إلها لهذا الكون ، وتعتبر هذه المسرحيات من الناحية الفكرية والعقدية امتدادا للأعمال التي يعالج فيها باكثير قضية العلاقة بين الحب والإيمان من أوجه متعددة بدأها في مسرحية **(أخناتون ونفرتيتي)**.

ويبدو أن بطل مسرحية **(أغلى من الحب)** حامد عبدالعزيز الذي درس فن الإخراج السينمائي في أوربا قد تأثر بهذه الفكرة إلى حد كبير وهو ما يظهر لنا في موقفه من المشكلات التي يتعرض لها. يعود محمود إلى وطنه يحدوه الشوق الكبير إلى خطيبته ابتسام التي يحبها حباً عظيماً ويتلهف للزواج منها، وفي الوقت نفسه يجيش صدره بطموح أكبر يريد أن يحقق لنفسه ولوطنه به مكانة في الفن السينمائي. ولكن «المشكلة» التي يواجهها منذ وصوله مصر تبدأ حين يتذكر أنه لا يستطيع الجمع بين هذين الهدفين العزيزين على نفسه، فابتسام حبيبته شديدة الغيرة ولا يمكن أن تتقبل اتصاله وعمله مع الممثلات في الوسط الفني، وتشعل هذه «المعضلة» صراعاً في داخله يبدأ منذ الإطلالة الأولى على المسرح. أيضحي بفنه من أجل حبه أم يضحي بحبه من أجل فنه؟! وبما أنه لا يستطيع أن يتخلى عن فنه وهو رسالته في الحياة ومستقبله، فقد وصل بعد تفكير طويل وحيرة بالغة إلى حل يضمن به تحقيق السعادة لخطيبته ابتسام التي رفضت كل الخطاب من أجله وانتظرته، وهذا الحل هو أن تتزوج غيره شريطة أن يحقق لها السعادة؛ لأنه يريد أن يتجنب تأنيب الضمير إن لم تسعد في زواجها بسببه. ومع

* كان المسرح أول جهاز ثقافي يسقط في يد الاتجاه اليساري والماركسي بتعيين الأستاذ أحمد حمروش مديرا عاما للفرقة المصرية (المسرح القومي) وعضوا نافذا في لجنة القراءة. ومنذ ذلك التاريخ فرض هذا الاتجاه لونه وفكره ورايه فيما يعرض على (المسرح القومي). وأهمل مسرحيات الرواد الذي أثروا المسرح المصري بأعمالهم الوطنية وهاجموا الاستعمار وعبروا عن قيم ثورية قبل الثورة ، وكان أولهم علي أحمد باكثير الذي استبعدت مسرحياته عن العرض منذ ذلك التاريخ بعد أن كان فارس المسرح المصري منذ أواخر الأربعينيات بمسرحياته الجماهيرية الشهيرة (مسمار جحا) و(سر شهرزاد) و (سر الحاكم).

اقتناعه بهذا الحل ظل يساوره قلق - نتيجة حبه لها - ويتساءل: من الذي سيضمن له أن التي سيتزوجها سيسعدها كما أراد هو أن يسعدها؟ ولكن عمه سالم الذي يحاوره يعترض على هذا السؤال ويقول له على الإنسان أن يسعى لكن «النتائج» ليست من شأنه. وهنا يصرح حامد لعمه بأنه لا يؤمن بالقدر «أنا مسؤول عن ذلك لن يهدأ ضميري حتى أراها تسعد في حياتها الزوجية».

ومن منطلق هذا «الاعتقاد» يفسر سلوك حامد في المسرحية، ويرفض ما يقوله له عمه بأن عليه العمل وليس عليه إدراك النجاح لأن ذلك من شأن القدر الذي هو إرادة الله. ويدخل حامد في تحد صريح مع القدر الذي يعتقد أنه يستطيع أن يصنعه بإرادته فما الذي يفعله؟!

يصطنع حيلةً تجعل ابتسام تنصرف عنه حين ينشر صورة له مع إحدى الممثلات وخبر نيته الزواج منها، ويجد في شخصية صديقه الأستاذ محمود المدرس بالجامعة مواصفات الرجل الذي سيحقق السعادة لابتسام خاصة وأنه خطبها من قبل. فهل تحققت السعادة التي أرادها لمحبوبته؟

فوجئ حامد بأن ابتسام تشقى مع محمود لغيرته الشديدة التي ورثها عن أبيه كما اعترفت أمه فيما بعد، خاصة أنه قد وجد ما يسوغ هذه الغيرة إذ ظل يساوره الشك في أن ابتسام لا تزال تحب حامداً فتحولت حياتهما إلى جحيم .وهكذا وجد حامد نفسه يفشل في اختيار الموقف الذي أراده، فقد أراد أن ينجي ابتسام من نار غيرتها عليه فأوقعها في نار غيرة محمود عليها، فكان فراره - في حقيقة الأمر - من قدر الله إلى قدر الله.

ولم يصل إلا إلى النتيجة التي قالها له عمه منذ بداية المسرحية: **«مهلاً يا ولدي لا يستطيع أحد أن يتحدى القدر لأن القدر محجوب عنا إلى أن يقع فينكشف لنا حينذاك فأنت إذا حققت هدفك هذا فذلك هو القدر، وإن عجزت عن تحقيقه فذلك أيضاً هو القدر».**

ومع ذلك لا يريد حامد التسليم بهذه الحقيقة بل يستمر في عناده مكابراً محملاً نفسه مسؤولية ما حدث متهماً نفسه بالتقصير في التحري عن حقيقة محمود، فيزداد الصراع في نفسه اشتعالاً ويزيده توتراً وقلقاً ثم يصل إلى اصطناع حيلة أخرى لتطمين صديقه محمود إصراراً منه على ضمان سعادة ابتسام معه فيسرف في تشويه صورته في نفسها حينما يتصل بها هاتفياً ليواعدها سراً فتحتقره وتغلق الهاتف في وجهه، فيرتاح زوجها الذي كان على علم بما حدث.

وهنا يظن حامد أنه قد حقق هدفه فيستطيع أن يطمئن على مستقبلها وسعادتها مع محمود الذي اقتنع ببراءة زوجته. ولكن حامد لم يعلم بما يطويه القدر لأن محمود يموت فجأةً في حادث مؤلم قبل أن تقطف ابتسام ثمار الحيلة التي اصطنعها لسعادتها.

وينكسر حامد ويشعر بهزيمته أمام «القدر» الذي يباغته بما لا يخطر له ببال، ولكنه يشعر في الوقت نفسه أن ما أراده القدر لمحمود يجري لصالحه - ومع شيء من تأنيب الضمير - يجد حامد الفرصة مواتية لاستعادة ابتسام.

فقد حقق طموحه الفني ونال أعلى الجوائز العالمية في الإخراج السينمائي فما الذي يمنعه اليوم من استعادة حبيبته بعد أن هيأ له «القدر» ما لم يكن يحلم به. ولكن ابتسام ترفضه بقوة فينهار، ويحاول الانتحار تحت وطأة الشعور بانكسار إرادته أمام إرادة القدر؟ ألم يكابر؟ ألم يعلن كفره بالقدر ظناً أنه يستطيع إدراك «النجاح» بعمله وحده؟

***

لو كان حامد يؤمن بأن لهذا الكون إلها عادلا حكيما رحيما يدعو عباده للعمل وإخلاص النية ويهديهم - إن صدقوا - إلى ما فيه خير لهم وإن رأوا بعقولهم البشرية المحدودة خلاف ذلك فالإنسان الذي يؤدي ما يدعوه إليه ضميره ويهديه إليه مبلغ اجتهاده ثم لم يدرك الهدف الذي يريد ليس عليه من سبيل إن كان مؤمناً حقاً بعدالة وحكمة ربه فيستسلم لقضائه وقدره مرتاح الضمير بأنه قد أدى ما عليه وليقض الله ما يشاء.

وقد أورد باكثير هذه الفكرة على لسان (سالم) يقولها لابن أخيه حامد:

«إن القدر محجوب عن الإنسان ولكن الخير معروف له، فليتوخ الخير فيما يعمل، وليحسن نيته ثم ليدع ما وراء ذلك لله يقضيه بما يشاء عزوجل».

ومن هنا نجد أن حبكة المسرحية والصراع فيها لم يخرجا عن إطار هذه الفكرة؛ لأن حامد سعى لما اعتقد أنه خير وأحسن النية لكن إصراره على تحقيق «النجاح» بالصورة التي يريدها هو كانت تدخلاً فيما لا يملك لنفسه ولا لغيره، وكان عدم إيمانه بالغيب جعله لا يبصر أكثر مما يراه ماثلاً أمامه، وعقله لا يخترق حجب الغيب ليخبره بما هو آت فلا يقدم له إلا ما يقع في قدرة عقله المحدود.

ولولا أن باكثير أنهى هذه المسرحية نهاية سعيدة حين جعل أم محمود تكشف لابتسام سر «المكالمة الهاتفية» لتعرف براءة حامد مما ظنته به لتقبل به بعد ذلك وتتزوجه، لولا هذه النهاية لكانت هذه المسرحية قد اتخذت شكل التراجيديا الإغريقية بمضمون إسلامي وهو ما فعله في صياغته لأسطورة أوديب في مسرحيته **(مأساة أوديب)** ١٩٤٩م، لأن حامد بطل تراجيدي مكتمل المواصفات الأرسطية، فهو مثل أوديب سوفو كليس في غروره وعناده وتحديه للقدر والإرادة الإلهية، رفض كل التحذيرات وتجاهل كل المؤشرات، محكماً عقله وحده، معتمداً على إرادته وحدها في كل ما أقدم عليه من أفعال، ليقع في النهاية فيما كان يريد الهروب منه، فتكون تلك مأساته.

والبطل التراجيدي كما يعرفه أرسطو لا يكون مؤذياً أو شريراً وإنما هو إنسان تجتمع فيه عيوب شخصية تشكل «الخطأ التراجيدي» الذي يقوده إلى حتفه فيثير في نفوسنا الرثاء له والشفقة عليه.

وهذا ما حدث بالضبط مع حامد الذي كانت كل «أفعاله» طوال المسرحية تحاول «ضمان» سعادة ابتسام التي ظنها تتحقق في عدم زواجها منه، فإذا بالدوائر تدور عليه، وتبوء كل محاولاته لإسعادها بالزواج من غيره بالفشل، وتكون المفارقة أن يتزوجها هو في النهاية ليحقق «القدر» الذي فر هارباً منه لظنه أن في هروبه منه خيراً لها وله.

وهذا هو الفارق بين نهاية البطل التراجيدي ونهاية البطل الباكثيري في هذه المسرحية التي كان لابد أن تنتهي نهاية سعيدة لاعتبارات فنية وفكرية تتفق مع مسوغات رؤية المؤلف لها في ذلك الوقت على الأقل.

فالضرورة الفنية تقتضي أن تنتهي هذه المسرحية نهاية سعيدة؛ لأنها مسرحية اجتماعية على غرار ما كان سائداً في الدراما الاجتماعية أو الميلو دراما الاجتماعية الرائجة في المسرح والأفلام السينمائية في فترة كتابتها.

وفي الوقت نفسه تكون متفقةً مع الضرورة الفكرية (الخاصة بالمؤلف) التي أظهرت حامد في النهاية مدركاً لعيبه ومعترفاً بفضل الله رغم كل ما أقدم عليه، فيعود إليه اطمئنانه بعودة إيمانه بقضاء الله وقدره بعد أن عاش لسنوات في عذاب القلق الروحي والتوتر النفسي.

وبعد...

فهل اتضحت الآن ملامح الإجابة عن سؤالين: **السؤال الأول،** (أثرناه في البداية) **ما سر صمت باكثير عن ذكر هذه المسرحية ضمن سلسلة أعماله؟** والجواب على ضوء الرؤية التي قدمناها لبطل المسرحية نعتقد أن باكثير رأى أن اكتمال مواصفات البطل التراجيدي في شخصية حامد اقتضت منه إعادة النظر في تغيير خاتمة المسرحية من النهاية السعيدة التي كانت متفقة آنذاك مع المعايير الفنية المطلوبة لتحويل عمل كهذا إلى فيلم سينمائي أو عرضه على المسرح على الأقل، (وهو ما نظن أنه الهدف الذي أغرى المؤلف بوضع تلك النهاية)، لذلك نرجح أنه كان ينوي إعادة صياغتها وتغيير نهايتها دون. إخلال بالرؤية الإسلامية التي أراد باكثير رسمها للبطل الأرسطي إلى نهاية تتفق فنيا مع الاتجاه الواقعي في المسرح الحديث.

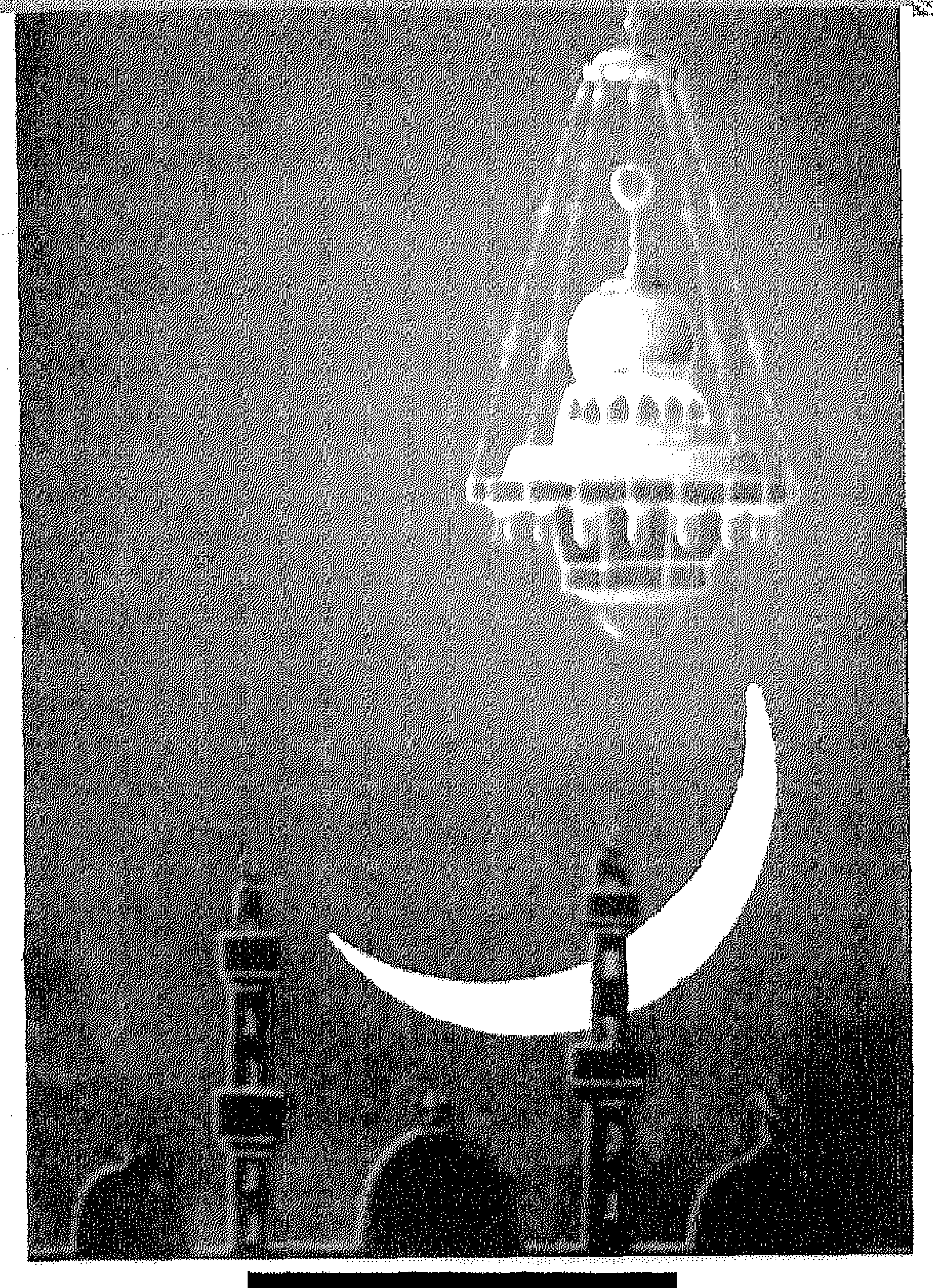
أما **السؤال الثاني** الذي سيطرح نفسه على القارئ بقوة بعد قراءة المسرحية فهو: **ما الذي يقصده باكثير بأغلى من الحب في هذه المسرحية؟**

وأظنني ألمحت إلى ذلك، وأعتقد أنه ليس من حقي في دراسة لنص لم ينشر بعد أن أكشف عن تفاصيله كافة أو أسلم كل مفاتيحه حتى لا أفسد على القارئ أو الباحث متعة التأمل والاستكشاف في هذا العمل الذي أعددته للنشر وستنشره مكتبة مصر قريبا ضمن سلسلة أعمال باكثير المجهولة.■

قصة قصيرة

من وحي رمضان

درس في الصفر



بقلم: حميدة قطب
فرنسا

أقبل رمضان...المدينة الكبيرة استعدت لمقدمه... تتبختر في أضواء تتألق هنا وهناك... تنبض بحياة جديدة تنفض عنها ركود زمن روتيني ممل...واجهات الحوانيت الصغيرة والكبيرة تتلألأ بالضوء :

أبيض، أحمر، أصفر برتقالي.... يغمض عيناً ويفتح أخرى في ابتهاج مشرق! ...أكداس من الفاكهة الجافة والحلوى والمكسرات تستعرضها الأعين أمام الأبواب المفتوحة إلى وقت متأخر من الليل .. الفوانيس الملونة ذات الأشكال الهندسية المختلفة تتدلى من فوق وتتراقص مع دفقات الضوء.. الغادون والرائحون في نشاط وبشر تسد عيونهم البضائع تلمع تحت الأنوار المسلطة التي تكسبها رونقاً جذاباً يستهوي النفس، يعبئون الأكياس من تلك البضائع التي طال إليها الشوق!...الأطفال يدورون حول الأنواع الكثيرة المبذولة في رخاء يلتفون حول الآباء يدفعونهم دفعاً إلى الشراء:

– بابا، أريد من هذا.. وهذا.. وهذا.. وذاك.. ولا تنسى الفانوس!

– أمي اشتري لي ذاك – ثم ذاك الأحمر في آخر الصف..ثم....

كان والد أحمد يخطو بخطى وئيدة يقطع الشارع الطويل المكتظ بالناس والعربات والتي تكاد أن تتوقف عن السير من شدة الزحام، في طريقه إلى تلك الحوانيت يشتري للأسرة مؤونتها من حاجة الشهر الكريم. كان يمسك بابنته الصغيرة "سلوى" في يده اليمنى، ويقبض جيداً على يدها الصغيرة في يده، وباليد اليسرى يشد يد ابنه "أحمد" كلما انحرف به السير وسط الزحام خطوات عن والده، وكان أحمد يلهث مسرعاً في مشيته يحاول أن يطاول مشية أبيه الذي يتوقف كل لحظات قليلة يجر ابنته التي تتخلف وراءه وذراعها الصغيرة في يده.. قال أحمد وهو يلتقط أنفاسه المسرعة:

– أبي.. سأصوم معكم!

– كلا يا أحمد.. مازلت صغيراً!

– لم أعد صغيراً يا أبي... لقد أتممت التاسعة منذ شهور!

– نعم، فأنت إذن صغير ما زلت.

– لماذا يصوم أخي حسن ولا أصوم أنا؟!

– حسن أتم عامه الثالث عشر.. هو كبير.. عليه أن يصوم.

– أبي ولكن أريد أن أصوم.. لم أعد صغيراً....

– وأنا أيضاً أصوم يا أبي.. (ينزلق إلى مسامعهم صوت سلوى الرفيع).

– حين نعود يا أبنائي نتحدث معاً في الأمر...اسكتوا الآن لنصل ونشتري قبل أن تغلق الحوانيت.

* * *

في الدار التي دبت فيها حركة نشطة ترتب الأشياء المبعثرة، وتعد السحور الشهي لأول أيام رمضان،

استقبل العائدون بابتسامة مشرقة: الجدة والأم والابن الأكبر الذي بقي في البيت على مضض يستذكر، فلقد اقتربت اختبارات نصف العام!

تحركت الأم الشابة بخطوات مفعمة بالبشر إلى الأحمال الثقيلة ترفعها من أيدي العائدين، وصوت سلوى الرفيع يختلط بصوت أحمد لا يكف عن الحديث يصف ويصف ما رأى هناك؛ وحركة الأرجل الدائبة بينهما وبين الجدة التي ظلت في جلستها، لا تكف كذلك...يريانها الفوانيس الصغيرة بأحجامها المتعددة وبألوانها الجميلة... وتنقل أيديهما قبضة إثر قبضة مما تحمل الأكياس إلى الجدة ثم تعود... ثم ما لبثت أن هدأت الحركة حين التأم الجمع حول مائدة عشاء خفيف، حتى يتمكن الصغار من النوم، ويقطع الكبار بها الساعات إلى أن يحين موعد السحور.

قطع الصمت صوت أحمد يطالب من جديد بحقه في الصوم، ثم تلاه صوت سلوى في ببغائية لطيفة تطالب بما يطالب به أخوها!... كان الوالد يلقي بكل ما في جعبته من أسباب ومحاذير يقنع بها ابنه ليكف عن مطالبته حين دخلت الجدة التي مازالت تتمتع بحيوية دافقة وبثقافة خصبة تدافع عن حق حفيدها، قالت:

– لقد صمت أنت يا هاشم وأنت أصغر منه عمراً... لم تكن قد تعديت الثامنة.. صمت أياماً. ثم السنة التي تلت صمت رمضان بكامله، ثلاثين يوماً، ولم تجد كل محاولاتي ومحاولات أبيك في منعك من الصيام؛ وكان الجو حاراً، فلقد كان رمضان يأتي وقتها في الصيف، وكان يوم الصيام طويلا لماذا إذن تحرم ابنك من الصوم والوقت الآن شتاء والنهار قصير.. وهو يتلهف على الصوم... نعم ألا تدعه يجرب.

وقبل أن ينطق لسان أحمد الذي شجعته كلمات جدته ليلح من جديد، كان الوالد يلقي ببقية أسانيده لإقناع ابنه.. قال:

– كان يا أمي زمان غير هذا الزمن.. كانت الحياة كلها أهدأ وأسخى.. وكانت الدراسة أقل مشقة، والسباق المجنون على الدرجات لم يكن يبدأ مبكراً منذ المرحلة الأولى.. وكانت مدرستي بجوار بيتنا فلا أضطر للصحو مبكراً، وكان العمل في كل الإدارات يتأخر ساعة في الصباح مراعاة للصيام.. ولم تكن كذلك أعصاب الناس!

– لكن ذلك كله لا ينفي يا هاشم أن الطفل في زماننا هذا محتاج لأن يمارس مبكراً ما يربطه بدينه، حتى يستطيع أن يقاوم طوفان الفساد المستشري في كل مكان؛ فإنه لم يتبق للأجيال الصغيرة من محضن يصلهم بدينهم غير بيوتهم.. إني أفضل أن تتركه يجرب.

تدخل حسن.. الابن الأكبر ليقول:

– إن أهم شيء عند أحمد هو السحور!.. ليس الصوم هو الذي يهمه!.. يريد أن يستمتع في السحور فدعوه يستيقظ في السحور!

اندفع أحمد يدافع وقد أغاظته الكلمات التي تتهمه في صدق نيته، اندفع يؤكد أنه سوف يصوم بغير سحور!

أحست الأم بالإهانة التي أصابت ابنها فتدخلت في النقاش الدائر الذي كانت ترقبه في صمت.. قالت تلطف الجو بين ابنيها:

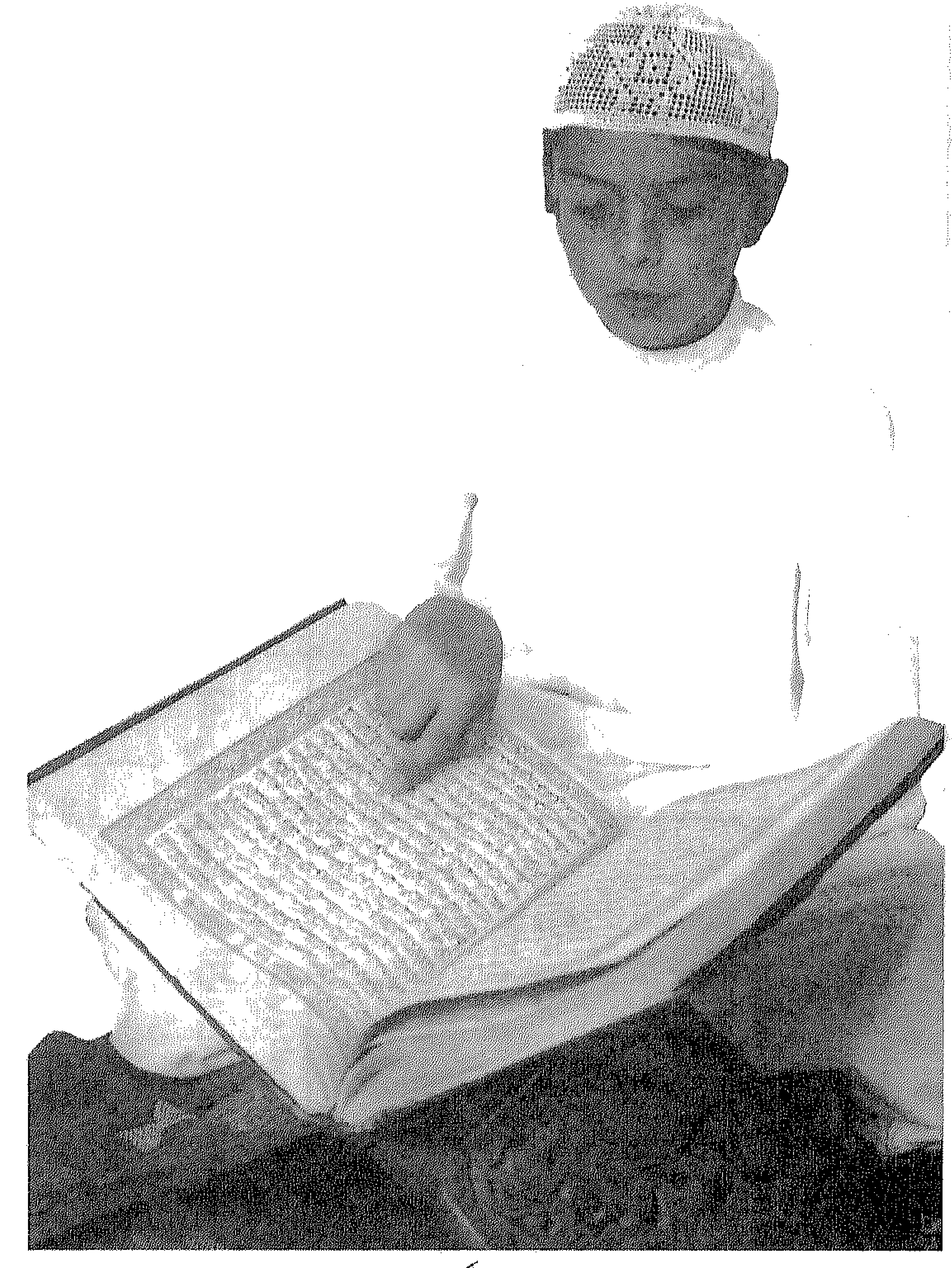
– كلا يا حسن أنا أعرف أحمد وأعرف أنه صادق في رغبته؛ وأعرف أنه يملك عزيمة رائعة رغم صغر سنه.

أكمل الأب قائلاً: سوف نسمح لك يا أحمد بالصيام ولكن بشرط أن توفي بوعدك فلا تخور عزيمتك وتفطر قبل موعد الإفطار... كذلك شرط ألا يعوقك الصوم عن دراستك.

قال أحمد بصوت منفعل يحمل كل ما في قدرته من تأكيد: نعم.. سأفعل.

أردفت الأم قائلة:

– هذا يا بني موكول لضميرك، فهذا الوعد ليس بينك وبيننا ولكن بينك وبين ربك؛ والعهد بين الإنسان وربه أمر عظيم!.. فأنت تستطيع أن تأكل وتشرب طوال اليوم ولا نراك؛ وتستطيع أن تنام في الفصل ولا نشعر بك.. ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك مع الله لأنه يراك في كل لحظة ويعرف ماذا تفعل وفيم تفكر؛ ولئن فعلت ذلك فلسوف يعلم الله أنك خائر العزيمة؛ وأنك لم تكن صادقاً فيما وعدت!..سكتت الأم هنيهة ترقب أثر حديثها على طفلها ثم ما لبثت أن أردفت قائلة: هل أنت تستطيع حقاً يا أحمد أن تبقى ثابتاً على صيامك حتى إن جعت، إلى أن يحين المغرب؟ إن قدرت على ذلك فإن الله سيرى فيك صدق رغبتك وعزيمتك فيحبك ويدخلك الجنة، وإلا فأنت في حل من الصوم يا بني ولم يفرض الله عليك الصيام بعد.. راجع نفسك ثم قل قرارك قبل أن تنام.



كان أحمد فرحاً بحديث أمه، ولم يكن في حاجة لمراجعة قراره، فهو يعرف رغبته العارمة في الصوم.. إنه صغير، أصغر من حسن.. ولكن سيكون أشد عزماً، فلكم سمع أباه يؤنبه على إهماله لدروسه، ويقول له: إنه يتمنى أن يراه أصلب عوداً وأشد عزماً!

سرح به خياله يحاول أن يرسم صورة لهذه القدرة الهائلة التي ترى كل شيء وتعلم كل شيء وتسمع كل همسة، ويخافها الناس في سرهم وفي جهرهم؛ ولكن خياله ارتد عاجزاً! كثيراً ما سأل أباه عن الله.. وما هي صورته.. أين هو.. كيف يراهم، ويرى كل شيء في لحظة واحدة، كيف يسمع كل كلمة تقال وكل همسة في ذات الوقت؟!.. كان أبوه يجيبه بأن أحداً لا يستطيع أن يعرف شيئاً عن كيفية ذلك.. ولكن الإنسان يعرف جيداً أن الله هو الذي خلقه وخلق الكون كله؛ وأنه خلق للإنسان الأرض بكل ما عليها من رزق، ومن حيوان ونبات؛ وخلق له السماء وما فيها من نجم وقمر وشمس؛ وإن الإنسان عاجز عن أن يخلق شيئاً من ذلك كما أنه عاجز أن يرى الله أو يعرف صورته! قال له مرة: إنني لا أستطيع أن أراك وأنت ابني الصغير إذا كنت في الحجرة المجاورة، فكيف أرى الله في علاه وهو الذي خلقني؟!.. قال له مرة: إن هذه المخلوقات كلها لا بد أن لها خالقاً أوجدها. وإننا كلنا مجتمعين لا نملك أن نوجد نملة ونجعلها تتحرك، إن لم يكن قد خلقها الله من قبل!!

إنه يوقن أن الله يراه ولكنه للأسف، لا يستطيع أن يظل منتبهاً لذلك دوماً! ودهمه سؤال مفاجئ: ترى هل هو مهم إلى حد أن يعتني الله به فيجعله تحت نظره في كل لحظة من لحظات يومه؟!..فحتى أمه التي تحبه كثيراً لا تفعل ذلك!.

وخطر على ذهنه سؤال عابر أجفل منه:" ترى هل يراه الله أيضاً وهو في الحمام عارياً؟".. أحس بالخجل يجتاح كيانه؛ فإنه لا يحب أن يرى نفسه على تلك الصورة.. وقد استغنى منذ سنوات عن أن تدخل أمه معه حمامه، وتولى ذلك لنفسه بنفسه؛ ولم يكن يخطر بباله أن أحداً قط يراه!.. ولكن..هل الله يرى مثل ما يرى الناس؟! وحين لم يهده تفكيره الصغير إلى جواب قرر أن يطرح سؤاله العابر على أبيه...

* * *

في موعد السحور، كان أحمد مستغرقاً في نوم عميق.. وحين نادته أمه ليستيقظ كان رأسه مثقلا بنعاس غامر.. نادته عدة مرات حتى تسلل صوتها إلى سمعه باهتاً غامضاً كالحلم.. قال وهو في نصف وعيه والنوم ثقيل.. ثقيل يخذل كل عضو في جسده: "لماذا تناديني أمي الآن؟ آه لو تتركني أنام.. أنام ولو ساعة!.. ثم .. ثم.. ما لبث الوعي أن تسلل حثيثا إلى رأسه فانتفض جالساً والخدر يغمر أعضاءه.. قال لنفسه: " هل نسيت أنه السحور؟! .. انتصب واقفاً دفعة واحدة وهو يجاهد ليزيح النوم عن عينه، ويرفع بكل وعيه جفنيه الملتصقتين وهو يردد في نفسه " كلا لن أتخاذل.. إن الوعد الذي قطعته على نفسي ليس مع أبي وأمي.. ولكنه مع الله .. الله الذي يراني حتى وأنا نائم ويعلم ما أفكر فيه.. وسوف يراني ويرضى عن فعلي وأنا أقاوم النوم أصحو لأتسحر وأبدأ صيامي".. وحين أتم صحوه ولحق بالجمع على مائدة الطعام كانت فرحة نشيطة تنعش جسمه وكان شعور حلو بالنصر يجوب مشاعره..

* * *

جاء الصباح .. أول صباح .. صحا أحمد نشيطاً رغم نقص ساعات نومه بالنسبة لما اعتاده.. ارتدى ملابسه وانطلق مرحاً إلى حافلة مدرسته.. ترى كم من زملاء فصله سيكون صائماً؟..

كانت حصة الرياضيات هي أول حصص اليوم.. لا بأس فهو متيقظ تماماً... وهو رغم إسقاط وجبة الصباح وأهم ما فيه كوب اللبن بالقهوة فلقد تناول ذلك كله في سحوره.. فهو مفعم بالنشاط ولن يدهمه الجوع.

حين سألهم الأستاذ، بعد تحية الصباح، من الصائم اليوم؟ سارع أحمد يرفع إصبعه ونفسه تذخر بوثوق مطمئن.. فاجأه أن أكثر تلاميذ فصله صائمون، أنعشته بسمة الأستاذ الراضية وكلمته المهنئة لهم بصوته المجلجل: " أحسنتم " !.." ماذا كان سيكون موقفه الآن لو لم يصم؟!.. كان عليه أن يتوارى خجلاً مع القلة الضعيفة التي أخفت رأسها وراء المكاتب والتي نصحها الأستاذ أن تجرب لذة الصيام، ولو لأيام قلائل... ولو ليوم واحد!.. هل كان سيكذب فيرفع إصبعه مع الرافعين؟!.. وكيف لو فعل ذلك.. وهل كان سيرضى عن نفسه لو فعل؛ وهو يوقن أن الله يراه ويعرف أنه مفطر، وكاذب أيضاً ؟! " امتلأ كيانه بدفقة نشاط طردت عن رأسه كل بقية من آثار النوم!

انطوت الحصص الثلاث الباقية حتى فسحة منتصف اليوم. لم يستطع خلالها أن يحتفظ بنشاطه الذي رافقه في الحصة الأولى، ولكنه كان على قدر من اليقظة يملك معه أن يستوعب حديث أستاذه وما يدور في الفصل عدا لحظات قليلة تسلبه إياها خطفات نوم، وعدا انقضاضات جوع متفرقة تناوبته أثناء الحصة الرابعة.. ولكنها الآن تمتد وتتلاحق، يحس أنها تقبض على معدته بيد قوية لا تريد أن تنفك.

* * *

انطلق التلاميذ الصغار إلى الطابق السفلي في طريقهم إلى المطعم، وتزاحم بعض تلاميذ السنوات العليا على (المقصف) في الردهة الواسعة يشترون بعض المأكولات والحلوى!.. عجب من هؤلاء الكبار كيف يرضون ذلك لأنفسهم أمام الناس.. بل أمام الله!... ألا يعرفون أن الله يراهم؟!.. هو أفضل منهم، ولسوف يظل على صومه حتى موعد الإفطار مهما عضه الجوع!

الجوع!. فظيع هو هذا الجوع؛ لم يجربه من قبل بهذه القسوة... يحسه يقضم أمعاءه.. يجوس في داخله لا يوقفه شيء. يغور . يغور في أعماق بطنه.. يحسه يصعد إلى حلقه غثياناً تتقطع منه أنفاسه وتخور منه قواه. كيف يوقف سعاره ذلك؟!..على أقرب منضدة يجلس.. يضغط على بطنه الخاوي بكلتا يديه ويغمض عينيه ويدعو الله أن يرفع عنه شدته. خلسة تتسلل إلى حسه صورة.. يرفضها.. يقاومه بكل ما تبقى من مقاومة، بكل وعيه المتبقي، ولكنها تستمر أمام عينيه المغمضتين. هاهو يقطع الخطوات القليلة إلى (المقصف) .. هاهو يمد يده مشيراً للبائع إلى تلك الحلوى التي اعتاد أن يشتريها والتي طالما تناولها في مثل هذه الساعات أكثر الأيام. هاهو البائع يناوله إياها، ويذهب هو إلى الخزينة ليدفع. هاهي ذي في فمه يقضمها بلذة لا تقاوم!.. لن تراه أمه. لن يراه حسن فيسخر منه.. لن يراه أحد!....

يصحو من حلمه اللذيذ المفزع: " كلا كلا.... لا يكون ذلك أبداً.. إنها هزيمة مخزية!... لسوف يفرح فيه حسن ويلذعه بالكلمات؛ وسوف تعاتبه أمه... كلا.. فهو لم يعد طفلاً صغيراً لا يملك نفسه... إنه الآن كبير في السنة الرابعة هو!.. عزيمته قوية كما قالت أمه. ثم كيف يظن أن أحداً لن يراه؟!.. أليس الله يراه!.

ألم يقسم أنه سيحفظ صيامه وهو يصر على الصوم أمام معارضة أبيه... ألم يقل أمام الجميع أنه قادر على أن يصون صيامه وأقسم بالله على ذلك!"

تراءى له وجه جدته وهي تدافع عنه بالأمس... كيف يواجهها إن أفطر ولم يستطع الصمود هكذا من أول يوم؟!.. لكم هو يحبها ويتعلق قلبه بها، ولكم يحب أن يرضيها!.. كان منذ طفولته المبكرة ينام بين ذراعيها.. كان ذلك حتى قبل أعوام ثلاثة حين انتقل إلى حجرة أخيه أخذت سلوى مكانه... لاتزال كلماتها الهامسة في الليل ودعاؤها الضارع إلى الله كل مساء حتى يأخذها النوم ترن في أذنيه وتمتلئ بها نفسه ويهتز لها قلبه.. كان دعاؤها الذي تلح به على الله هو أن يرضى عنه فيدخله جنته.. أن يحفظهم ويحفظ عليهم دينهم حتى يلقوه وهو راض عنهم... كان دعاؤها يتردد في أذنيه ويضرع به قلبه الصغير دون أن يدرك حقيقة معناه!... الآن تتبين مشاعره الطريق إلى رضاء الله.. أن يغالب

ضعفه وينتصر عليه .. أن يكون صادقاً ولا ينقض وعده. وألا يكذب على الناس والله يراه!

حين دق الجرس لدخول الفصول كانت هجمة الجوع قد بدأت تخف والقبضة القوية التي تقبض على أحشائه قد أخذت طريقها إلى التلاشي! أحس بنشوة الانتصار؛ فهاهوذا قد نجا من أثقل لحظات ضعفه، ولم تغلبه نفسه!. امتلأت روحه اعتدادا وثقة ، أحس أن قامته تعلو، فرفع رأسه ومشى منتصباً نشيطاً إلى فصله...



* * *

حملت حصة اللغة العربية هذا اليوم إلى قلبه دفعة من العزم ومعلومات جديدة زادت من ثقافته وثباته... حدثهم الأستاذ عن الصيام قال لهم إنهم ما زالوا صغاراً لم يفرض عليهم الصيام بعد، ولكن من الخير لهم أن يعرفوا شيئاً عنه، من الخير لهم أن يجربوا عزائمهم وقوة شخصياتهم وصلابة مقاومته بأن يصوموا ولو لأيام قلائل .. قال لهم: إن الصوم ليس فقط الامتناع عن الطعام والشراب ولكنه أيضا الامتناع عن كل عمل قبيح... إنه الامتناع عن الكذب فما أقبح الكذب عند الله... وهو الامتناع عن الاعتداء على حقوق الغير... عن الإساءة للآخرين ولو بكلمة، عن تخريب المرافق العامة التي هي ملك للجميع... عن معصية الوالدين.. عن السباب والتلفظ بقبيح الألفاظ . عن كثير مما اعتاد البعض أن يفعله دون أن يشعر بخطئه.. قال لهم: إن الصيام يردع الإنسان عن الشر وعمل السوء، لأن الصائم يكون قلبه وتفكيره مع الله، فهو لا يصوم إلا له، ولا يتحمل الجوع والعطش، ولا يتنازل عن الكثير من رغائبه إلا من أجل رضاه، وهو حريص دائما على ألا يفقد ثواب صومه بعمل يغضب الله.. ومن أجل ذلك فالله يجزي بالصوم جزاء عظيماً ويضاعف ثوابه أضعافاً كثيرة؛ وإن للجنة باباً واسعاً اسمه "باب الريان" يدخل منه الصائمون فقط، محبة من الله لهم... ثم قال لهم: للصائم فرحتان، فرحة حين يفطر، وفرحة حين يدخله الله الجنة!

كان قلبه يلتقط الكلمات بشغف فتحدث في روحه دوامات نشوة لم يعهدها.. إنه من هؤلاء الذين يحبهم الله فيدخلهم من هذا الباب الواسع إلى الجنة.. أحس أنه يكبر ويكبر... إن شيئاً جميلاً رائعاً يتفتح في داخله... إن الكثير في كيانه يتبدل... ينمو... يتسع.. إنه يجتاز عالمه الصغير إلى عالم آخر منير واسع العلم.. كم سيكون خاسراً لو لم يصم؟!

* * *

حينما انتهى اليوم المدرسي وعاد إلى الدار كان النهار قد أوشك على الرحيل، وكانت الدار تمور بحركة نشيطة مفعمة بالبشر لم يعهدها عند عودته كل يوم... كانت أمه تتنقل في نشاط ومعها السيدة التي تعاونها تنتقلان بين المطبخ وحجرة المائدة تعدان مائدة الإفطار السخية احتفاءً بأول أيام رمضان.. قفزت إلى نفسه فكرة أبهجته.. فهاهو ينتظر الإفطار بفرحة غامرة ولم يتبق غير دقائق قليلة.. فرحة تمحو كل ما عاناه في نهاره من الجوع والعطش والرهق؛ تماماً كما قال لهم الأستاذ: "للصائم فرحتان......" وهو أيضاً سوف يفرح فرحته الثانية حين يدخله الله الجنة!

حين أعلن مدفع الإفطار انتهاء أول أيام الصوم، كانت الأسرة التي لا تلتقي على الطعام إلا لماماً، كانت تجتمع حول المائدة في إشراقة ود لطيفة؛ وكان أحمد الذي يخوض التجربة لأول مرة صامتاً تمور في داخله عشرات المشاعر والفكر وقفزت إلى رأسه كلمات أخيه التي أغاظته.. فهل حقاً صام من أجل السحور.. أليس السحور مبذولاً أمامه لو أفطر طوال اليوم.. وهل يستطيع السحور وحده أن يملأ مشاعره بهذا العالم المشرق الجميل؟!.. فهل يا ترى قد عرف قد أخوه حقيقة صدقه وقوة عزيمته!

أحس أنه يكبر.. يصبح رجلاً.. يمتلئ قلبه باعتداد وثقة.. وبقرب من الله.. وعلى وجهه كانت تنساح ابتسامة راضية تضيئ ملامحه. ■

في ليلة القدر

شعر : د . حيدر الغدير
السعودية

ملأني يقينا لا حد له أني أحد الذين أكرمهم الله بالظفر بليلة القدر

ظفـرت بهـا وغـشـاني أمـان | وقـر بهـا ضـمـيري والجنان
وحـيـتني عـوارفـهـا اللواتي | بـسـمن كـأنهن الأقحوان
وعـاينت القـبـول وبشـريات | كـأن السـعـد فـيـهـا مـهـرجـان
زففن إلي أن العـفـو غـدق | ودون مـداه ينعـقـد اللسـان
فـمـا الغـيـث الهـتـون وإن توالى | ومـا شـم الجـبـال ومـا الرعان
ومـا شـمس الصـبـاح ومـا بحار | زواخـر ضـاحك فـيـهـا الجمان
ومـا الأفـلاك جلت واشمخرت | ومـا الأفـاق طال لهـا عنان
بـأغنى من عـطـايـاه اللواتي | تبـاح ولا تـغـيـض ولا تشان

* * *

أتين يقلن: إن العفو ضاف | وواهبـه الجواد المستعان
مـداه يزيد مـا امـتـدت أمانٍ | له وامـتـد في الدنيا الزمان
ومـا امـتـد المكان وسـاكنوه | ومـا صـدح المؤذن والأذان
عـوارفـه الدنى طولا وعـرضـا | وضـاء مـسـتطابات حسان
وفـيـه حـيـثـمـا ترنو خوان | عليه في مـحـاسنهـا جفان
مـبـاحـات وسـيـمـات مـلاء | تزين ضـيـوفـهـا وبهم تزان
وعـم الشكر في قلبي وروحي | وقل الصمت عنه والبيان

* * *

وأسـرى بي اليـقين فـبـعض مـا بي | عـوالم والحبـور لهـا دنان
ولاح الفوز يدعوني إليه | وهش إليّ يدعـوني الأمان
وجـئت الحشر قـد غـفـرت ذنوبي | طليـقـا لا أدين ولا أدان
أنادي قـد ظفـرت فـيـا لسـعـدي | و جـود الله والثـقـة الضمان

* * *

صـحـوت من الأمـاني بيـد أني | على ثقـة بهـا لا تستـهـان
وملئني أن عـفـو الله كـون | فـلا إنس يحـيط به وجـان
وأن غـدي بهـا أعلى وأغلى | وأن تمام نعـمـتـه الجنان

في حوار مع رئيسة لجنة الأديبات في رابطة الأدب الإسلامي العالمية:

الدكتورة رجاء عودة:

الأدب الإسلامي أدب حياة

دكتورة رجاء محمد عودة أكاديمية عصامية ، وأديبة إسلامية تعد قدوة ومثلا للمرأة المسلمة في الجمع بين القيام بواجباتها الأسرية زوجة وأما، وبين طموحها في إكمال تعليمها حتى بلغت قمة الهرم التعليمي الأكاديمي أستاذة جامعية.

فرغم زواجها المبكر في المرحلة المتوسطة فقد تابعت تعليمها بالانتساب إلى جانب ابنتها وفي الصف نفسه في المرحلة المتوسطة والثانوية ثم الجامعية.

وهي بعد ذلك كاتبة وأديبة إسلامية تسير في الحياة على بصيرة ، حاملة عبء الدعوة الإسلامية من خلال الكلمة الأدبية الهادفة حتى اختيرت من قبل رابطة الأدب الإسلامي العالمية رئيسة للجنة الأديبات فيها خلفا للأديبة الإسلامية الكبيرة سهيلة زين العابدين حماد، وقد أجرينا معها هذا اللقاء:

حوار: شمس الدين درمش

*** نرجو إعطاء القراء والقارئات موجزاً عن مراحل حياتك العلمية والعملية .**

تزوجت قبل الحصول على الشهادة المتوسطة لظروف عائلية، ثم أنجبت خمسة أولاد، لكن جذوة حبي للعلم ومتابعة الدراسة التي تركتها مرغمة ما زالت تتقد في نفسي، حتى إذا أتيحت لي الفرصة، أقبلت عليه إقبالاً شديداً. وبهذه المناسبة لن أنسى فضل المملكة العربية السعودية علي بإتاحتها الفرصة للطالبات المتزوجات اللواتي لم تساعدهن الظروف الأسرية بمتابعة تعليمهن قبل الزواج باستكماله بعد الزواج في المدارس النظامية بيسر وسهولة، وفي أية مرحلة، مع توفير كافة الحوافز المتاحة للطالبة غير المتزوجة، وبالنسبة لي .. فقد بدأت رحلتي الدراسية بعد الزواج عندما طرحت الرئاسة العامة لتعليم البنات - جزى الله القائمين عليها خير الجزاء - نظاماً جديداً لامتحان الشهادة المتوسطة وهو نظام (السنة الواحدة) حيث يتاح للطالبة امتحان ثلاث السنوات بامتحان واحد .

ومما ساعد على الانبعاث النفسي للدراسة أن ابنتي الكبرى كانت تدرس معي في المرحلة نفسها، فكانت رفيقة دربي العلمية لعدة سنوات . حيث حصلنا على الشهادة المتوسطة معاً، ثم على الثانوية، إلى أن انتهت تلك الرحلة بالدكتوراه، مع اختلاف التخصص، وكان نجاحي في المرحلة المتوسطة قوة دفع خفية، إذ كانت بمثابة الخطوة التي يقطعها المرء لمسافة الألف ميل، تلك التي توجت - بفضل الله - بدرجة الدكتوراه في اللغة العربية مع توصية اللجنة المناقشة بطباعة الرسالة .

*** هل الزواج المبكر عقبة في سبيل التحصيل العلمي أمام الفتاة الجامعية؟ نرجو الإجابة من خلال تجربتك الشخصية .**

لم يكن الزواج عقبة في سبيل التحصيل العلمي، إذا توافرت العزيمة الصادقة، ومساعدة الزوج وتشجيعه، ثم بتنظيم الوقت واستغلاله في حقل الدراسة . ومن واقع تجربتي الذاتية لم يكن الزواج عائقاً لي، لأن الدراسة كانت أمنية غالية في حياتي، فحرصت على اغتنامها عندما سنحت لي الفرصة، وكان زوجي- جزاه الله خير الجزاء - خير مشجع لي ومسانداً على تجاوز العقبات التي صادفتني، وكنت أستغل كل دقيقة من وقتي للدراسة والتحصيل، حتى عندما أقوم بأعمالي المنزلية كانت كراسة المحاضرات والكتاب الجامعي يرافقاني إلى المطبخ، حيث لم يكن لدي وقت كافٍ للدراسة دون إنجاز الأعمال المنزلية، ولم تكن لدي حينئذٍ مساعدة في المنزل تتحمل عبئا من هذه الالتزامات . هذا فضلاً عن العناية بأولادي الستة تربوياً ودراسياً، وكانوا بحمد الله متفوقين دراسياً .

وإلى جانب ذلك كنت بعيدة عما يشغلني عن جو الدراسة، فمثلاً كنت لا أزور ولا أزار إلا للضرورة القصوى، حيث كنت أعتبر ذهابي إلى الجامعة منطلقاً ترويحياً يغنيني عن النزهات الأخرى . وكنت أستمتع حقاً في أجواء الجامعة، وأشارك بمعظم الأنشطة الثقافية، ونلت بعض جوائزها في مسابقة القرآن الكريم، والقصة القصيرة .

وكان حب المنافسة العلمية ميداناً ممتعاً لإثبات الذات، واستثمار الوقت، وعدم الإحساس بالفارق العمري مع الزميلات . والحمد لله أثمرت هذه الخطة للدراسة، فقد حصلت على درجة البكالوريوس بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وكنت الأولى على دفعة التخرج لذلك العام .

أما مراحلي العملية، فقد عينت معيدة، ثم محاضرة، فأستاذاً مساعداً لمادة الأدب القديم . إلى جانب تعييني رائدة للنشاط الثقافي والعلمي والفني في مركز الدراسات الجامعية للبنات في جامعة الملك سعود

*** من اهتماماتك التي ظهرت في حياتك العلمية العناية بالأسرة في الأدب العربي القديم، نرجو إعطاء فكرة عن مضمون رسالة الماجستير : (شعر الأسرة في العصر الأموي) .**

كان اختياري لموضوع الماجستير ثمرة بحث دائب حول نوع من الشعر يتجاوز المواقف الرسمية، وشعر المناسبات إلى شعر يتغلغل في أعماق الحياة، ويؤدي وظيفته فيها .



ومن هنا وضعت يدي على نوع من الشعر له صلة بالحياة، ويتفاعل معها، وهو : (شعر الأسرة في العصر الأموي) ولقد اخترت العصر الأموي لسببين رئيسيين، الأول : أن هذا العصر قريب العهد من عصر التدوين، فهو يقوم على دعائم أكثر اطمئناناً من سابقه . والسبب الآخر : هو الكشف عن وجه آخر للعصر الأموي في شعر وجداني مداره الصدق، لم تطمس معالمه الأحداث التاريخية، والصراعات السياسية.

وقد أفضت هذه الرسالة إلى نتائج مهمة، كان منها : أن العصر الأموي ساده الوئام الأسري بخلاف ما عرف من العصر نفسه من الصراعات السياسية، والثورات المتعددة . وهذا يعكس مدى دور الأسرة في ضبط موازين الحياة والمجتمع . كما يدل على أن شعر الأسرة كان متطلباً وجدانياً من متطلبات الحياة، حيث وجد فيه الشعراء السكن النفسي، والدفء العاطفي الذي يتفيؤون ظلاله كلما أعيتهم متاعب الحياة وهمومها

وقد سعدت جداً بهذه الدراسة حيث قادتني إلى اكتشاف معلم أدبي جديد، هو (غزل الحليلة) وهو غزل لم يسلط أحد الضوء عليه، مع أنه واضح المعالم، ويعد بحق : البعد الثالث للغزل في الأدب العربي إزاء اللونين الآخرين : العذري والصريح لا سيما وهو معاصر لهما زمنياً ومكانياً . وقد أطلقت عليه (غزل الحليلة) مقابل (غزل الخليلة) الذي يمثله الغزلان الآخران، سواءً كان عذرياً أم صريحاً، فهما غير جائزين شرعاً، لهذا يندرج هذا الغزل بقوة في أثناء الأدب الإسلامي شكلاً ومضموناً . وهو قد شكل مطلباً حيوياً، ومنطلقاً مشروعاً للتعبير عن مشاعر الحب والود ؛ ولا غرابة أن تحتل الزوجة هذه المكانة من قلب زوجها وعطفه، فهي النصف المكمل للرجل، فبها تكتمل سعادته، ومعها ينشأ مجتمعه الصغير، وبمساندتها يتغلب على صعاب الحياة، وإليها يفضي عندما تثقل كاهله هموم الحياة . وهي عونه في السراء والضراء . وهي فوق هذا وذاك سكن نفسه، يتفيأ معها ظلال المودة والرحمة، قال تعالى: ﴿ومن آياته أنْ خلق لكم مّنْ أنفسكُمْ أزْواجا لّتسْكُنُوا إلیْها وجعل بيْنكُم مّودّةً ورحْمةً﴾(سورة الروم-٢١).

وقد استغرب بعض الناس أن يتغزل الزوج بزوجته، لأن الغزل يحتاج إلى معاناة وجدانية تلهب خيال الشاعر وأحاسيسه، وقد رددت على هؤلاء من واقع النصوص بأنّ أوضح ظاهرة في شعر الأسرة سواء على صعيد النصوص الشعرية أم على صعيد الشعراء، كانت ظاهرة (غزل الحليلة) إذ بلغ عدد الشعراء القائلين فيها ثلاثة عشر شاعراً كان منهم ستة من المشهورين . حتى إن أحدهم وهو (هدبة بن الخشرم العذري) قد صدر أكثر شعره رسائل ودية إلى زوجته، حتى قضى في السجن عدة سنوات، كانت مصدر بثه وسلواه . هذا فضلاً عن أن كثيراً منهم كان يستشعر الحنين والشوق لزوجته وصغاره، وهو بعيد عنهم إما في ميادين الجهاد، أو لطلب الرزق، أو السعي لنيل العلم، وسوى ذلك .

ومما لفت نظري أن هذا الشعر تميز بخصائص فنية عن الغزلين الآخرين، فمثلاً كان شاعر غزل الحليلة يعتد بنسب زوجته وأصالتها، وحبها له، وحنانها عليه، بحيث لا يطول غيابها عنه، في حين كانت توصف الأخرى بهجرانها وإخلافها وعدها، فضلاً عن أنه لا يعتد بنسبها وكرم منبتها !!

ومن ناحية أخرى كان يصور جمالها من ناحية أمومتها، فيشبهها بالغزالة التي تحنو على ولدها لتخلصه من شوك شجر السلم، ذلك الشجر الذي يعشق الغزال الاختباء فيه، لكنه يغوص فيه، فيصف

د. رجاء محمد عودة في سطور

- من مواليد دمشق ١٩٣٩م.
- حصلت على البكالوريوس في الآداب من جامعة الرياض ١٤٠٠هـ.
- وعلى الماجستير في اللغة العربية من جامعة الملك سعود ١٤٠٧هـ.
- وعلى دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها من جامعة الملك سعود ١٤١٦هـ.
- تعمل أستاذاً مساعداً في قسم اللغة العربية بمركز الدراسات الجامعية للبنات في كلية الآداب بجامعة الملك سعود بالرياض.
- رئيس لجنة الأديبات في رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤٢٣هـ.

جمال وطول عنقها من خلال هذا الامتداد الحاني على وليدها.

ومن النتائج الأخرى التي أبرزتها الدراسة : شخصية المرأة في العصر الأموي: وهي شخصية المرأة الفصيحة البليغة، ذات الشخصية القوية التي حددت مسار حياتها وفق إرادتها، وتحقق إنسانيتها، مما جعلها معلماً بارزا لمرحلة حضارية متطورة، سبقت فيها كل المؤتمرات الدولية للمرأة بعدة قرون ! ولعلي قد أطلت في الحديث عن مضمون رسالة الماجستير، لكنني أجد أن بيان هذه السمات ضرورية لإبراز مكانة تراثنا الأدبي الإسلامي ومعالمه الحضارية في عصر العولمة !!

*** وماذا عن رسالتك للدكتوراه واهتماماتك فيها ؟**

أما رسالة الدكتوراه والتي وسمت بعنوان (أدب البنوة في نثر العصرين الأموي والعباسي الأول) فهي معلم آخر من معالم تراثنا الحضاري الإسلامي، ولن أطيل في بيان ما توصلت إليه من نتائج، ولكنني سأنوّه بملمحين بارزين، الأول :أن هذا الأدب الذي مرت به مئات السنوات من (٤١-٢٣٢هـ) مازال أخضر ندياً يعايش حياتنا، ويخالج وجداننا، ويمس قضايانا، ففي الوقت الذي صور علاقات الآباء بأبنائهم، وحكى حكمتهم وتجاربهم من خلال : الوصايا والرسائل، والخطب، والأمثال، والحوارات، عني أيضاً بتكوين الناشئة الذين هم حجر الزاوية في بناء الحضارة، وأجال نظره في كافة ميادين نشاطهم، فعبر بذلك عن مرحلة ناضجة للفكر الإنساني في تشكيل الشخصية السوية المتوازنة .

وإذا كانت قيمة التراث تقاس بمدى ما يستطيع رفد الحياة المعاصرة بمقومات بناء حاضرها ومستقبلها، فأحسب أن هذا الأدب قادر على الإسهام في ذلك، لأن له سابقة ومثالاً، فقد عني بتكوين أولئك الرواد الأوائل للحضارة الإسلامية، أمثال : عبد الملك بن مروان، وابنه الوليد، وعمر بن عبد العزيز، وهارون الرشيد، وابنه المأمون، وسواهم، لأن هذا الأدب دار حول هذه الشخصيات وصدر عنهم، فكان كثير من الخلفاء والولاة والقواد مستقبلاً ومرسلاً للتوجيهات البنوية، إلى جانب أن هذا الأدب شكل ركيزة من ركائز التراث الأدبي، لاحتوائه على غالبية الألوان النثرية التي شكلت النثر العربي في حقبة شملت نضج النثر العربي وازدهاره .

أما الملمح الثاني لأهمية أدب البنوة فهو : القيمة المرجعية للنصوص البنوية على صعيد الدراسات الإنسانية الأخرى : التاريخية والاجتماعية والتربوية، فعلى صعيد الدراسات التاريخية تعد النصوص البنوية وثائق تاريخية سياسية هامة، شكلت أحداث العصر، وأنظمة الحكم فيه، وقدمت الأطروحة المنهجية للسلطة النموذجية لقيادة الأمة، على مستوى صلاح الراعي والرعية .

وعلى صعيد الدراسات الاجتماعية عنيت النصوص بالتنشئة الفردية والاجتماعية، كما طرحت قانون التكافل الاجتماعي يعززه قانون العقوبات لصيانة هذا القانون من التهاون والإهمال . فضلاً عن كشفها عن التغير الاجتماعي الذي واكب مسيرة المجتمع العربي من العصر الأموي إلى العباسي .

وعلى نطاق الدراسات التربوية استطاعت النصوص البنوية التأصيل لمنهج تربوي متكامل على مستوى النظرية والتطبيق ؛ إذ حققت المفهوم الشامل للتربية باعتبارها عملية تنمية للشخصية الكاملة المتوازنة . وهذا المنهج التربوي سوف يحقق تطلعات وآمال خبراء التربية الإسلامية في إيجاد مناهج تربوية إسلامية، دون اللجوء إلى النظريات الغربية التي قد تتنافى مع قيمنا الإسلامية، وهو على هذا يعد موضوعاً خصباً لدراسة تربوية مقارنة .

*** هل تقول د. رجاء إن الأدب الإسلامي له وجوده القوي في أغراض أخرى غير أدب الدعوة الإسلامية المباشر ؟ وبالتالي هل يمكن أن نقول : إن الدعوة إلى الأدب الإسلامي اليوم ليست دعوة إلى شيء جديد بل هي إبراز وتأكيد لما هو موجود؟**

أولاً: إن الأدب الإسلامي هو أدب حياة، لأن الأدب لا ينفصل عن الحياة، بل هو مرآتها، وصورتها التقويمية الفنية بصورة فنية موحية . وليس هناك أفضل من الإسلام كمعيار تقويمي للحياة، لأنه منهج الله الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (سورة فصلت - الآية ٤٢). وهو منهج الخالق لخلقه الذي

يعلم وحده ما ينفعهم وما يصلحهم . وهل هناك أحد يستطيع أن يضع منهجاً لصنعة أفضل من صانعها .

فالأدب الإسلامي هو هوية الأديب المسلم . وعندما ينطلق هذا الأديب في تعبيره أياً كان موضوعه من رؤية إسلامية، وبصورة تعبيرية موحية، يعد هذا الأدب أدباً إسلامياً بكل أبعاده الجمالية والموضوعية طالما أنه لم يخالف التصور الإسلامي . وهذا يوضح لنا أن الأدب الإسلامي لا ينحصر في إطار الدعوة الإسلامية، شعراً كان أم نثراً، وإن كنا نعتز بهذا الأدب الهادف لخدمة الدعوة ؛ ذلك الأدب الذي كان ركيزة في نصرة الإسلام، ومنافحاً عن حياض الشريعة والعقيدة، في كل زمان ومكان، وقد لا أبالغ إذا قلت: إن الأدب الإسلامي الدعوي بصورته التعبيرية الموحية يحقق غاية خلق الإنسان، وواجب العبودية لله، وذلك بأداء حق أمانة الاستخلاف في الأرض التي هي في أجلى مظاهرها : الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

ثانياً : إن الدعوة إلى الأدب الإسلامي ليست بدعاً من القول، أو بعبارة أخرى ليست دعوة إلى شيء جديد ؟ بل هي إبراز ومعايشة وتفاعل لما نؤمن به عقيدة، وسلوكاً، ونظام حياة . فكما قلت: إن الأدب الإسلامي هو هوية المسلم، أياً كان موقعه، ودرجة التزامه، فيكون معبراً عن ذاته وانتمائه ورؤيته ونظرته للحياة .

*** ما رأي د. رجاء بقيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية بعقد الملتقى الدولي الأول للأديبات الإسلاميات بالقاهرة، وهل شاركت في هذا الملتقى، وبماذا أسهمت فيه؟**

يعد هذا المؤتمر معلماً بارزا من معالم الأدب الإسلامي، ورسوخ قدمه على الساحة الإسلامية والعالمية . فهذا المؤتمر الدولي الذي عقد لأول مرة على مستوى العالم الإسلامي قد حقق ثماره الطيبة، بتفعيل دور المرأة المسلمة على مستوى التنظير والتطبيق ؛ فعلى مستوى التنظير حقق بينها وبين الرجل المساواة في الإنسانية التي منحها لها الإسلام، فأتاح لها الحضور والمشاركة في المؤتمرات والندوات، بإبداء رأيها، واحترام فكرها . ومن الناحية الأدبية فقد حقق هذا المؤتمر ولأول مرة الفرصة لتقويم أدب المرأة المسلمة سلباً أو إيجاباً، أو بعبارة أخرى : تقويم هذا الأدب ماله وما عليه . وقد تم ذلك من خلال محورين : -

الأول : بيان أن الحركة الأدبية النسائية - بوجه عام - لم تنهض على أسس إسلامية، إذ بدأت هذه الحركة تتجاذبها التيارات الفكرية الغربية، بشتى توجهاتها تلك التي كان منها الدعوة لتحرير المرأة، ومساواتها بالرجل، ونبذ الحجاب، والدعوة إلى الاختلاط، وما إلى ذلك . فكان هذا المؤتمر وسيلة لتسليط الضوء على هذه التوجهات الأدبية وتياراتها الفكرية، وما آلت إليه حال المرأة نتيجة ذلك !!

وتمثل المحور الأول بتقديم نماذج أدبية لبعض الأديبات الإسلاميات اللواتي كان أدبهن منبثقاً عن المنظور الإسلامي، فكان لأدبهن تأثير بالغ في تنشئة الأجيال .

أما المحور الثاني : فطرح من خلاله تحديد دور الأديبة الإسلامية، وتذليل ما قد يعترض طريقها من صعوبات.

وقد طرح في هذا المؤتمر أكثر من ثلاثين بحثاً تم فيه إلى جانب تقويم أدب المرأة ماله وما عليه موضوع (الأديبة الإسلامية وأدب الطفل) طرح من خلاله عدة بحوث تبرز ضرورة اقتحام ميادين الكتابة للأطفال بصياغات جديدة تخاطب الأطفال برؤية معاصرة مواكبة لمتغيرات الحياة، بحيث تكون مبشرة بالإسلام، ومحافظة على ثوابته وقيمه .

وقد سعدت بالمشاركة بهذا الملتقى ببحث عنوانه: (الأديبة الإسلامية وقضايا الأمة، سهيلة زين العابدين - نموذجاً-

وقد حقق هذا الملتقى بفضل الله، ثم بجهود القائمين عليه أهدافه التي فاقت كل التوقعات، وأخص بالذكر جهود مكتب القاهرة وجهود الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الذي بذل جهداً جباراً لعقده، وترتيبات نجاحه، وكذلك الأخت الأستاذة سهيلة زين العابدين حماد الرئيسة الأولى للجنة الأديبات الإسلاميات، ورئيسة اللجنة التحضيرية للملتقى . وقد جاءت جلسات الملتقى تعمها روح الأخوة الإسلامية الحقيقية التي نفتقد أجواءها في كثير من الندوات والملتقيات الأخرى . ■

عندما يغرب الجلال

شعر: سلمان بن زيد الجربوع
السعودية

رمضان – يا مجلي الجلال – ترفقاً ... هلاّ التفت إلى ربوعك مشفقا

هلا نظرت إلى بنيك، ففارقٌ ... مل الصراخ، وموشك أن يغرقا

هلا منحتهم السعادة زورقاً ... في لجة الأحزان يتلو زورقا

هلا ابتسمت.. فملء أنفاس الربى ... هم يكاد – لحره – أن يحرقا

هلا وعدت.. ولو تناءى موعد ... فلقد تناءى حلمنا، وتمزقا

رمضان ما بال الوجوم يجيبني؟! ... أم كيف ترحل عن حبيبك مطرقا؟!

* * *

الأمة الثكلى تعانق دمعها ... لا نضرة ترك الأسى.. لا رونقا

في كل ناحية نواح ضائع ... ومطامع تذر الجميع مفرقا

رمضان، ملهمة القصيد تصيح بي ... فيم البقا – يا شاعري – فيم البقا؟!

أنعيش كي يغزو العدو قلوبنا ... متمادياً، متماجنا، متفيهقاً؟!

أنعيش كي يغدو الوليد مشرداً ... ومهاده يؤوي الغريب مصفقا؟!

أنعيش كي يحسو المسافر دمعه ... سيان.. غرّب في الدنى أو شرّقا؟!

ومواكب الأبطال ترحل.. لا النوى ... أشجى.. ولا دمع الحنين ترقرقا

* * *

قف – يا هلال العيد – لا تطلع فما ... درب تلقفنا، ولا دمع رقا

قف – يا هلال العيد – لا تطلع ففي ... أعماقنا حزن سقانا واستقى

إن شئت أن تحيا مساك باسماً ... مغرورقاً بالبشر، أو مغدودقا

فامنح بلاد المسلمين تفاؤلاً ... فلقد قسا ليل الإياس، وأقلقا

وأعد يتامانا إلى بسماتهم ... وأعد روابينا إلى أهل التقى

نفث المواجع في الفؤاد فأرقا ... نفث المواجع في الفؤاد فأرقا

هلا رحمت سهادنا ببشارة ... قبل الرحيل، فقد يعز الملتقى

* * *

وتلفت الشهر الكريم فليلنا ... عبق.. وشلال الضياء تدفقا

وحنا علينا.. كيف لا يحنو وقد ... قرأ الملامح لهفة وتحرقا

ودعا، فأشواق النفوس تزاحمت ... ترجوه أيسر ما يكون – فأغدقا

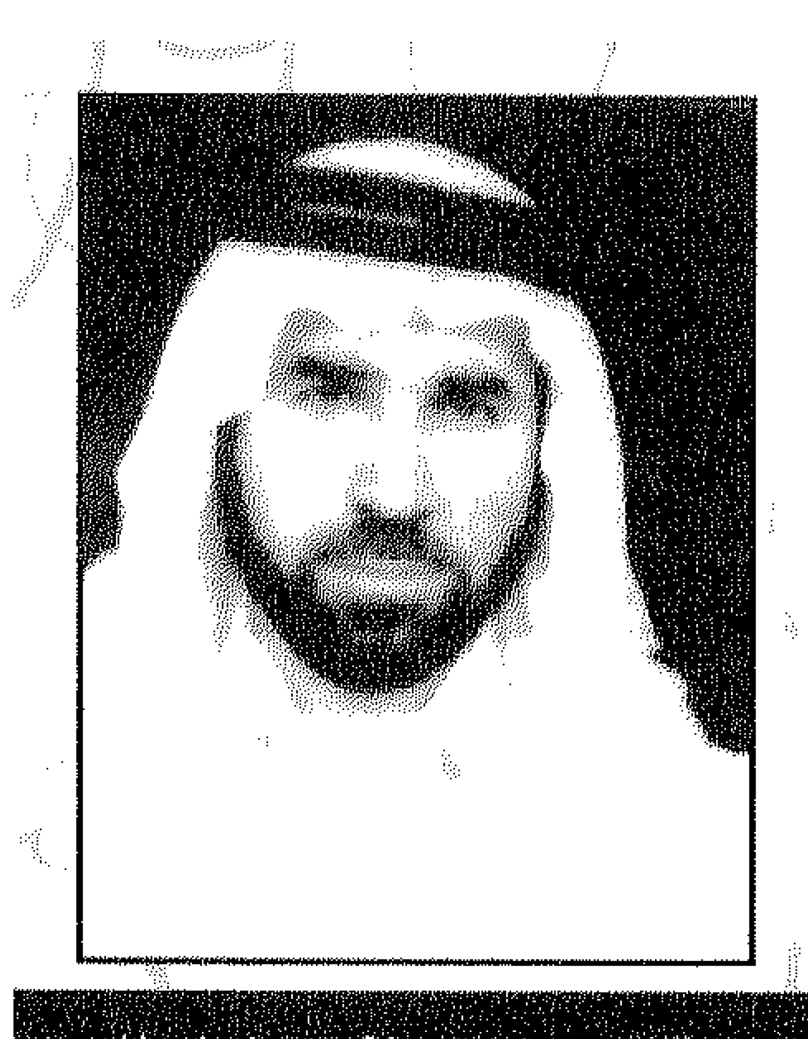
وسمعته لما تهيأ للنوى ... يستنطق الأمل الجميل المشرقا

عوجوا على ربع الهدى فلكم دعا ... ربع الهدى أسرى الضياع فأطلقا

عوجوا.. يعد غصن الهناءة مورقاً ... ويطر هزار المكرمات مشقشقا

بنية الملحمة الإسلامية في تهويمات يقظان

شعر د. عبد القار رمزي*



بقلم: د. مصطفى عليان**

شعر هذا الديوان قصيدة واحدة أو ديوان في قصيدة واحدة، إذ إن قصائده السبع ذات رؤية موحدة في معاناة أمة الإسلام، وهمها الذي ناءت بحمله ألف عام من تغير الحال وتبدل المآل.

فالقصيدة الأولى "يقظان" قطب مدارات الملحمة الإسلامية في الديوان، إذ في تهويماته وأحلامه، وأوهامه وآماله، وتساؤلاته ونداءاته، مرتكز الهم، وأساس المعاناة، وقدرة التغيير التي أشرق بها المكان حين تبدل الإنسان "ويبدأ الإنسان من جديد / رحلة الإيمان" (ص٦٦).

ثم جاءت "الملحمة" تداعياً لألف عام من تاريخ الأمة في الضياع والعطاء، غير أن الأغراب بعد ذلك "اجترحوا كبائر الحروب" قصداً لخنق مشعل الضياء، فاحتدم الصراع ألف عام.

وجاء الوقوف أمام حصن خيبر في القصيدة الثالثة نتاجاً تلازمياً لاستحكام الظلام حول خيمة يقظان، فتخاذل الساق، وكَلَّ الساعد، فعاش والأمة حال انعدام. (ص٢٧).

في حمى هذه الحالة من الانعدام عاشت الأمة في "المتاهة" وهي القصيدة الرابعة، تدب في مسيرة انتحار، تمارس السباق معصوبة الأعين (فوق حافة الدمار) حتى ألِفَتها وأضحت هذه المتاهة جميلة.

وغدت الأمة في ظلال ذلك (عاجزة كليلة) و(مقودة ذليلة) والحيرة على ذلك (طويلة طويلة).

ولكن يقظان يصل إلى مرحلة الرجولة فينقلب الحال في نهاية المتاهة مفازة، فتأتي "بشائر" وهي القصيدة الخامسة، حين يعود النور للوهاد والتلال، وتشرق الأنحاء، وتزدان الأشياء، ويسبح الإصباح والإمساء، ويرى يقظان فاعلاً في مهمته العليا.

وتذوب الساحرة الزرقاء التي "امتلكت نوافذ المكان والزمان، وسكرت معابر الفضاء" ومارست الإجرام في بلاد المسلمين حين أغرقتهم في لجة الدماء

وفي الوقفة الأخيرة فوق النطع "تكتمل دورة الملحمة، ويقتل يقظان الغريب الذي عاث في الأمة المسلمة تغريباً وترهيباً وتشتيتاً وتدميراً وتقتيلاً:

ويستحيل كتلة من الدماء
ويشرق المكان
ويبدأ الإنسان من جديد
رحلة الإيمان

بهذه العلية، حقق الشاعر لبناء ديوانه رابطة موضوعية، وبالسببية ذاتها هيأ الشاعر بقصائده بنية قصصية ذات حكاية تاريخية متنامية السرد، انتظم الزمان فيها نيفاً وعشرة قرون، تقلبت فيها الشخصية الجمعية، التي كان يقظان فيها نموذج أمة، فوق انسحاق الواقع وتردي إنسانه، ونشوء البشائر بالنهوض منه.

الصراع في المسار الملحمي

وتشكل الصراع في هذا المسار الملحمي بين (الأنا) و(الآخر) في ثنائية ضدية تباينت أنماطها البشرية ونماذجها الإنسية ،إذ وقف يقظان

متصديا للغريب (الأجنبي) الذي جمع في ظله القريب، فضلا عن النائم من أبناء الأمة، ولا فرق بين القريب المستظل بالغريب والنائم الغافل، فكلاهما معضد للغريب وفعله في ترسيخ المأساة .

وأحسنَ الشاعرُ إذ حرَّرَ يقظانَ من المكان، لأنه نموذج أمة، متوحدٌ بالناس عامةً فيما يقاسونه ويعانونه، فهو يهتم بأمر المسلمين في كل بلد من بلاد الإسلام لأنه واحد منهم:.

لكنه بعد ذلك لا يني ولا يفتر عن التعلق بهداه وآماله، فالإصرار على الوصول يحمله على المناورة والمراجعة:

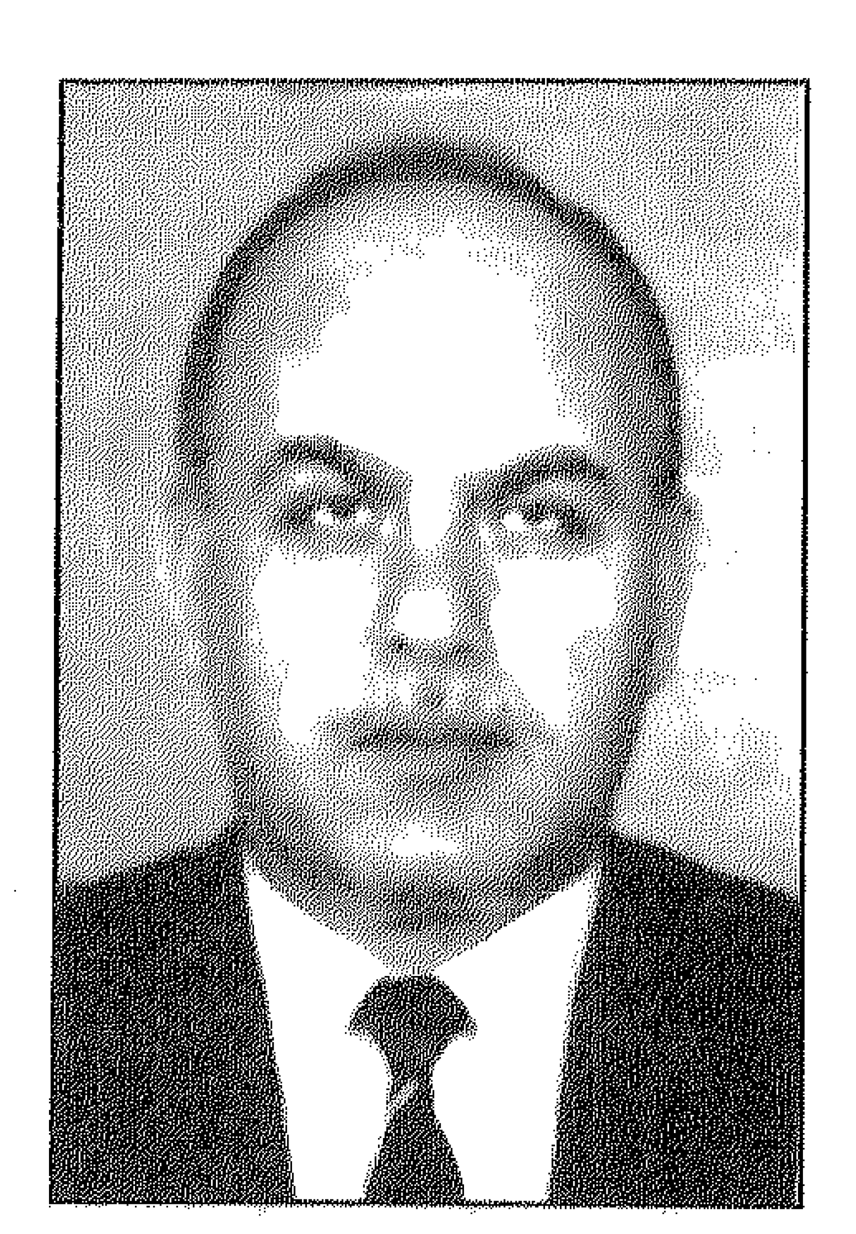
ينفر... يعود... يلوب
يلتقط الحصاة والحصاة
يقذفها في غير ما اتجاه
يعض تارة عصاه
يعود للهروب (ص١٣)

وبلور الشاعر هذه المعاناة بصور متلاحقة متعاقبة، تشكل همه وحزنه، فهو يعيش مأساة من لا يستطيع حولاً ولا طولاً.

ويقظان بريء أيضاً من القبلية والعشائرية والإقليمية المحدودة باللون أو اللسان، بل لا يرفع من شأنه الثراء والرخاء ولا شرف المكان وطهارته، (ص٩).

ولما كان يقظان يحمل هذه النفسية، فإنه يجسد شخصية كل مسلم في هذا الجانب، إذ يعيد كل من يلتقي به الظل والمدى في آن، والصوت والصدى معاً، فلا فرق بينهما في هذه المتناظرات، فالأنا هي النحن في هذه الملحمة، و الفرد هو الجماعة، والمسلم هو الأمة

ولم يعرض الشاعر المرتكز الفكري في شخصية يقظان للضوء الشديد، بل جعل المتلقي يكشف أبعاده في موقف


د. عبدالقادر رمزي

يقظان من الإنسان والحياة، فقد أدرك الخلل فلم يعتزله، ولم يتصوف دونه، بل واجهه بالمسير متسلحاً بالوعي.

ومصادر هذا الوعي عند يقظان، قرآن يزيل به حجب الظلام (ص٤٠)، وآيات قتال، وصيحات جهاد، ومهمة عالمية "نعمر الأكوان ونسعد الإنسان"، فضلاً عن طاعة الله في ركوع وسجود وتسبيح، ويقين باتصال عالم الغيب بعالم الشهادة تعزيزاً وتأييداً، وتجربة تاريخية مميزة ولئن غاب بعض هذه المصادر بالنسيان، فإن ذلك يعني اختباء الجذوة إلى حين ينفخ عنها الرماد.

والشاعر إذ حرر يقظان بوعي من المكان، فإنه وسع ارتباطه بالزمان حين جعل حركته مطلقة تراوح بين ما كان قبل ألف عام، إذ انسكب النور وأشعل الحياة واكتملت خلافة الإنسان، وما كان بعد ذلك من تقاطر الأغراب واجتراحهم كبائر الحروب ألف عام، وبذلك أوجد الشاعر مفارقة درامية مؤثرة في المتلقي لإدراك الواقع بالحال والتعجب منه، والسخرية من الرضى به، والحفز على تغييره، إذ إن رؤية يقظان لا لبس فيها ولا التواء:

لا قرار
لا نجاء
لا أمان
إلا إذا استعاد دورة الزمان
وانبجس الذي سوف يكون
من ذاك الذي قد كان (ص١٠).

والأغراب هم (الآخر) الذي أنهض الصراع مع (الأنا) في هذه الملحمة الشعرية، وظل الالتفات إليه قائماً بامتداد قصائد الديوان، فقد تقاطروا من وراء أبحر الضباب بطبائع الذئاب مستهدفين الإسلام:

أبوا عليّ أن يكون مشعل الضياء
في يدي
ينير بي الآفاق
وأن أكون قائد المسيرة(ص١٩)

ونجح الأغراب بإلحاحهم وإصرارهم (ألف عام) في تغييب (الأنا) عن مصادر قوتها وأساس مجدها (المصاحف والمناسك والجهاد)، واشتدت المعاناة، وبلغت ذروتها حين قام حصن خيبر الجديد، فعاشت (الأنا) المسلمة حالة انعدام في التفكير والحياة، إذ حيل بينها وبين مصادرها الفكرية والنفسية والمادية.

ولم يغفل الأغراب عن جانب اجتماعي تخيره الشاعر بذكاء ودلالة لماحة، حين انعطف إلى الكرم الذي هو لون من الفروسية في حياة العربي والمسلم، فاستيقاد النيران وذبح الخراف وهشم الثريد وإشباع الجوعى، دوال رامزة بفصاحة عن الانتماء الأصيل للحياة الكريمة الشجاعة، (ص٣٢).

واقع الأمة في الملحمة

وأبدع الشاعر في تصوير حال الأمة في هذه المرحلة (حالة انعدام)

بصورتين؛ كانت الأولى منهما صورة اليراع:

قد عشت هذا القرن حالة انعدام
... يراعة خرقاء
فوق بحر غاضب الأنواء
حالك الإظلام (ص٢٧)

وهذه الصورة تمثل في الظاهر التناهي في الضياع وعدمية المكان والوزن والاتجاه؛ بما أحاط من البحر واتساعه، وغضب أنوائه، وعتو أمواجه وإظلام أنحائه. لكننا إذا ربطنا بين اليراعة هنا، واليراع في قوله:

ولا تضل ومضة الشراع
ولا تموت نبضة اليراع

فإن ثمة عمقاً وراء الظاهر، قد ندركه في ممارسة الوعظ ومعاناة الكتابة، على الرغم من أن كل ذلك بلا فائدة وإلى شتات، كما يرى الشاعر في مطلع القصيدة.

والصورة الثانية صورة الحرباء:

قد عشت هذا القرن مثلما الحرباء
أجيد الاصطباغ (ص٣٥)

وهي صورة تبدو في الظاهر ممثلة للنفاق، مشخصة للتلون، وهو ما يؤخذ من دلالة الاصطباغ وفن الاختباء، غير أن باطن الصورة يشي بالحزم في هذا الموقف (أمام حصن خيبر الجديد) خاصة أن الحرباء توصف بالحزم، فيقال: "أحزم من حرباء"، وفي السياق من الألفاظ ما يعزز ذلك في: أجيد الاصطباغ، أتقن فن الاختباء، آكل التراب في الخفاء، وكل ذلك من باب القدرة والارتباط بالتمكن، خاصة أن الصحوة جاءت في وقت اشتداد الأعداء.

لغة الخطاب في الملحمة

ويأتي خطاب يقظان للآخر، سواء المستظل في حمى التغريب، أو النائم في سبات عميق، تحذيرياً انفعالياً، إذ أخرجه الشاعر بأسلوب الإنشاء (الاستفهام والنداء والأمر)، والاستفهام ذو طبيعة تنبيهية انفعالية. وحال النداء حال الاستفهام في بعث خاصية الانتباه والتركيز عليها، فضلاً عن شمولية البلاغ واتساع المدى فيه، ولا يبتعد الأمر عن ذلك، إذ إنه طلبٌ في شدة، إذا كان في سياق انفعالي، على أن في اجتماع هذه الأدوات معاً ما يفيد تقييد الانفعال دون إطلاقه، وفي ذلك تناسق في الأثر والتأثير الإيجابي:

أيتها الألقاب
يا مطية العذاب
تساقطي في قيعة السراب
وأغربي عن الحياة
أيتها الجباه
يا رقاع الاستذلال
ترفعي عن السجود للحواة

ويعمد إلى النفي وتأبيده، والحصر وتقييده، في تأكيد رؤاه حين يشتد نذيره، ويمتزج ذلك بألوان من صور عدمية محسوسة ومعقولة مقرونة بالسين وسوف تقريباً وتبعيداً، ترهيباً ووعيداً.

لا قرار
لا نجاء
لا أمان
إلا إذا استعاد دورة الزمان
...
... ستقطع القلوب من آمالها
وتفصم الأشياء عن أشكالها
ستفلت العقول من عقالها
ويخلع الكلام عن معناه (ص١١-١٢).

وعلى الرغم من هذه الحدة في خطاب الآخر من أبناء الأمة، إلا أن يقظان رغب عن توجيه الاتهام الصريح لمن صار بحاله إلى هذا المآل، فلاذ بالفاعلية إلى المجهول غير المعلوم في الحرمان والمنع (حرمت أن أذوق من ثمار طيبة / حرمت أن أعابث الكثبان / حرمت أن أداعب السلاح / حرمت أن أصادق الشجعان / منعت أن أستوقد النيران / منعت أن أعقد الرايات) وكل ذلك أمام حصن خيبر الجديد.

وفي السياق ذاته هرب يقظان الفاعل في الحالمين "الذين يشرثرون"، وتستبين العلة في هذا اللواذ بالمجهول، والهروب من المعلوم في قوله:

مكبلون
يسرحون في الظلام ثم يُحبَسُونْ
ويحلمون بالسلام
ويُحرَقونْ (ص٤٧)
فهل في الإيحاء غناء عن ذلك ؟!

وكان المنتظر أن يكون خطاب يقظان عنيفاً للأغراب الذين تقاطروا من خارج الحدود، وهم على التحديد أهل حصن خيبر الجديد، والساحرة الزرقاء، غير أننا نفاجأ بانقلاب التوقع، حين بدا يقظان مستدعياً أحواله في الحرمان والمنع والحبس، ومسترجعاً آماله في حمل الدعوة وصيحات الجهاد أمام حصن خيبر، ولا يتجاوز خطابه له جملة واحدة ذات تركيز وعزم وتأكيد، (ص٤١).

وكذلك يقال عن الساحرة الزرقاء التي أعتمت بقبة السماء، وملكت نوافذ المكان والزمان، حيث حاد يقظان عن خطابها إلى رسم صورة مشهدية دموية ناطقة بالإجرام:

رأيتها تقتلع العيون
من محاجر العيون
وتأكل القلوب والأحشاء
وتلعق الدماء
والخلق حولي يجأرون
يغرقون
في الدماء (ص٥٩)

ومــرد هذا التــبــاين في الخطاب والموقف، لعلنا ندرك علته في أن يقظان لا يرى جـدوى في خطاب هذا الجنس من الأغراب،لأن الخطاب نافع فاعل لمن كان له قلب عقول ونفس مميزة، أما من كانت الصورة الدموية السابقة منهجه، فإن خطابه لا يكون إلا من جنس فعله، على أن خطاب الساحرة الزرقاء بهذا، هو الخطاب عينه لأهل حصن خيبر، فالشيء من معدنه لا يستغرب(ص٥٨).

رؤية إسلامية للصراع في الملحمة

والشاعر متفائل باندحار الآخر في هذا الصـراع، جـاء ذلك ظاهراً في جانبين، الأول منهما: كان تنفسياً موضعياً لحدة الانفعال، واحتواء للشدة في تصوير الأزمة، ومعادلا لارتفاع نبرة الخطاب في مواقف يقظان المختلفة في الملحمة، وكان تقريرياً تارة وتعبيرياً تارة أخرى.منذا يحول بينه وبين أن يعود

والثاني منهما: قامت به البشائر التي جاءت مجتمعة في موقع متناسب، وحركة الملحمة موضوعياً وزمانياً كما سلفت الإشـارة إليـه في التنامي القصصي، وهذه البشائر نتاج تلازمي للتفاؤل الذي انتظم مواقف يقظان في الجانب السابق.

والتفاؤل في كلا الجانبين يكشف عن رؤية إسلامية لسنن الله عز وجل في التغيير والتبديل، وقد وعى الشاعر ذلك حيث جسده في صورتين دالتين على واقع التصور الإسلامي:

الأولى: أن تبدل الحال وتغيير الواقع حركة كونية ودورة حيوية أودعها الله في ملكوته، وهو مقدر في تنظيمه الكون والحياة:

مقدورة سريعة المآب
مقدورة سريعة الحساب

لذلك ألحّ الشاعر على صورة الريح تحمل الغبار وتركم السحاب وتجلب البروق والرعود، وصورة العواصف في نشر البذور في أماكن متباينة من الشعاب والمروج، والتلال والسفوح والجبال(ص٢٤).

الثانية: الإعداد بلا هوادة، فالاستعداد بلا ملل ركن هام لإصابة نصر الله الذي وعد به لمن ينصره بالتأييد والتعزيز والظهور، وقد عبر عنه الشاعر بصورة مشهدية درامية جميلة في قوله:

ضمي إليك كنانتي
ما قد بريت من السهام
قد رشتها بقوادم الأيام
عاماً إثر عام
وزرعتها في أعين الصرعى
وآناف النيام
لتؤول آطاماً بناها الصاغرون
إلى حطام (ص٤١)

وتنامى التفاؤل بانتصار (الأنا) المدحورة المقهورة على (الآخر) بطغيانه وصلفه، فكان شمولياً في صورة مشهدية قصصية (الوقفة الأخيرة فوق النطع) خيالية ذهنية، ذات غرابة ورهبة، وشناعة وقسوة:

دفعت نحو المسخ
عيناه هوتا جحيم
ورأسه قرنان ممتدان لاهبان
ووجنتاه قطعتا صفيح ذائب
ومنخراه فتحتا بركان
تقذفان الجمر والدخان
ومشفراه جثتان
تطفحان بالصديد والديدان

وهذا الموقف (فوق النطع) جاء قوياً شديداً، وتعادلياً تقابلياً للمشاهد الحسية الجزئية، والتقريرية الفكرية التي نثرت في الملحمة. على أن التفاؤل بمرجعيته النفسية والفكرية يظل صورة الواقعية الإسلامية التي لا تهتف للضعف، ولا تستكين لإغرائه، بل تستكنه أسبابه، وتنهض إلى تغيير حاله، مهما تكن قوة أركانه، واستقرار قيعانه؛ لأن المقادير مقدورة بقدرها في سنن الله التي خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

إسلامية التصور في الملحمة

وإسلامية التصور في تهويمات يقظان ليست في بعض آية اقتبسها بمهارة الدكتور عبد القادر رمزي في قوله: (فليت قومي يعلمون يا ليت قومي يعلمون) (ص١٤) لينهي بها خطاباً لقومه الذين يسخرون ويزعمون ويرجفون، شأن حبيب بن مري في نصحه لقومه حياً وميتاً (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي)[1]، وليست الإسلامية منظورة في معجم الألفاظ التي شملتها الملحمة في "آيات القتال" و"صيحات الجهاد" (ص٣٧) والضلال والرشاد، والمصاحف والمناسك (ص٢١) والفساق (ص٤٨) الملاك (ص٥٣) والسجود (ص٥٤) والشيطان (ص٦١) والإيمان (ص٦٦)، وإن كانت هذه وتلك من العلامات ملامح دالة على بعض مخزون التصور الإسلامي، لكن الإسلامية في تهويمات يقظان في هذا الموقف الشامل الواعي لهموم الأمة، الراعي لنبض المعاناة فيها، المشخص لدائها والمبلور لأدوائها، إنها منهجية اليقظة لمن يحاول النهوض من الغفلة، أو من يحاول بعث الآخر من سباته ورقاده، فالإسلامية الأدبية تصور فكري في تعبير أدبي لا يقف عند حدود الاستعانة المباشرة أو غير المباشرة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة،

إنها التميز الذي أراده الإسلام لأدبه وأدبائه في التعبير بما يتعدى ما يلوح في ظاهر النص إلى ما يجول في داخله من فكر وإحساس، وما يشخص من مواقف دالة على الإسلامية، ورؤى مرشدة بإيحاء على المذهبية[٢].

إسلامية التعبير في الملحمة

وإسلامية التعبير في هذا الديوان تراها ماثلة في هذه الإبانة والوضوح الجميل الذي عمرت جوانبه، وهي الصفة البيانية الجوهرية للأدب الإسلامي في إشباع المرسلة الدعوية لتشكيل ذوق المتلقي المسلم أولاً، ثم تنتهي بحمله على السير في ركب الدعوة لتغيير الواقع المتردي بالفساد، بعد أن يكون قد نبه فهمه، وأصابت مرانة التلقي مداركه.

والوضوح ارتداد عن صقالة الرؤية البينة، والفكرة المتجلية لصاحبها بالماهية والتحديد، أما المعنى المغيب في دهاليز التعبير الغامضة وطرائق التركيب الملتوية، فهو ناتج التعقيد المذموم "لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض، حتى احتاج السامع أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى إليه من غير الطريق"(٢)، ولا تعلق لمثل هذا التعقيد بالإشارة، ولا ارتباط له بالإثارة، ولا صلة له بالفكر والرؤية لدى المتلقي، لأنه مؤالفة بالتعمية، ورغبة في سلوك طريقها وإن كان وعراً، فصاحب هذا المذهب "يعثر فكرك في متصرفه، ويشيك طريقك إلى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، بل ربما قسم فكرك،وشعب ظنك حتى لا تدري من أين تتوصل، وكيف تطلب"[٣].

وعلى ذلك كان للوضوح في هذا الديوان تبعات كثيرة في شرف اللفظ وانتقائه وسلامة التركيب وجمال بنائه، وبراءة النظم من التكلف، وتجافي الدلالة عن التعسف.

فقد انتقى الشاعر اللفظ مما قرب مأخذه، ووضحت إشارته، وكان دقيقاً في دلالته، قوياً في الانسجام مع سياق التعبير ونسقه، بل إنه أضفى على بعض الألفاظ شرفاً وأصالة في استخدامه لها، على الرغم مما يظن من انتمائه للتداولية عند العامة مثل:

انسكب النور على مطارحي
واشبع الجوعان
وسكرت معابر الفضاء

الرمز في الملحمة

وفي انتخاب الرمز في هذه الملحمة جانب آخر من شرف اللفظ، حيث تجاوز الشاعر رموز التاريخ الإسلامي مع حاجته لها في التداعي، وظل وفياً لحماسته ضد الأغراب، فلم يلتفت إلى مخلفاتهم في الأساطير والرموز على الرغم من طغيان بضاعتهم، بل التمس رموزاً جديدة ذات إشارات مبتكرة وإيحاءات متعددة، فالخيمة التي تردد ذكرها في الصراع بإحكام الظلام حولها، واللهاث المحرق لمظاهر الحياة فيها، وتقويض أركانها، رمز دال على أكثر من مقصود، والساحرة الزرقاء وإن كانت دلالتها مقيدة على معين (أمريكا) فهي مفتوحة على أصحاب العيون الزرقاء جميعاً، كذلك يقال عن انتقاء الخنساء العربية، والنطع والمسخ وحصن خيبر الجديد، فضلاً عن رموز سبقت الإشارة إليها في صور هشم الثريد وذبح الخراف، والريح والعواصف والرعود والبذور.

ومما تهم الإشارة إليه في هذا المجال، أن معجم النعوت التي وصف بها الآخر في هذا الشعر لم تجانب الالتزام بشرف اللفظ، وكانت كما يلي:

الحواة (ص٨،١٤) طبائع الذئاب (ص١٨) انتابهم سعار (ص٢٠) الأقزام (ص٣٤) الطغام (ص٣٤) الصاغرون (ص٤١) مسقط الأقذار (ص٤٤) الفساق (ص٤٨) المسخ (ص٦٤).

مطالب الشعرية في الملحمة

وتعهد د. عبد القادر رمزي مطالب الشعرية في بناء التراكيب وإيقاع القصيد؛ أما في بناء التراكيب فقد أعمل فيها التهذيب والصقل بالاستبدال والتحويل في كثير من الأحيان؛ فجاءت تحمل صوراً ذات طرافة وبهجة، كما في الوجوم والذهول (ص١٣).

وشكل الأحلام في صورتين مميزتين بالفن، الأولى:

أحلامنا شراع
يرسمه السراب
ينشره العذاب والضياع (ص٤٦)

والثانية:

أحلامنا إماء
يلهو بها الفساق (ص٤٨)

وبهذه البنائية المشكلة للتراكيب بمطالب الشعرية تناول الشاعر العبارات المأثورة المتداولة، فأضفى عليها جدة في السياق، وحاد بها عن الجاهزية في التعبير:

كأن أرضاً لا تقلني، بدلاً من/ أي أرض تقلني
كان سماء لا تظلني، بدلاً من/ أي سماء تظلني

وهذا التشكيل الباني للتراكيب بالشعرية وإن انتظم كثيراً من جوانب الديوان، فقد نازع في ديمومة اطراده ظواهر عدة:

الأولى: التزام الشاعر بالجملة ذات البناء النحوي التقليدي من غير عدول في نظامها بالحذف، أو تغيير نسقها بالتقديم والتأخير، إذ لا يصادف القارئ ذلك إلا في مواضع معدودة، وهي كما يلي:

كم ضاق بي جوز الفضاء
كم في فؤادي استكبر الحطام (ص٥٧)

...

- في الغابة الموحشة اللفاء
رأيتها الساحرة الزرقاء (ص٥٧)

...

- مكبل الساقين واليدين
على جزيرة منكرة الأنحاء
كريهة الشطآن
في مكان يجهل المكان
وفي زمان ينكر الزمان
وجدتني أمام ذلك المسخ (ص٦١)

...

- إلى انهيار
ذلك المسار (ص٤٣)

الثانية: نثرية العبارة الشعرية، وذلك نتاج أمور عدة، أحدها: بساطة التعبير وعفويته ووضوحه، الذي سبق القول إنه ظاهرة جمالية، ذات غايات توصيلية تأثيرية، وثانيها: بحر الرجز، الذي هو نثر مسجع في إيقاعه كما يقول الزمخشري، إذ تمّحي في حدوده الفواصل بين الشعر والنثر خاصة إذا لم تكن اللغة فيه ذات إغراب وقوة مميزة في الاختيار، ولم تنخرق تفاعيله بالزحاف. وثالثها: الحشو الذي طال الجملة الشعرية أحياناً بزوائد متباينة المواقع، فاكتسبت به ترهلاً وتسطحاً وتقريراً، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

- ويستحيل أن يستنقذ الهداة فطرة الإنسان. (ص١٢)

- وسوف لن تطلع شمس تنجب النهار (ص١١)

- أصبح الليل نهاراً دائم الإبصار بي (ص١٦)

- وتحت جبهتي
ينبجس الزلال كلما سجدت (ص٥٤)

ومن ذلك أيضاً زيادة (ما) بين المتضايفين، كقوله:

- اعتصرت نفسي مثلما الزيتون
استقطرت روحي مثلما العنقود (ص١٧)

والثالثة: الواقعية، وهي في الشعر ذات سمات نجدها ماثلة في هذا الديوان، من حيث إنه يصور الحياة والطبيعة كما هي بإضافة قليل من الخيال، وهو سجل أمين، ليس فيه مبالغة أو مغالاة أو تعقيد، ومباشر في طرح الفكرة، وصادق في انفعاله، موجز في تعبيره، وهو بعد ذلك سطحي في معرفته، حسيّ في تشخيصه وتجسيمه.

الإيقاعية في الملحمة

وأما الإيقاعية في الديوان، فهي السمة الأسلوبية الأظهر، إذ إنها ذات قوة طاغية في إحساس المتلقي، حين قصد الشاعر بحر الرجز إيقاعاً متوحداً في الوزن في سائر قصائد الديوان، وهذه المقصدية تعزز توجهه إلى البنية الملحمية، على أن هذا البحر قليلاً ما جاء سالماً من الزحاف في هذا الشعر، أي أن وحدة الإيقاع (مستفعلن) لم يكن تكرارها نمطياً متماثلاً، بل خرق الشاعر ذلك؛ بالاعتماد على ما يصيب هذه التفعيلة من تغيرات، فعمد إلى (مفعولن) و(مفاعلن) و(مفتعلن) كثيراً، وهو بهذا الصنيع أكسب موسيقى الملحمة إيقاعاً منوعاً متناسقاً والأحاسيس المتباينة التي بثها يقظان في خطابه، هذا من جهة، ومن الموسيقى الخليلية تأصيلاً بالالتزام بالبحر وزحافاته دون تمرد أو خروج، على الرغم من طول الملحمة من جهة أخرى، وهو بذلك يعطي الدليل على قدرة مميزة في نفس شعري طويل مديد أصيل، ويكشف خذلان فعل العابثين بالأوزان المختلفة والتفاعيل المتباينة في القصيدة الشعرية الحديثة، ويُسقط دعواهم في أن النظم الرتيب مدعاة الضيق، وباعث الرتابة وهادم التوقع عند المتلقي.

وأغنى الشاعر إيقاعية الملحمة بوسائل عديدة، فتجاوز الأصوات بتلاؤم وتناغم منظور إليها برعاية لافتة، حتى فيما تعسر مجاورته منهجيا في ذلك.

لا ينتمي إلى عشيرة
ولا إلى لون ولا إلى لسان
ولا لأخصب السهول
ولا لأنضر الوديان
ولا لأشرف البحار
ولا لأطهر الشطآن (ص٩)

وعمد الشاعر إلى إيقاعية التجانس والاشتقاق في المناسبة بين الأصوات، ببساطة وفاعلية:

تحس أن ما تراه من رؤاه
وأن ما أنسيت
لا ينساه
وأن ما يشجيك
قد أشجاه
وأن ما قاسيته
يحياه (ص٣)

على أن أغنى وسيلة في إيقاع هذه الملحمة كانت القافية التي عُني بها الدكتور عبد القادر رمزي عناية مميزة،

فالقافية المتعانقة والمتقابلة كانت أظهرَ إيقاع في هذه الملحمة:

قدْ طال حبسي في المحاق

وضل سيري في العماء

وحلمت حلم الانعتاق

بلا اهتداء

فضاع من خطوي السياق

وتاه عن عيني الضياء (ص٣٦)

وقد تزدوج القافية بتماثل رأسي فتزيد الإيقاع تطريباً وتنغيماً، فيتصل بإيقاع ترجيع المعاني في المقابلة والتضاد ومراعاة النظير، انظر ذلك في قوله:

من البعيد

يجاور الظلال

يستنطق الوهاد والتلال

يستبطئ الوعود والآمال

يخاطب التراب والسراب

يلعن النفي والاغتراب (ص٦ وانظر ص٥٥)

فالتزام الألف واللام في الظلال والتلال والآمال، والألف والباء في السراب والاغتراب، ظاهر المزاوجة في النغم المتماثل، وكذلك في الفعلين "يستنطق" و"يستبطئ"، وبالتقابل المتضاد أقام العلاقة الترجيعية بين الوهاد والتلال، وبمراعاة النظير جمع الوعود والآمال في نسق، والتراب والسراب في نغم، والنفي والاغتراب في نظام من الإيقاع المعنوي.

حركة الزمن في الملحمة

وحركة الزمن في قصائد الديوان المشكلة للملحمة، اجتمع في سياقها الماضي قبل ألف عام، حيث كان مشعل الضياء في يد يقظان، يقود به المسيرة، فحمى المدينة وهدى الرياح والسفينة، وفي سياقها الحاضر بتردي الأمة في الانهزامية والتغريب والمستقبل الواعد بالبشائر:

كلما كبرت

وتحت جبهتي

ينبجس الزلال كلما سجدت

... وأينما وجهت ناظري

أشرقت الأنحاء

وازدانت الأشياء

وسبّح الإصباح والإمساء

وتقوم هذه الحركة على التقابل الجامع بين الحضور والغياب بالتداعي، قصداً لبلورة قيم شعورية حافزة على الوصول إلى المستقبل، الذي به تكتمل دائرة الحركة بين الماضي والمستقبل، لتحاصر الحاضر في دورانها وتحمله على السير في الفلك الدائر بين القطبين.

وفي حمى هذا التوجه الفني جاء الفعل المضارع غالباً للفعل الماضي، الذي حددت مواضعه في استحضار الماضي وتداعي أحواله (قد طال حبسي، وضل سيري، فضاع من خطوي، وتاه عن عيني...) وقد كثر ذلك أمام حصن خيبر، أما عدا ذلك من فعل الأغراض الذي مضى أمره، فقد جاء التعبير عنه بالمضارعة أيضاً، وعلة ذلك منظورة في أن الماضي ما زال حاضراً بقسوته، والمستقبل لا يغيب عن واقع النفس وحاضرها في التطلع إليه فكراً ورؤية وحلماً، وكلا الزمنين باعث في حضوره على توثب الإحساس به، وديمومة الخضوع له، واستمرارية توتر الوجدان وتحفزه به، فهو مشهور منظور:

نخترق الأبعاد

نختصر الآماد

ونعمر الأكوان

ونستعيد الإنسان

...

... تخضوضر الغبراء

ويثمر النخيل

...

... فليركع الغريب

ولتحرق السياط ظهره

... وتنهش الغربان لحمه

ولتحرق النيران عظمه

وحملت صياغة الفعل وبنيته طولاً ملحوظاً سواءً أكان ذلك تمثيلاً لفعل يقظان أو تجسيداً لحركة الأغراب، فيقظان يستنطق الوهاد/ يستشرف المجهول/ واجترحوا كبائر الحروب/ استحكم الظلام حول خيمتي/ واستعرت مساربي/ ولم تبتعد هذه البنية الطويلة الاشتقاق عن مسيرة النهضة الإسلامية: فقبل ألف عام، انسكب النور على مطارحي، واستنار المكان، واستدار لي الزمان.

إن توحد التعبير بهذه البنية التي تجتمع في صيغ استفعل وانفعل وافتعل، إنما تشي ببيان تماثل الفعل ورده، وتجانس الضد وضده، فالزمن المديد الذي عاشه الإسلام ألف عام في خلافة الأرض، اجترح الأغراب في إجهاضه حروباً طويلة (ألف عام)، ويقظان يكابد في إعادة خلافة الإنسان إلى الحياة منذ أمد ليس بالقصير، وهو بالغ ذلك لا محالة مهما يكن أمد تهويماته. ■

هوامش:

* د.عبد القادر رمزي -جامعة العلوم التطبيقية - عمان - الأردن.

** أ. د.مصطفى عليان: أستاذ النقد الأدبي بالجامعة الهاشمية - الزرقاء - الأردن.

(١) سورة يس - الآية ٢١-٢٢ .

(٢) مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي ص١٢ .

(٣) عبد القادر الجرجاني - أسرار البلاغة ١١٢ .

(٤) السابق ١١٧

من ذاكرة الأرض



شعر: محمد عبد الرازق ابو مصطفى*
فلسطين

عُشٌ صغيرٌ – ضفتاه ضفائرٌ
نسجته قُبرة لكي ترعى الصغارْ
والفجر يصحو باسماً
تستيقظ الأعوادُ – تغسل بالندى
وجهيْ قبرتينِ لا ريشٌ ولا زغبٌ
فترفرف الأم الحنونة في المدى
بدأ النهار بوجهه المتألقِ
وتفتق الروضُ الشهيُّ بعطرهِ
وانسابت الأنغامُ تعكسه الضياءُ
على سهول الأجنحةْ
وإذا البحارُ تموجُ في ألوانها
وكأنها خلعت رداء الصمتِ
في الليلِ البهيمْ
وتوشحت بهدير ألوانِ الأفُقْ
هذي جموع الطير سابحةٌ
بأعماقِ الفضاءْ
هذا يحط، وذا يواصل دربهُ
هذا يطيرُ، وذا يلملم حَبَّةُ
تمضي الدقائق في رديهات الحقولْ
والقبرات (الحمر) في العش الصغيرْ
تتابط الصبرَ، وتنتظر الحنينْ
وإذا بكف ظاهرةْ
تمتد في رفق – تداعبها
الأصابعُ مثلُ أم حانيةْ
لا تفزعي يا قبراتِ الروح مني
أنت بوجهي سودُ حباتِ العيونْ
لا تفزعي، فالآن يأتيكِ الطعامُ
ويزول عنك الخوفُ يا طهرَ الحياةِ
في لهفةٍ (كالبرق) تقبلُ من بعيدْ
أمُّ الصغارِ الجائعةْ
وترفُّ أجنحة الهوى
فوق الفدائي الحبيبْ

وتشق صرختُها مسامع عاشق
وما زال يلهو مع أحبتها الصغارْ
فيهبُّ كالليثِ الذي يحمي العرينْ
ماذا وراءكِ يا شقية؟!
فتشير – في هلع – إلى مرمى
الطريقْ
وإذا جنود الكفر تدفع بعضها
في كل أرجاء الطريقْ
قد جاء موعدكم فهيا أقبلوا
يا أحقر الخلقِ وأحفادَ القرودْ
ويزغرد الرشاش في فرح رهيبْ
تتساقط الأزهارُ، ..والأطيارُ
تفزع من خنازير اليهود
وتفوح ريح المسكِ
تقتلع الجهات
يصل الجنودُ إلى الجسدْ
والكف تحتضن الصغارَ الجائعةْ

لكن حقدَ الكفر لا يكفيهِ
أنْ قُتِلَ الحبيبْ
الأم تصرخُ فوقهم:
ماذا جنيتُ لكي تدوسوا
لحمَ أفراخي الصغار؟؟
فيرد وغد: أنتِ أعطيتِ
الفدائيَّ إشارةً
عندما هجم الجنودْ
عشٌ جديدٌ – تبدأ الأمُّ
الحزينةُ في البناءْ
كلُّ الطيور تجمِّعُ الأعوادَ معَها
في موكبِ الصمتِ المهيبْ



* شاعر فلسطيني مقيم في اليمن، حاصل على البكالوريوس في الفيزياء من جامعة صنعاء ١٩٨٦م.



ولقد عجبت عجباً كثيراً من إعراض أهل الأدب في زماننا عن دراسة ما منح الله عز وجل الصحابة من ذلاقة اللسان، وفصاحة البيان، وبلاغة الكلام؛ وكأن الفصاحة عندهم وقف على من دون الصحابة في الطبقة، ممن كان أنزل منهم في الدرجة. وذلك مما بعثني على الكتابة في هذا النوع.

أثر الكتاب والسنة

ولو نقب باحث عن سبب فصاحة الصحابة؛ لوجد أن ملاك الأمر في ذلك شيئان عظيمان:

الأول: القرآن الكريم: خطاب السماء إلى الأرض، وتنزيل الله على قلب رسوله ﷺ الذي جاء بالإيجاز والإعجاز، والإحكام والإتقان، وكان بذلك أبلغ كتاب في أغراض اللغة العربية ومعانيها وألفاظها وأساليبها.

ومع أن معرفة بلاغة الكلام، والوقوف على طرق إنشائه، وتمييز جيده من رديئه كان شيئاً مركوزاً في طباع الصحابة، بيد أن القرآن الكريم أثر في مقاييسهم وتعبيراتهم، بما أدخل عليهم من الروعة والجلال، وبهرهم به من الحسن والجمال [1].

وانطلقت ألسنة بعض الصحابة معبرة عن هذا الجمال والجلال.. يقول عبد الله بن مسعود في صفة القرآن: "لا يتفه ولا يتشان"[2]، ويقول أيضاً: "إذا وقعت في آل حم، وقعت في روضات دمثات، أتأنق فيهن"[3].

الثاني: الحديث النبوي الشريف: وضع الله كلام رسوله الموضع الذي عُرف منه أنه من البلاغة في الطبقة الثانية بعد كلامه عز وجل.

وكان أن أوتي ﷺ جوامع الكلم وقال: "أنا أعربكم، أنا من قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر"(٤).

وكان الصحابة أول الناس نقلاً لكلامه ﷺ فلا جرم أن نورت الحكمة في قلوبهم؛ وتفتقت الفصاحة من ألسنتهم؛ وتمكنت في البيان ملكاتهم؛ وتعمَّقت في البلاغة دربتهم.

ولقد فطن إلى هذا المعنى أبو إسحاق الحصري الذي أورد قطعة صالحة من كلام لبني علي بن أبي طالب، ثم وصفهم بأنهم "أهل البيت، أهلُ الفضل والإحسان وتلاوة القرآن، ونبعة الإيمان، وصوّام شهر رمضان، ولهم كلام يعرض في حلي البيان، وينقش في فص الزمان، ويحفظ على وجه الدهر، ويفضح قلائد الدر، ويخجل نور الشمس والبدر، ولم لا يطؤون ذيول البلاغة؛ ويجرّون فضول البراعة، وأبوهم الرسول، وأمهم البتول، وكلهم قد غُذي بدر الحِكم، وربي في حجر العلم"(٥).

ومن مظاهر فصاحة الصحابة عنايتهم بالأدب وفنونه، وذلك أن العرب جروا في إسلامهم على مثل عاداتهم في جاهليتهم "لأن الإسلام لم يهدم مما قبله إلا ما كان شركاً؛ أو داعية إلى الشرك، فاستمرت الرواية للشعر والخبر والنسب والأيام والمقامات ونحوها؛ مما أثروه عن أسلافهم في أعقاب الجاهلية، بل توسعوا في بعض هذه الفنون أول عهدهم بالإسلام لمعالجة الحجة في الرد على شعراء المشركين، ممن كانوا يهاجون شعراء النبي ﷺ... وقد علموا أنهم لا يؤولون من مفاخر العرب وحكمتها إلا إلى ما يحفظونه عنهم، فإذا هم أغفلوا رواية ذلك والتعلق به، وارتباط ما بقي منه، لم يأمنوا أن يذهب على من بعدهم فيفوت الناس علم ظهرت حاجتهم إليه بعد ذلك في تفسير القرآن والحديث"(٦).

وأُثرت عن بعض أعلام الصحابة أقوال في بيان فضيلة بعض فنون الأدب، ومن ذلك: الشعر.

يقول عمر بن الخطاب: "الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه"(٧).

ويقول علي بن أبي طالب: "الشعر ميزان القول"(٨).

وكان الشعر مما يؤخذ به الفتى الصغير المتدرج في أبواب العلم؛ قال معاوية بن أبي سفيان: "يجب على الرجل تأديب ولده" والشعر أعلى مراتب الأدب.. قال: اجعلوا الشعر أكبر همكم، وأكثر أدبكم"(٩).

وإنما أرشد الصحابة إلى تعلم الشعر؛ لأنه يدل على معالي الأخلاق؛ ومكارم الخصال، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري: "مر من قِبَلك بتعلم الشعر، فإنه يدل على معالي الأخلاق، وصواب الرأي، ومعرفة الأنساب"(١٠).

وزجر ابن عباس من عد الشعر من رفث القول، وقال: "إنما الرفث عند النساء"(١١). وجعل رضي الله عنه الشعر باباً من أبواب طلب التفسير؛ وسبيلاً للوقوف على مشكل القرآن الكريم، فقال في صحيح المنقول عنه: "إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله، فلم تعرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب، فإن الشعر ديوان العرب..."(١٢).

وكان عمر بن الخطاب يعجبه الرجل يقدم الأبيات من الشعر بين يدي حاجته ويقول: "من أفضل ما أعطِيَتْهُ العرب الأبيات، يقدمها الرجل أمام حاجته: فيستعطف بها الكريم، ويستنزل بها اللئيم"(١٣).

عناية الصحابة بالأدب

وعُرف في الصحابة رواة للشعر، وحُفاظ لعيونه، ومن هؤلاء: عائشة أم المؤمنين. يقول أبو الزناد: "ما رأيت أحداً أروى لشعر من عروة، فقيل له: ما أرواك! فقال: ما روايتي في رواية عائشة؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً"(١٤). ويقال: إنها كانت تروي جميع شعر لبيد(١٥).

ومن هؤلاء أيضاً: عبد الله بن عباس الذي نقل عنه أنه حفظ قصيدة من ثمانين بيتاً لعمر بن أبي ربيعة أنشده إياها في مجلسه، وما كان سمعها قط إلا تلك المرة صفحاً. فقال له بعضهم: "ما رأيت أذكى منك قط"، فقال: "لكني ما رأيت قط أذكى من علي بن أبي طالب"(١٦).

وحفل مجلس ابن عباس بطلاب الشعر ورواته، يقول عطاء بن أبي رباح: ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس: أكثر فقهاً وأعظم، إن أصحاب الفقه عنده؛ وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده، يصدرهم كلهم في وادٍ واسع"(١٧).

وأثرت عناية الصحابة بالأدب وفنونه في حسهم البياني، وذوقهم الفني؛ فكانت لهم نظرات نقدية لبعض ما يسمعون من شعر أو قول.

- يروي الجاحظ أن أبا بكر رضي الله عنه مر برجل يبيع الثياب في السوق فقال له: "أتبيع الثوب؟ قال: لا عافاك الله، فقال أبو بكر: قد قُوِّمت ألسنتكم لو تستقيمون ألا قلتَ: لا وعافاك الله"[١٨]. يشير إلى موطن من مواطن الوصل بين الجملتين وهو كمال الانقطاع مع الإيهام، وهو يأتي إذا كان بين الجملتين كمال الانقطاع لاختلافهما خبراً وإنشاءً، الأمر الذي يقتضي الفصل بينهما، ولكن هذا الفصل يوهم خلاف المقصود، وحينئذ توصل الثانية بالأولى، فتجيء "الواو" دفعاً لهذا الإيهام، وإقامةً لقصد المتكلم[١٩].

ونُقل عن علي بن أبي طالب أنه قال في معرض النقد والموازنة بين الشعراء: "لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد، ونصبت لهم راية؛ فجروا معاً؛ علمنا من السابق منهم، وإذا لم يكن، فالذي لم يقل لرغبة ولا رهبة، فقيل: ومن هو؟

فقال: الكندي. وقيل: لِمَ؟ قال: لأني رأيته أحسنهم نادرة، وأسبقهم بادرة"[٢٠].

وحال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذا الباب أشهر من أن يذكر، وقد نقل عنه أنه كان يتعجب من قول زهير:

فإن الحق مقطعه ثلاث ... أداء، أو نفار، أو جلاء

ويقول: زهير قاضي الشعراء بهذا البيت، يقول: لا يقطع الحق إلا الأداء، أو النِّفار، وهو الحكومة؛ أو الجلاء وهو العذر الواضح..."[٢١] .

وكانت السيدة عائشة أبصر الناس بمواقع الكلام؛ وأنقدهم للشعر، وأدراهم بجيده من رديئه، وأقواهم على التمييز بين حسنه وقبيحه، تقول: "الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن واترك القبيح"[٢٢].

وللأدب عند الصحابة تأثير في النفس بالتهذيب والتقويم؛ قال ثابت بن عبد الرحمن: كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زياد: "إذا جاءك كتابي؛ فأوفد إلي ابنك عبيد الله، فأوفده عليه، فما سأله عن شيء إلا أنفذه له حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئا، قال: فما منعك من روايته؟ قال: كرهت أن أجمع كلام الله وكلام الشيطان في صدري، فقال: اغرب![٢٣] والله لقد وضعتُ رجلي في الركاب يوم صفين مراراً، ما يمنعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطنابة حيث يقول:

أبت لي عفتي، وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإعطائي على الإعدام مالي ... وإقدامي على البطل المُشيح

وقولي، كلما جشأت وجاشت ... مكانكِ تُحمدي، أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحاتٍ ... وأحمي بعدُ عن عرض صحيح

وكتب إلى أبيه: أن روّه الشعر، فروّاه فما كان يسقط عليه منه شيء"[٢٤].

ولشدة شغف الصحابة بالأدب وفنونه؛ عرفت بينهم وبين شعراء عصرهم محاورات ومجاوبات[٢٥]، وكان فيهم شعراء نبغوا في قرض الشعر وقوله، كعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وحسان بن ثابت.

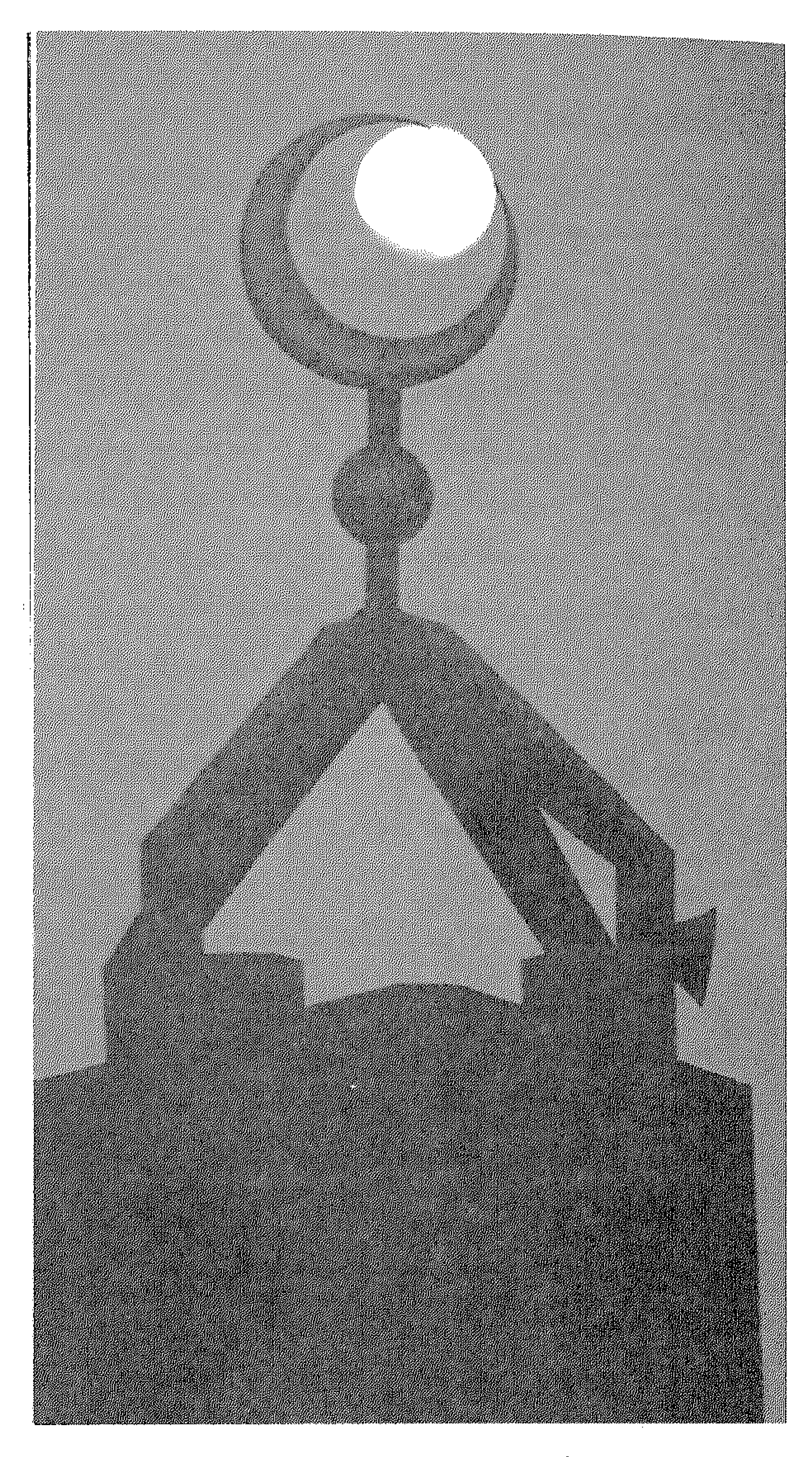
أثرهم على الأدب

وبعد أن قدمنا القول في فصاحة الصحابة وأسباب ذلك ومظاهره، نسوق الكلام الآن في بيان أثر هذه الفصاحة في كتب الأدب والبلاغة. فمن ذلك:

القول بأن الصحابة أوتوا حظاً عظيماً من بلاغة الكلام، وفصاحة اللسان؛ فحازوا قصب السبق في هذا الميدان؛ وفُضّل كلامهم على سائر كلام من بعدهم من البلغاء الأبيناء.

فهذا ابن قتيبة يقول في بيان مزية كلام رسول الله ﷺ وصحابته: "... ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا، حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو، لعد نفسه من البكم، أو يسمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته، لأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب"[٢٦]. وإنما خاطب ابن قتيبة بكلامه هذا قوماً من أهل زمانه قنعوا من العلم بأن يأخذوا بشيء من علم الكواكب والمنطق، ثم يعترضون على كتاب الله بالطعن والتكذيب؛ وطال عليهم أن ينظروا في علم الكتاب، وفي أخبار رسول الله ﷺ وصحابته، وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها[٢٧].

ويبين الحصري سبب تقديمه لكلام الصحابة على كلام من سواهم؛ فيقول: "قد علّقتُ بذيل ما أوردتُه، وألحقتُ بطرف ما جردته من كلام سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين ﷺ، وعلى آله الأخيار الطيبين الطاهرين - قطعة من كلام الخلفاء الراشدين، قدمتُها أمام كل كلام لتقدمهم على الخلق؛ وأخذهم بقصب السبق، وهم كما قال بعض المتكلمين يصف قوماً من الزهاد الواعظين: "جلوا بكلامهم الأبصار العليلة، وشحذوا بمواعظهم الأذهان الكليلة، ونبهوا القلوب من



رقدتها، وداووْا من العِيّ الفاضح، ونهجوا لنا الطريق الواضح..."[٢٨].

وقوف أكابر أهل الأدب عند المنقول من كلام بعض الصحابة؛ وإظهار العجب منه لطرافته وفصاحته، وجمال رصفه، وحسن ترتيبه، ومما ورد بهذا الوصف: قول أبي بكر الصديق وقد دخل عليه عبد الرحمن بن عوف يعوده في مرض موته:" أما إني على ذلك لشديد الوجع؛ ولَمّا لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي؛ إني ولَّيْتُ أموركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذنّ نضائد الديباج، وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الأذربي كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان ..."[٢٩]، فقد صدّر المبرد هذا الخبر بقوله: "ومما يؤثر من حكيم الأخبار، وبارع الآداب ما حدثنا به عن عبد الرحمن بن عوف" ثم ساق الخبر.

ومما دهش له بعض أهل الأدب لجلالة موقعه في الفؤاد، وبلاغته وطرافته: قول علي بن أبي طالب: "قيمة كل امرئ ما يحسن"؛ حتى لقد قعد البيان بالجاحظ – وهو فيه بالمنزلة التي لا تجهل – عن الوفاء بأغراض هذه الكلمة، فوقف الرجل متعجباً مشدوهاً يقول: "فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية، ومجزية مغنية، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية، وأفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره؛ ومعناه ظاهراً في لفظه..."[٣٠].

وكذلك عناية كتب الأدب بنقل ما أثر عن الصحابة من مُلح ومقطعات حسان؛ وهذا أمر بيّن ظاهر للعيان؛ في كتب الأدب والبيان؛ وأول شيء يروعك منه؛ تقديم أصحاب هذه الكتب للمأثور عن الصحابة؛ ووضع ذلك في المطالع؛ وتصدير الكلام به احتفاءً واهتبالاً [٣١].

فالثعلبي في "التمثيل والمحاضرة" يقدم ما أثر عن الصحابة من أمثال مرسلة سارت بين الناس تحت عنوان: "أنموذج ينخرط في سلك الأمثال من كلام الصحابة والناس"[٣٢]. وفي "لطائف اللطف" له أيضاً يصدر كلامه بـ"لطائف الصحابة والتابعين" ثم يسوق طائفة صالحة من ذلك[٣٣].

ومن أهل الأدب من يفرق المأثور عن الصحابة في تضاعيف الكتاب، فينقل منه ما هو بموضوع الباب أشكلُ وأنسب؛ وأدخلُ وأليق؛ وهذا صنيع طائفة كبيرة من أهل الأدب كالجاحظ في "البيان والتبيين"، وابن قتيبة في "عيون الأخبار"؛ والمبرد في "الكامل"؛ وأبي علي القالي في "الأمالي" و"النوادر"؛ وابن عبد ربه في "العقد الفريد"؛ والحصري في "زهر الآداب"؛ وابن رشيق في "العمدة"؛ وغيرهم.

بين الصحابة والشعراء

وقد يلجأ بعض أهل الأدب إلى الموازنة بين المنقول عن الصحابة، وبين ما قاله بعض الشعراء، من ذلك: أن المبرد حكى قول الشاعر:

وما العجز إلا أن تشاور عاجزاً

وما الحزم إلا أن تهمّ فتفعلا

ثم قال: ".. فأما قول علي بن أبي طالب رضي الله

عنه: من أكثر الفكرة في العواقب لم يشجُع"، فتأويله أنه من فكر في ظَفَرِ قِرْنِهِ به، وعلوه عليه لم يقدم، وإنما كان الحزم عند علي رضي الله عنه أن يحضر أمر الدين، ثم لا يفكر في الموت؛ وقد قيل له: أتقتل أهل الشام بالغداة، وتظهر بالعشي في إزار ورداء؟ فقال: أبالموت أُخوَّف؟ والله ما أبالي أسقطت على الموت أم سقط الموت علي"(٣٥).

الذبّ عن مذاهب بعض الصحابة في القول، والانتصار لهم؛ وبيان الحال في ذلك؛ ومن هذا الباب: أن ابن الأثير قال: ووجدت أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد عاب على حسان بن ثابت رضي لله عنه قوله:

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما (٣٦).

وقال: إنه جمع الجفنات والأسياف جمع قلة، وهي في مقام فخر مما يحط من المعنى؛ ويضع منه، وقد ذهب إلى هذا غيره، وليس بشيء، لأن الغرض إنما هو الجمع سواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة..."(٣٧).

وقد استمد المؤلفون في البلاغة وفنونها من أقوال الصحابة ومحاوراتهم؛ أمثلة ونماذج شرحوا بها معاني هذا العلم الدقيق؛ والفن العويص؛ وكان ضياء الدين ابن الأثير أعلاهم في ذلك كعباً؛ وأوفرهم في الاستمداد حظاً. ونسوق من كتابه الجامع النافع: "المثل السائر" على ذلك أمثلة ثلاثة:

الأول: من النوع الرابع عشر الذي أفرده في الاستدراج(٣٨)؛ فإنه قال فيه: "وبلغني حديث تفاوض فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما، ومعاوية بن أبي سفيان في أمر ولده يزيد، وذاك أن معاوية قال للحسين: أما أمك فاطمة، فإنها خير من أمه وبنت رسول الله ﷺ خير من امرأة من كلب، وأما حبي يزيد، فإني لو أعطيت به مثلك ملء الغوطة لما رضيت، وأما أبوك، وأبوه فإنهما تحاكما إلى الله، فَحُكِمَ لأبيه على أبيك".

قال ابن الأثير معلقاً بكلام بليغ بديع: "وهذا كلام من معاوية كلما أمررته بفكري عجبت من سداده؛ فضلاً عن بلاغته وفصاحته، فإن معاوية علم ما لعلي رضي الله عنه من السبق إلى الإسلام، والأثر فيه، وما عنده من فضيلة العلم؛ فلم يعرض في المنافرة إلى شيء من ذلك، ولم يقل أيضاً إن الله أعطاني الدنيا ونزعها منكم، لأن هذا لا فضل فيه، إذ الدنيا ينالها البر والفاجر؛ وإنما صانع عن ذلك كله بقوله:"إن أباك وأباه تحاكما إلى الله، فَحُكِمَ لأبيه على أبيك"، وهذا قول إيهامي يوهم شبهة من الحق".

قال ابن الأثير معرضاً على التأسي ببلاغة معاوية:"وإذا شاء من شاء أن ينافر خصمه ويستدرجه إلى الصمت عن الجواب، فليقل هكذا"(٣٩).

الثاني: من مبحث التعريض، فقد ذكر ابن الأثير أمثلة عليه ثم قال:"ومثله في اللطافة ما يروى عن عمر بن الخطاب، وذاك أنه كان يخطب يوم الجمعة فدخل عليه عثمان بن عفان، فقال له: أية ساعة هذه؟ فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، انقلبت من أمر السوق، فسمعت النداء، فما زدت على أن توضأت، فقال عمر: والوضوء أيضاً، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل"(٤٠). قال ابن الأثير:"فقوله أية ساعة هذه؟ تعريض بالإنكار عليه لتأخره عن المجيء إلى الصلاة، وترك السبق إليها، وهو من التعريض المعرب عن الأدب"(٤١).

الثالث: في مبحث التكرير في المعنى دون اللفظ:ذكر ابن الأثير من الأمثلة عليه قصة حاطب ابن أبي بلتعة في غزوة الفتح، وما كان من إخباره قريشاً من مسير رسول الله ﷺ إليهم، وإنبائهم بعض شأنه، فلما أظهر الله عز وجل رسوله ﷺ على أمر حاطب، قام حاطب بين يديه ﷺ وقال:"يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان معك من المهاجرين لهم قرابة، يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام..."(٤٢).

قال ابن الأثير:"فقوله:"وما فعلت ذلك كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام" من التكرير الحسن، وبعض الجهال يظنه تكريراً لا فائدة فيه، فإن الكفر والارتداد عن الدين سواء، وكذلك الرضا بالكفر بعد الإسلام، وليس كذلك، والذي يدل عليه اللفظ هو أني لم أفعل ذلك وأنا كافر، أي: باقٍ على الكفر، ولا مرتداً أي: أني كفرت بعد إسلامي ولا رضا بالكفر بعد الإسلام أي: ولا إيثاراً لجانب الكفار على جانب المسلمين؛ وهذا حسن في مكانه واقع في موقعه. وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذي نحن بصدد ذكره هاهنا، وهو الذي يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد... والذي يجوزه: أن

هذا المقام هو مقام اعتذار وتنصل عما رمي به من تلك القارعة العظيمة التي هي نفاق وكفر فكرر المعنى في اعتذاره قصداً للتأكيد والتقرير لما ينفي عنه ما رمي به"(٤٣).

ونخلص إلى أن الحاجة لَتعظمُ في هذا العصر إلى الاهتداء ببلاغة الصحابة، وليس ينفع في ذلك إلا سلوك سبل ثلاثة:

الأول: اعتماد المنهج التعليمي عندنا في البلاد العربية والإسلامية على نصوص مختارة من كلام الصحابة، وحمل الناشئة على حفظ الكثير الطيب من ذلك؛ ولقد كان الرافعي أخذ نفسه بحفظ خطب الإمام علي بن أبي طالب؛ فكان منه ما كان من نصاعة الديباجة، وجمال الأداء، وحسن التهدي، وإنه ليجري في مضمار أعلام الكُتاب: كالجاحظ وابن المقفع وأبي حيان التوحيدي؛ وأما بين أهل عصره فهو طبقة وحده.

الثاني: العناية بجمع وتوثيق نصوص كلام الصحابة، وذلك بالتقاطها من مظانها؛ وأول مظنة لها كتب أهل الحديث من الصحاح والسنن والمصنفات والمسانيد؛ ثم كتب السِّيَر والتراجم والطبقات، ثم كتب الأدب والأخبار والتواريخ.

ثم الإقبال على هذه النصوص تصنيفاً وترتيباً، وتمييزاً لأنواعها؛ وتعييناً لمادتها؛ ثم إخراج ذلك للناس مهذباً منقحاً في أبهى حلة، وأجمل منظر.

الثالث: ترغيب الباحثين وحثهم على تأليف بحوث ودراسات في بلاغة الصحابة وأدبهم، ودعوة أهل العلم منهم للاجتماع في ندوات ولقاءات للبحث في ذلك.

ويوم ينشأ ناشئ الفتيان فينا، وقد سدد من لسانه، وقوّم من بنانه، ونأى بنفسه عن الإسفاف والابتذال؛ بإدمان النظر في القرآن الكريم، وحديث النبي المصطفى الأمين؛ وكلام الصحب الغر الميامين؛ يصح لنا أن نقول يومئذٍ: لا خوف بعد اليوم على العربية. ■

الهوامش

* أستاذ مساعد شعبة الدراسات الإسلامية – كلية الآداب – بني ملال– المغرب.

(١) أشار إلى هذه المعاني بهاء الدين السبكي. و عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح ضمن شروط التلخيص (ج١/ ص٢٦١).

(٢) دلائل الإعجاز (ص٢٩٧ و٢٩٨) – دار المعرفة – لبنان– ١٤٠٤هـ. وتفه الشيء: قلّ وخسّ، وتشانّ الجلد: يبس وتشنج.

(٣) دلائل الإعجاز (ص٢٩٨). وقوله: دمثات من دمث المكان إذا سهل؛ وقوله: أتانق فيهن أي اتتبع محاسنهن.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير (ج١/ ص٤٤) دار الفكر.

(٥) زهر الآداب (ج١/ ص٦٤) – دار الجيل.

(٦) تاريخ آداب العرب (ج١/ ص٢٨١) للرافعي – دار الكتاب العربي – بيروت.

(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (ج١/ ص٢٧). لابن رشيق – دار الجيل – بيروت .

(٨) العمدة (ج١/ ص٢٨).

(٩) العمدة (ج١/ ص٢٩).

(١٠) المصدر السابق.

(١١) العمدة (ج١/ ص٣٠).

(١٢) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني (ص٧١) – دار الكتب العلمية – بيروت.

(١٣) الكامل في اللغة... لأبي العباس المبرد (ج١/ ص٧٠)، تحقيق د.زكي مبارك – ط١ – مصر – ١٣٥٥هـ.

(١٤) الخبر في الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (ج٨/ص٢٣٣)، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ – ١٤١٥هـ.

(١٥) العمدة (ج١/ ص٣٠).

(١٦) الخبر في الأغاني (ج١/ ص٣٢ و٣٣)، طبع مؤسسة عز الدين؛ بلا تاريخ.

(٧) الخبر نقله ابن القيم في: إعلام الموقعين (ج١/ ص١٩).

(١٨) الخبر في البيان والتبيين (ج١/ ص٢٦١) دار الجيل.

(١٩) تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني (ص١٩).

(٢٠) العمدة (ج١/ ص٤١ و٤٢).

(٢١) الخبر في العمدة (ج١/ ص٥٦).

(٢٢) العمدة (ج١/ ص٢٧).

(٢٣) العُزوب: الذهاب.

(٢٤) الخبر في المزهر في علوم اللغة للسيوطي(ج٢/ ص٣١٠)، المكتبة العصرية .

(٢٥) ذيل الأمالي والنوادر (ص١٧٨)، دار الفكر؛ بلا تاريخ.

(٢٦) أدب الكاتب (ص٥)، دار الجيل – ط٤ – ١٣٨٢هـ.

(٢٧) أدب الكاتب (ص٣).

(٢٨) زهر الآداب (ج١/ ص٦٥ و٦٦).

(٢٩) الخبر في الكامل (ج١/ ص٨). والصوف الأذربي: منسوب إلى أذربيجان. وقوله: "حسك السعدان": السعدان نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه.

(٣٠) البيان والتبيين (ج١/ ص٨١).

(٣١) الاهتبال: العناية والتقديم.

(٣٢) التمثيل والمحاضرة (ص٢٨–٣٠).

(٣٣) انظرها فيه من (ص٢٧) إلى (ص٣٠)، – دار المسيرة – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤٠٧هـ.

(٣٤) البيان والتبيين (ج١/ ص٤٦ و٤٨ و٥٦ و٥٩) و(ج٢/ص٤٥).

(٣٥) الكامل (ج١/ ص١٧٧).

(٣٦) البيت في الأغاني (ج٨/ ص١٨٨).

(٣٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ج٣/ص٢١٧)، دار الرفاعي – الرياض – الطبعة الثانية – ١٤٠٣هـ.

(٣٨) المثل السائر (ج٢/ ص٢٩٥).

(٣٩) المثل السائر (ج٢/ ص٢٩٤ و٣٠٠).

(٤٠) أخرجه البخاري برقم ,٨٧٨

(٤١) المثل السائر (ج٣/ ص٨٤ و٨٥) .

(٤٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب "التفسير" باب "لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" برقم ,٤٨٩٠

(٤٣) المثل السائر (ج٣/ ص٣٠ و٣١).

(٤٤) المثل السائر (ج٢/ ص٣٢١ وص٣٢٢) .

(تم اختصار الهوامش من قبل التحرير نظرا لطولها).

ماذا قال هدهد حسان عن شهر رمضان؟

بقلم : حاتم عبد الهادي السيد*
مصر

حين زارني (حسان بن ثابت) شاعر الرسول ﷺ - ليلة أمس - في المنام، قال لي : قم الآن من مضجعك، يا من تدعي الشعر والكتابة، فها هو ذا رمضان قد أقبل، فماذا أعددت لرمضان ؟ وماذا أعد رمضان لك ؟

ثم لم يلبث أن عنفني على تكاسلي وأسمعني بيتاً لكعب بن زهير لا تزال تردده العصور :

إن الرسول لنور يستضاء به

مهند من سيوف الله مسلولُ

فاستيقظت من نومي مستبشراً، وشرعت القلم والقرطاس ولكني لم أستطع الكتابة، فقلت في نفسي: لعل هاجساً قد أوحى لي بذلك . ثم كان ليل اليوم الثاني فعاودني طيف حسان، وكان غاضباً، إلا أنه ظل يردد على مسامعي قول لبيد بن ربيعة :

الا كل شيء ما خلا الله باطل

وكل نعيم لا محالة زائل

ثم مسح على رأسي وقال : أنت تعرف ماذا أريد منك، فخذ الحكمة من هدهد حسان وما رآه في شهر رمضان على مر العصور والأزمان .

فماذا قد حكى (هدهد حسان) حين جاءني في المنام ؟ وهل سيحكي لي مثلما حكى الهدهد - من قبل - لسليمان عن عرش بلقيس ومدائن سبأ وحمير وغير ذلك ؟!

قال الهدهد: منذ قرون من الزمان كنت أطوف البلدان فمررت بحلقة من الرجال يتوسطهم رجل يقال له محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، وكان مهيب الطلعة، يمسك بيده كتاباً ألفه واسمه (مختار الصحاح) فسمعت أحدهم يسأله قائلاً : ما رمضان يا شيخ ؟ فتبسم الرجل وقال : الرمض بفتحتين شدة وقع الشمس على الأرض، والأرض رمضاء، وفي الحديث : (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال في الضحى) أي إذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمضاء، يقول : صلاة الضحى تلك الساعة، وأرمضته الرمضاء أي أحرقته، وشهر رمضان جمعه رمضانات، وقيل إنهم لما نقلوا أسماء الشهور من اللغة القديمة أسموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك، ولقد كرم الله هذا الشهر بأن أنزل القرآن فيه مصداقاً لقوله تعالى : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)، فسررت من قوله، وواصلت المسير إلى بلاد الشام .

كنافة وقطايف رمضان:

يقول الهدهد : لما وصلت الشام رأيت (معاوية بن أبي سفيان)، وكان متأففاً يشكو لطبيبه (محمد بن أثال) ما يلقاه من الجوع في صيامه، فوصف له أكل الكنافة في السحور، فقررت أن أجوب البلدان لأعرف ماهية هذه

* عضو اتحاد كتاب مصر.

الكنافة، فصادفت شاعراً يقال له أبو الحسين يحيى الجزار من شعراء الأيوبيين - فسألته: هل تعرف الكنافة أيها الشاعر الهمام ؟ فقال على الفور وكيف لا أعرفها وأنا الذي قلت فيها :

تالله مالثَّمُ المراشف كلا ولا ضمُّ المعاطفْ
بالذ وقعاً في حشاي من الكنافة والقطايفْ

فتبسمت لقوله، فأضاف : كما خصصت الكنافة وحدها في قصيد فقلت :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطرِ
وجاد عليها سكراً دائم الـــدرِ
وتباً لأوقـــــات المخلل إنها
تمر بلا نفع وتحسب من عمري

كما ذكر لي أن الشاعر أسد الدين بن عربي كان ذواقاً يحب الكنافة والقطايف، ولقد كان يقول فيها :

وقطائف مقرونة بكنافـــة من فوقهن السكر المذرورُ
هاتيك تطربني بنظم رائق ويروقني من هذه المنثورُ

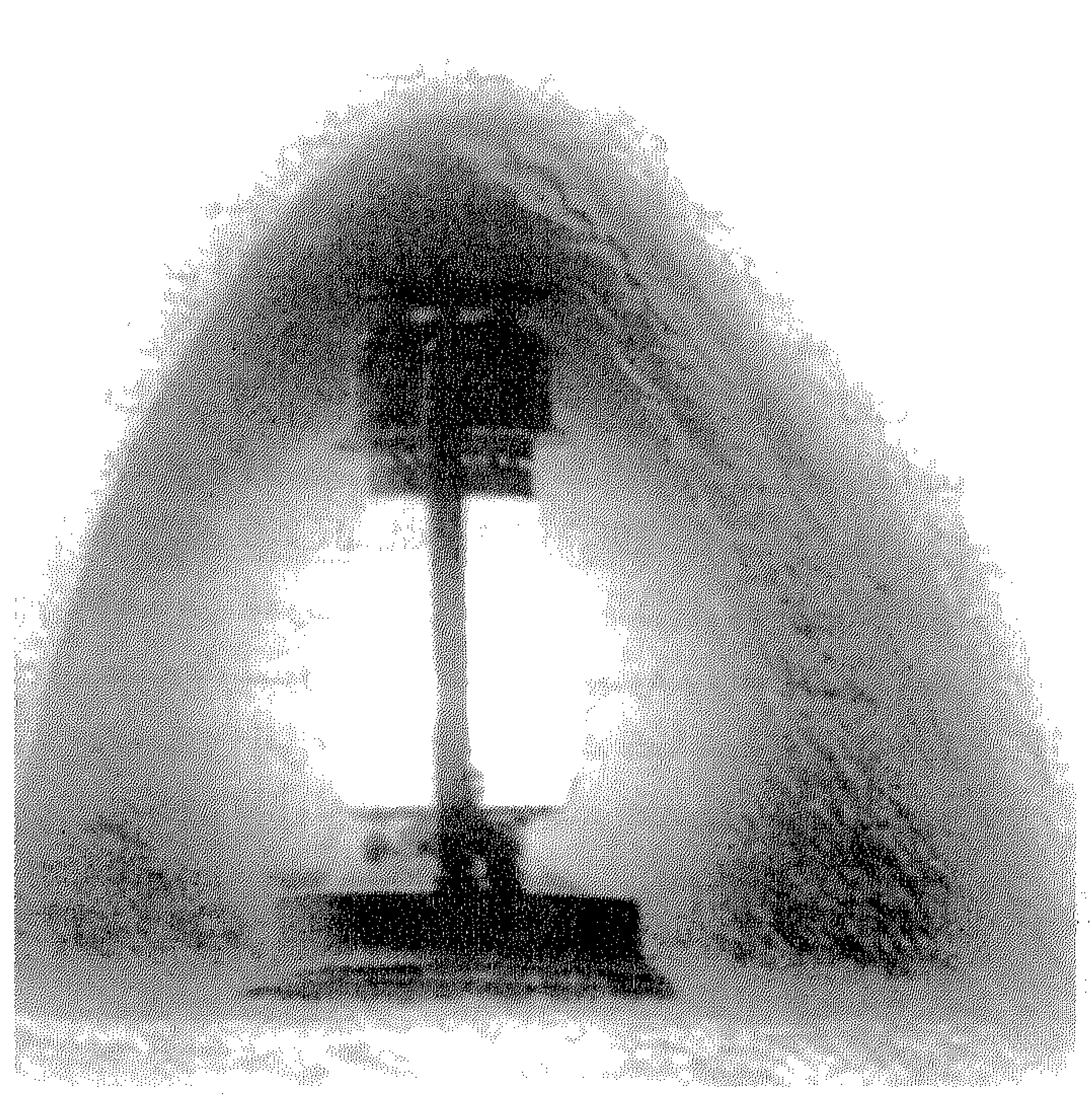
يقول الهدهد : فضحكت من قلبي، واكتفيت بكلامه، وازددت ولعاً بهذه الحلوى الرائعة اللذيذة .

فانوس رمضان :

كما أخبرني الهدهد فقال: أثناء تطوافي في البلاد رأيت الأطفال بعد صلاة المغرب - بعد الإفطار- يحملون فوانيس مضاءة، ويغنون، فتعجبت من سلوكهم وكنت لا أعرف أن الذي يضيء في أيديهم اسمه (الفانوس) فعلمت أن بالمدينة عالماً يقال له (الفيروز آبادي) صاحب معجم القاموس المحيط اللغوي - فارتاح البال وذهبت متسائلاً فأجاب : الفانوس في اللغة معناه"النمام"وسمي بذلك لأنه يبدي ويظهر حامله وسط الظلام، والكلمة هذه معروفة في بعض اللغات السامية، إذ يقال للفانوس فيها (فناس) ومن الفوانيس (فانوس السحور) وهو الذي كان يعلق بالمآذن مضاءً وهاجاً، فإذا غاب نوره كان ذلك إيذاناً بوجوب الإمساك والكف عن المفطرات فشكرته ثم تابعت المسير، وكنت قد وصلت إلى مشارف جبل المقطم بقاهرة المعز فقلت: لا بد أن أستريح قليلاً من وعثاء السفر ووعورة الرحلة.

مدفع الإفطار :

ويكمل الهدهد حديثه، ولكنه كان هذه المرة خائفاً وجلاً يقول : ما إن حط جناحاي على قمة هضبة المقطم وكان الوقت غروباً - حتى شعرت بان الأرض ارتجت من تحتي، وسمعت رجلاً يقول : (مدفع الإفطار .. اضرب) ثم سمعت صوت مدفع ينطلق فيحدث جلبة هائلة، فظننت أن زلزالاً قد حدث، فطرت مسرعاً لأستطلع الخبر، فعرفت أن والي مصر (محمد علي باشا الكبير) قد اشترى عددا كبيراً من المدافع الحربية، وفي هذا اليوم كان يجري استعدادات لإطلاق هذه المدافع - كنوع من التجربة - فانطلق صوت المدفع متزامناً مع وقت إفطار الصائمين، فظن المصريون أن الوالي قد استحدث تقليداً جديداً، فارتاحوا لذلك، وذهب العلماء ورجال الدين للوالي يستسمحونه في أن يستمر ذلك الأمر فوافق، إلا أني استمعت إلى قول آخر يقول : إن المدفع قد ارتبط اسمه بامرأة يقال لها الحاجة فاطمة، وكانت زوجاً للوالي العثماني (خوشقدم) وكان الوالي يختبر أحد المدافع التي جاءته من صديق (ألماني) وكان ذلك وقت غروب الشمس، فظن المصريون أن الوالي قد استحدث هذا التقليد، فذهب إليه العلماء فلم يجدوه، فالتقوا بزوجته، فنقلت طلبهم للسلطان فوافق عليه، ومن يومها أصبح يطلق عليه الحاجة فاطمة . ويعقب الهدهد على ذلك بقوله : ولقد رأيت بعد ذلك أن هذه العادة قد انتقلت لعدة دول عربية مثل الإمارات والكويت وغيرهما .



بدء صيام شهر رمضان :

ويكمل الهدهد : ولقد علمت أثناء طيراني أن أول رمضان صامه المسلمون في التاريخ كان يوم الأحد الموافق (١ من رمضان عام ٢ هـ - ٢٦ من شباط (فبراير) عام ٦٢٤م) وقد فرض الله عز وجل صيام شهر رمضان في شهر شعبان عام ٢ هـ .

مكانة شهر رمضان :

ويضيف الهدهد : أثناء تطوافي على مجالس الذكر، وحفاظ الأحاديث النبوية الشريفة سمعت حافظاً يروي أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :"إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين"، كما ذكر أن أبا هريرة روى عن النبي ﷺ أنه قال :"من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".

ولقد كرم الله شهر رمضان بالصيام واختصه بنزول القرآن، وليلة القدر، والتي هي خير من ألف شهر، ثم استطرد الهدهد وقال : إنه استمع إلى حافظ يروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: إن النبي ﷺ قال :"من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ منه كفّر ما قبله"، كما قال أيضاً :"إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك"، وبعد هذا الحديث الشائق صمت الهدهد . فرأيت (حسان بن ثابت) يبتسم لي، فنظرت إليه فإذا لسانه يطاول أرنبة أنفه، فدهشت وسألته عن ذلك فصمت ولم يجب، وأجاب الهدهد عنه قائلاً : سأخبرك لماذا صمت حسان، فقلت : يا لك من هدهد مثقف يعرف الكثير! فصمت الهدهد لهذا الإطراء والثناء، ثم قال : عندما من الله على حسان بالإسلام وهو الشاعر المقدام، قوي الرأي والبيان، وأول من تصدى لشعراء الكفار وأفحمهم، أعجب به رسولنا الكريم وكان يداعبه فيمسك طرف لسانه ويقول :"والله ما يعدلني به لسان أحد من العرب" فقال حسان : ائذن لي بهجائهم، فرد عليه الرسول ﷺ :"كيف تهجوهم وأنا منهم"فقال حسان : إني سوف أسلُك منهم كما تسل الشعرة من العجين، فقال له المصطفى عندئذٍ :"اهجهم وروح القدس معك، ومعك أبو بكر يعلمك الأنساب".

حسبك اليوم هذا الكلام، فمسك الختام حديث خير الأنام واستيقظت من نومي لأدع الهدهد ينام. ■

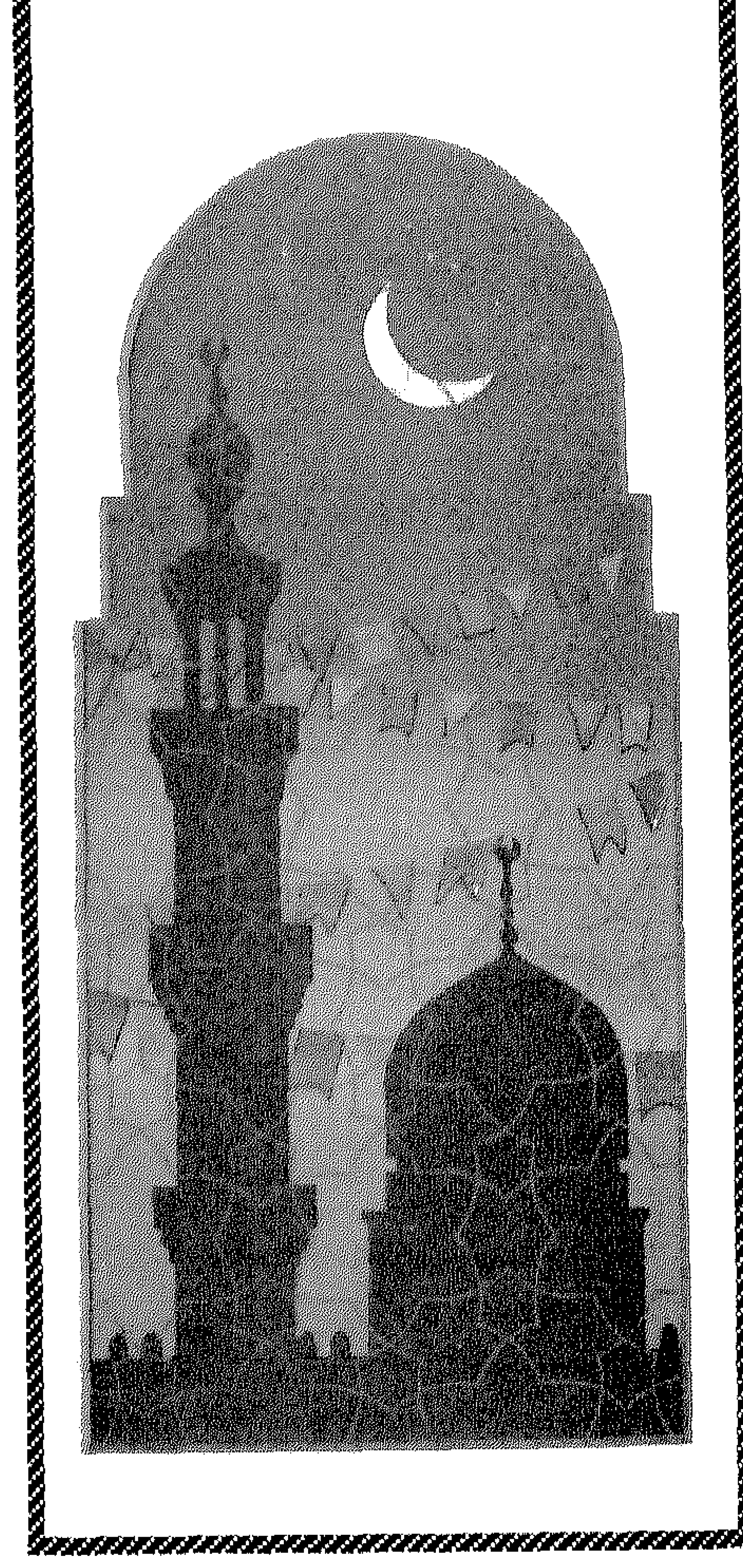
رمضان عــذراً

شعر: حسين أحمد الرفاعي
الإمارات العربية المتحدة

هاأنت عدت لتزرع الآمالا
تتلو المعارج.. تقرأ الأنفالا
هاأنت عدت كما ذهبت مودعاً
والجرح ملء قلوبنا مازالا
هاأنت عدت ونحن في أغلالنا
نهوى القيود ونسكن الأوحالا
عام مضى ويجيء عام بعده
والذل فينا يحكم الإقفالا
رمضان عذراً إن رأيت قصائدي
ما عدا وجه حروفها يتلالا
عذراً إذا سالت دموعي إنني
قد ذقت من مر الأسى أشكالا
أبصرت أمتنا تطاطئ هامها
وتعودت من ضعفها الإذلالا
مازلت أبحث عن بقايا عزة
وأحس أني قد طلبت محالا
مازلت يا رمضان أبحث جاهداً
أطوي الدروب وأمتطي الأهوالا
لكنني رغم المصاعب كلها
لن أسأم التجوال والترحالا
أملي كبير أن تجيء وأمتي
قد أنجبت للعالم الأبطالا
تأتي وقد سدنا البسيطة كلها
وتبدلت أحوالنا أحوالا
سيظل إيماني عميقاً صادقاً
بإلهنا.. سبحانه وتعالى

بوابة الغفران

شعر: ناصر بن علي عليان
السعودية



جئت من عالم الضياء وجئنا ... من غيابات ذلنا والمقابرْ
تاقت الأنفس الظماء لرياك ... فشددت للأفق قلباً وناظر
تتراءى هلالك الباسم الثغر ... يحيي سناه باد وحاضر
فأكبت عليك، تلثمك الروح ... اشتياقاً وتجتليك المحاجر
أي بوابة إلى ساحة الغفران ... أشرعت داعياً كل تاجر
"ربح البيع" قلتها للمخبين ... وقد ادلجوا وشدوا المآزر
فلهم في الدجى ترانيم مشتاق ... وتسبيح مستهام وذاكر
بسخين الدموع يطفون ما قد ... أوقد الخوف والرجا من مجامر
لحظات للخلد أدنى وأسمى ... من حياة موسومة بالمظاهر
جئت يا صيقل النفوس وموري ... عزمها يا مروضاً كل نافر
فيك لا في سواك قد انزل الذكر ... وطافت بالعالمين البشائر
ونداء الإله ينساب فيضاً ... من جلال تهفو إليه الضمائر
فيك هب الألى إلى النصر سلوا ... كل سيف وأسرجوا كل ضامر
فانتشت منهم البطولات ... والتاريخ أهوى يخط أزكى المآثر
ألف واخجلتاه من أمسنا الزاهي ... ومن يومنا ومما نحاذر
قد كبت خيلنا وزلت خطانا ... ورمانا بكيده كل فاجر
أشرعت في نحور قومي سهام ... وتولت رعي الظهور خناجر
هذه قدسنا ومسجدنا الأقصى ... رهينا مجالس ومنابر
لوحت كفنا بقبضة موتور ... وفي صدرنا لظى الحقد مائر
أو لما خبا اللظى والمدى طال ... لهونا وخدرتنا المزاهر
هل ترى أفزعت يهود قرارات ... ودارت بها عليهم دوائر
توشك القدس أن تضيع ويفني ... أهلها جاحم من القصف هادر
كل يوم يشيعون شهيدا ... من كهول وصبية وحرائر
اودعوه الثرى ونحن على البعد ... وأدنا إباءنا والمفاخر
نحن إما مكبل أو ذليل ... أو مقيم في غمرة اللهو سادر
هذه أمتي فيا شهر عذرا ... جئتها والهوان داء مخامر
فلتكن بلسما لجرح تنزى ... أي جرح في أمتي ليس غائر
بسناك الدفاق تجلو ظلام اليأس ... تهدي إلى الهدى كل حائر
ذاك نبض من الفؤاد تسامى ... في اشتياق إليك من روح شاعر

شعر لا يستنكر إنشاده في المسجد*

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد ، قال: أخبرنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة، قال : قدم أعرابي من اليمن فدخل مسجد رسول الله ﷺ فجلس في حلقة فيها الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فقال : هل فيكم من ينشد ، فقيل له: إنك لجاهل، أتستنشد ابن رسول الله ﷺ ، فقال والله لأنشدن مالا ينكره، ثم إن أحب قال ، وإن أحب سكت ، ثم أنشأ يقول:

رب أمـور قـد بريت لحـاهـا ... وقومت من أصلابها ثم رشتها[1]

أقيم بدار الصدق مالم أهن بها ... وإن خفت من دار هوانا تركتها

وأصبح خالي المال حتى تخالني ... بخيلا وإن حق عراني أهنتها

ولست بولاج البيوت لفاقة ... ولكن إذا استغنيت عنها ولجتها

إذا قصرت أيدي الرجال عن العلا ... مددت يدي باعا إليها فنلتها

ومكرمةٍ كانت سجية والدي ... فعلمنيها والدي فعلمتها

وقد علمتْ أعلام قومي أنني ... إذا نال أظفاري صديقا قلمتها

رجاء غد أن يعطف الود بيننا ... ومظلمة منهم بجنبي عركتها

وإني سألقى الله لم أرم حرة ... ولم تأتمني سر قوم فخنتها

ولا باغيا خمرا وأسماع قينة ... ولا قائلا في الشعر أني شربتها

ولا غائرا ما لم تُغِرْني حليلتي ... متى ما أغْرِ إن لم تُغْرِني ظلمتها

فقال الحسن رضي الله عنه: ما رايت كاليوم شعرا ارصن، وأمر له بصلة لم يقبلها ، وانصرف.

(*) من كتاب «الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي » لابي الفرج معافى بن زكريا النهرواني الجريري، ص٣٧٦، ط عالم الكتب، بيروت، لبنان.

(١) اللحاء : قشر كل شيء ومعنى براه اي جعله اسهما، ورشتها : أي جعل فيها ريشا وهو يعني بهذا البيت انه ينظم الامور ويديرها إدارة حسنة ، ويقال في المثل : فلان يبري ويريش: أي انه ينظم الامور ويديرها إدارة حسنة ، او يضر وينفع ، ولا يبري ولا يريش : لا يضر ولا ينفع.

من أدب الاختلاف*

للجاحظ

«حكى الجاحظ، قال: تجاذبت يوما وإبراهيم النظام حديث الطيرة[1] ، فقال لي أخبرك ، إني جعت حتى أكلت الطين! وما صرت إلى ذلك حتى قلبت قلبي[2] ، أتذكر هل ثم رجل أصيب عنده غداء أو عشاء ؟! فما قدرت عليه ! وكان علي جبة وقميص ، فبعت القميص!

ثم قصدت الأهواز[3] ، وما أعرف بها أحدا، وماكان ذلك ناشئا إلا عن الحيرة والضجر ، فوافيت الفرضة[4] فلم أصب بها سفينة، فتطيرت من ذلك ، ثم إني رأيت سفينة في صدرها خرق وهشم، فتطيرت أيضا ، فقلت للملاح : تحملني ؟ قال : نعم، قلت : ما اسمك؟ قال: (دواداذ) وهو بالفارسية اسم الشيطان ، فتطيرت وركبت معه!

فلما قربت من الفرضة صحت: يا حمال ، ومعي لحاف سمل[5] ، ومضربة خلق[6]، وبعض ما لا بد لي منه ، فكان أول حمال أجابني أعور! فقلت لبقار كان واقفا: بكم تكري ثورك هذا إلى الخان؟ فلما أدناه مني إذا هو أعضب[7]، فازددت طيرة إلى طيرة ! وقلت في نفسي : الرجوع أسلم، ثم ذكرت حاجتي إلى أكل الطين! وقلت: من لي بالموت؟!!

فلما صرت إلى الخان وأنا حائر ما أصنع، إذ سمعت قرع باب البيت الذي أنا فيه ، فقلت : من هذا؟ فقال: رجل يريدك، فقلت : من أنا؟ فقال : إبراهيم بن سيار النظام، فقلت – في نفسي– : خناق أو هذا عدو أو رسول سلطان!

ثم إني تحاملت وفتحت له الباب، فقال: أرسلني إليك إبراهيم بن عبدالعزيز ، ويقول لك: إن كنا اختلفنا في المقالة – أي في الرأي والمذهب– فإنا نرجع بعد ذلك إلى حقوق الأخلاق والحرية[8]، وقد رأيتك حيث مررت بي على حال كرهتها ، وينبغي أن تكون نزعت بك حاجة – أي أخرجتك من بلدك – فإن شئت فأقم بمكانك مدة شهر أوشهرين ، فعسى نبعث إليك ببعض ما يكفيك زمانا من دهرك ، وإن اشتهيت الرجوع ، فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف، وأنت أحق من عذر.

قال: فورد علي أمر أذهلني ، أما واحدة: فإني لم أكن ملكت قبل في جميع دهري ثلاثين دينارا، والثانية : أنه لم يطل مقامي وغيبتي عن أهلي ، والثالثة : ما تبين لي من الطيرة أنها باطل». انتهى.

قال عبدالفتاح : والرابعة – وقد فاتت النظام – وهي تعدل الثلاثة مجتمعة عندي أو تفوقها ، وهي : ذاك النبل النبيل ، والفهم الأصيل ، لحقوق الأخلاق والحرية والإنسانية ، فلم تمنع مخالفة النظام في المقالة والرأي والمذهب إبراهيم بن عبدالعزيز: أن يسعفه عند محنته وإملاقه، وأن يمد له يد العون والمروءة والإنقاذ.

فتباعده منه كان لله تعالى، من أجل الاختلاف في المقالة والرأي، وصلته له من أجل رعاية حقوق الإنسانية والحرية ، وهي لله تعالى أيضا، وكل ذلك من الإسلام ، فانحراف النظام في رأيه، لا يمنع من القيام بأداء حق المروءة إليه ، فما أجمل الفهم للشريعة وأحكامها ، وما أجمل تنزيلها منازلها في الرضا والغضب، والقرب والبعد، والحب والكره، مع الصديق والعدو: « لا وكس ولا شطط» . ورحمة الله تعالى على ذاك الإنسان العالم النبيل ، ما أعمق إدراكه للإسلام! ■

الهوامش:

(*) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، الشيخ عبدالفتاح ابو غدة ، ص٢١٩، والخبر في كتاب الحيوان ٣ / ٤٥١ .

(١) أي التشاؤم ببعض الأشياء أو الأشخاص أو الأزمان أو الأماكن ، هل هو صحيح له تأثير أم باطل؟

(٢) أي فكرت كثيرا، والقلب : العقل.

(٣) الأهواز : بلدة شرق شمال البصرة، تبعد عنها نحو ١٥٠ كيلومتر.

(٤)هي فرجة من النهر تركب منها السفن

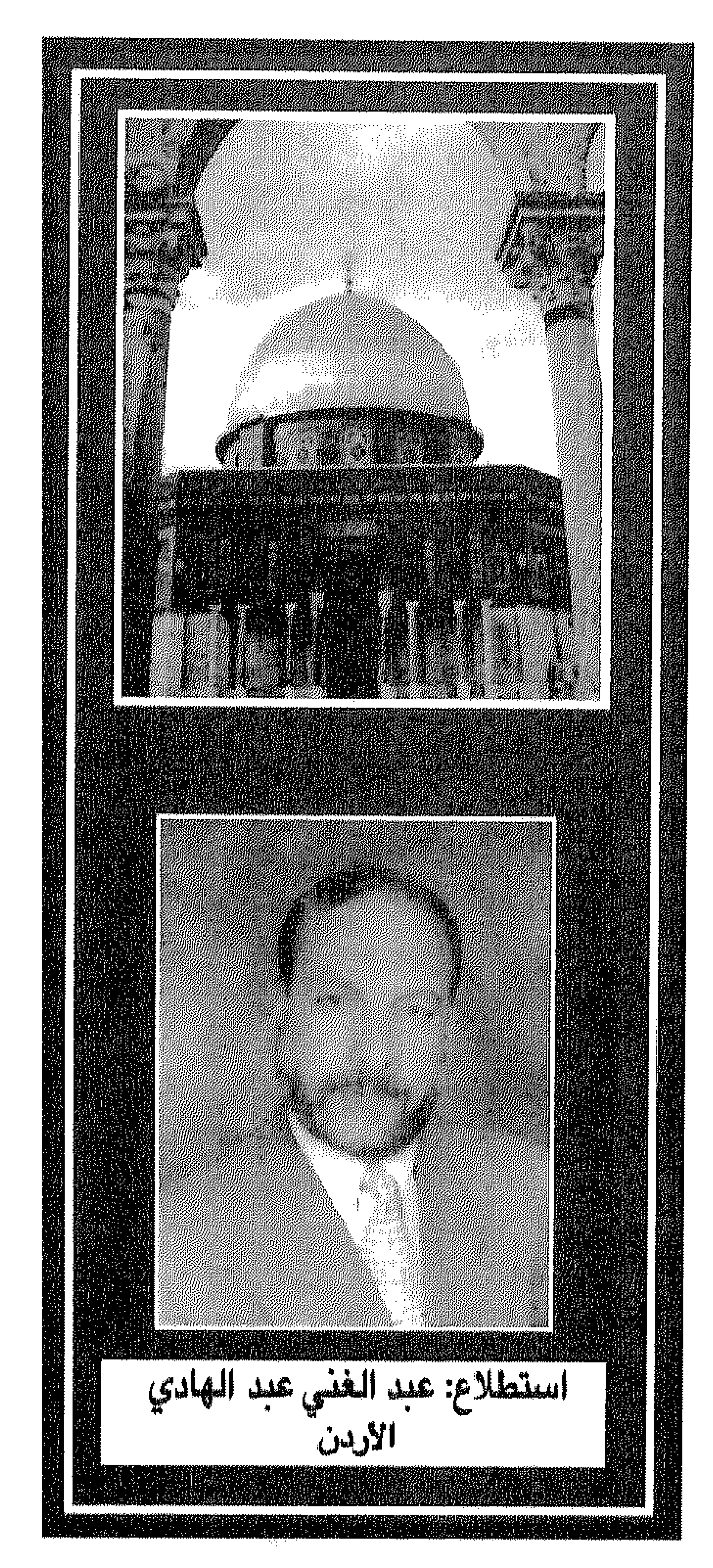
(٥) أي عتيق بال.

(٦) أي بالية أيضا، والمضربة : هي غطاء كاللحاف، ذو طاقين مخيطين خياطة كثيرة ، بينهما قطن ونحوه.

(٧) الأعضب : مكسور القرن ، وكانوا يتطيرون به.

(٨) أي شرف النفس والإنسانية.

مسابقة القدس الشعرية



استطلاع: عبد الغني عبد الهادي
الأردن

كشف: مسابقة القدس الشعرية التي أجراها المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن بمناسبة اختيار عمان عاصمة للثقافة العربية لعام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م عن عدد من المواهب الشعرية الشابة المتميزة.

وقد التقت (الأدب الإسلامي) عددا من الفائزين بهذه المسابقة واستطلعت آراءهم وانطباعاتهم عن المسابقة والرابطة، ورسالة الأدب، والأصالة والحداثة، وقضية الشكل والمضمون .. فكان حديثهم ممتعا ومتميزا كتميزهم في الفوز بالمسابقة.

البداية والمنعطف، بمن تأثرتم، ما الذي يشعركم بالتميّز ؟

يقول عبد الله أبو شميس : منذ نعومة أظفاري كانت تستوقفني الكلمة الجميلة فأحببت الشعر، كنت أغلق على نفسي الغرفة وأبدأ بإنشاد الشعر، كنت أشعر بنشوة كبيرة وأنا أقرأ، أتذكر أنني كنت أشعر بأنه من السهل أن أكتب شعراً .. حاولت وكتبت .

في بداية طريقي أحببت المتنبي وما زلت، ثم اطلعت على تجربة السياب فأحببت شعره كثيراً وربما كان له الأثر الكبير في شعري مع رفضي للانحراف في مضمون كثير من قصائده .

في هذه الأيام تشابهت الأصوات وتناغمت، أحاول ما استطعت أن أكون صوتاً متميزاً لعلي أترك أثراً ولا أكون رقماً معدوداً فقط وسط هذه الجموع .

وتقول إيمان عبد الهادي: تبدو الصورة مشوهة،أو مشوشة شيئاً ما عن بداية الطريق الذي يبدو في تلافيف ذاكرتي مسدوداً، ذلك أني عندما بدأت أكتب الشعر، لم أختر قلماً وورقة غير أني وجدت يدي مدفوعة بعصبية التمرد إلى الكلمات فكان أن صرت أكتب في كل يوم قصيدة أو قصة قصيرة، أو كانت هي تكتبني، دون أن تستنفد من جذوة الاحتراق في نفسي شيئاً . أما إذا سألتني عن بداية الفاجعة التي دفعتني للكتابة ! فلعلها ابتدأت قبل أن أولد .. ولعلي أعيشها الآن بكل أعمارها ولا أظنه من الصعوبة بمكان أن تختصر عمراً من الجراح في جرح ما زال يكمل عمره " فهذا القلم كالوطن، كل الجراح تؤله ".

أما عن المنعطف فلا أعتقد أن تجربتي العمرية تسمح بتكوين منعطف جاد، إذا اعتقدت أنني جاوزت البداية، بدأت بالقراءة لمحمود درويش وسميح القاسم وأدونيس ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب وغسان كنفاني ويوسف إدريس وأحلام مستغانمي ونزار قباني وإبراهيم نصر الله ومظفر النواب وأحمد مطر والطاهر وطار ... وغيرهم، وأنهيت الأعمال الكاملة لمعظمهم، وإذا تجاوزنا مضامين هؤلاء إلى كتاب الأدب الإسلامي فقد قرأت نتاج نجيب الكيلاني، وباكثير، وعبد الله عيسى السلامة، ومحمود مفلح، ويوسف العظم، وجهاد الرجبي، وغيرهم ... ومن القدماء، قرأت دواوين المتنبي، وأبي تمام، وأبي فراس الحمداني وابن الفارض .. وغيرهم أيضاً ...

وسيكون من المبالغ فيه أن أقول : إني لم أتأثر بما قرأت بقدر ما كان يثيرني ما يكتبه الذين أكتب عنهم، وبقدر ما يسكنني صمتهم دماً يرحلون به إلى العالم الآخر، ونبقى نحن هنا، نشرع أقلامنا لزمن غادرهم على عجل، نعتذر لأنفسنا، نقول لعل ما نكتبه أو يكتبنا يكون وخزاً لخدر عرّش في مراكز الحس في خلايانا، كعادتنا نلوح بيد من أصابع مقطوعة للوطن، نصبر ونعض على أصل شجرة .

وما الذي يشعرني بالتميز ؟

أشعر بالتميز حين أكتب لطارد فيستشهد أو لشهيد أعيش شهادته بعد ذلك، أشعر بالتميز حين أنتصر لفكرة، العقيدة هي الأصل ولذلك كان لابد أن يكون الداخل ممتلئاً بها والشعر بعض انعكاسات ذلك في واقع الحس ! ...

يقول هشام القواسمة : أعتقد أنه من الصعب جداً أن يحدد الإنسان، أي إنسان، من هم أولئك الذين أثروا فيه وأسهموا أن يكون على الهيئة التي هو عليها ... أما حين يتعلق الأمر بموضوع كالشعر الذي هو لغة، و اللغة إنما هي فكر وألفة فيصبح التحديد عندها ضرباً من المستحيل.

– ولكن من قال إننا نعمل المستحيلات؟ ولماذا الشعر إذن ؟

تعلمت منذ البداية – في العاشرة – القرآن الكريم أحكاماً وحفظاً، ثم كان أول من تعرفت عليه من الشعراء البحتري، ثم كرت المسبحة التي يبدو لي أثر حباتها سيكون أبا الطيب والسياب ودرويش ...

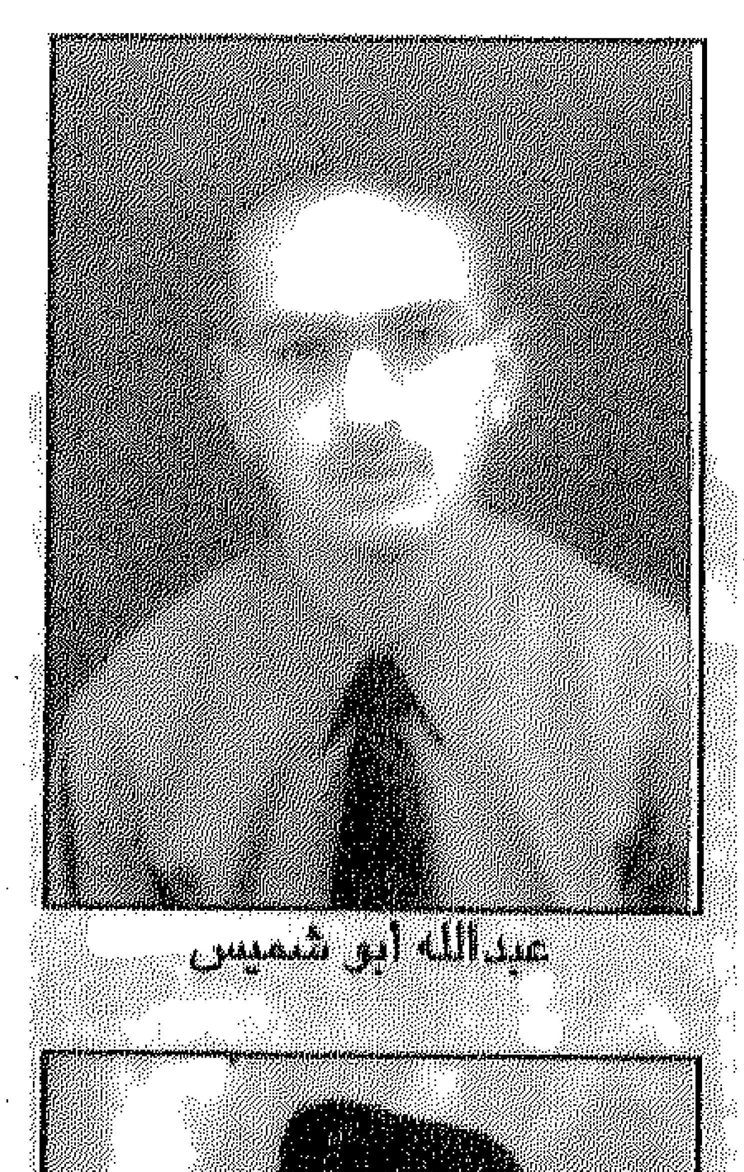
ولكن هذا مجرد اقتصاد مخل فقد أحببت طرفة وذا الرمة وصريع الغواني والملاح التائه والرافعي ويوسف الصايغ .. والآن أقرأ – وما يعجبني – روائيين مثل كونديرا ... لكن ما أظنه أن أكثر ما أثر بي لم يكن دواوين الشعراء هؤلاء ... وإنما كتب الفكر العربي منذ الغزالي وابن تيمية انتهاءً بالجابري ...

هذه الكتب جعلتني أكتب من داخل الثقافة العربية بشكل أساسي.

أما ما يجعلني أمارس الشعر فحاجتي إليه أكثر من شعوري بالتميز .

فوزكم بجائزة القدس الشعرية الأولى لرابطة الأدب الإسلامي، ماذا يمثل لكم ؟

عبد الله أبو شميس: في هذه الآونة بدأت أشعر بخطورة المنعطف الذي يسير به الشعر في الوطن العربي فالكثير من الشعراء أغرقوا في ذاتهم وأهملوا قضايا أمتهم المصيرية . حاولت أن أقف على مفاصل آلام هذه الأمة. كتبت عن القدس وعن بيسان وعن بغداد .. فجاءت مسابقة القدس .. وفزت .. أحببت فوزي لأنه اقترن باسم القدس..


عبدالله أبو شميس


هشام القواسمة

إيمان عبد الهادي : بداية، الشكر المتواصل لجهودكم المتواصلة، أن يرشحني أساتذة أفاضل للحصول على المركز الثاني في المسابقة، أعتقد أن هذه التزكية ستمنحني الكثير، وستكلفني الكثير أيضاً حتى أكون جديرة بها . مسألة أخرى : كنت دائماً أتلمس اهتمامكم ابتداءً من فكرة المسابقة، وتواصلكم معنا عن طريق الهاتف وحفل التكريم، وأخيراً هذا التحقيق في مجلة الأدب الإسلامي، وأن توسم المسابقة باسم "القدس" وتتواصل مع نبض المرحلة، وحيثياتها، وخطورة إقصاء الأدب عنها، أعتقد أنها لفتة جد رائدة، جزيتم خيراً ...

هشام القواسمة : عندما يفوز الشاعر بجائزة فإنه يزداد ثقة، بالجانب الذي تهتم به الجائزة من تجربته، وعندما تأتي الجائزة من "رابطة الأدب الإسلامي العالمية " فإنه يزداد ثقة بانتمائه لهذه الحضارة العظيمة .

تصوركم كشاب للأدب عموماً، هل هو تسلية ولعبة، أم رسالة ومنهج ؟

عبد الله أبو شميس : لم يكن الأدب في يوم من الأيام تسلية أو لعبة ولن يكون، فمعجزة هذه الأمة في بلاغتها وكلمتها ... الأدب رسالة يجب على الأدباء أن يعوها . ورغم ما

نعانيه من فساد للذوق العام لكن هذا لا يسمح لنا أن ننحط به .

إيمان عبد الهادي : كنت أقرأ في مقدمة كتاب (قرارة الموجة) لنازك الملائكة عندما طالعتني الجملة التالية " قد يكون الشعر بالنسبة للإنسان السعيد ترفاً ذهنياً محضاً، غير أنه بالنسبة للمحزون وسيلة حياة !" ولأننا لا نعتقد أننا نكتب لنعيش وإنما نعيش لنكتب، ولنتواصى بالحق، ولنذكر " فإن الذكرى تنفع المؤمنين "، ولنعتذر " معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون " ولنحقق الاستخلاف في الأرض، أعتقد أن الأدب واقع في إطار هذا المفهوم الأخير وهو جزئية محورية حادة البروز – بالنسبة لي على الأقل – وأظن أن إسلاميته + الأدب قد أهملت كثيراً، وهذا أمر يتبدى عندما نطالع أسماء كبار الكتاب من الذين يلفظون هويتهم وينسلخون عن عقيدتهم فضلاً عن تجرئهم عليها، وانحيازهم لتيار سافر من الإباحية لا تكاد تخلو من رواية أو ديوان، وكأن بني البشر كلهم سبكوا على هذا النسق المخيف من الغرائزية، تمتلئ بها ذواتهم وتمارسها جوارحهم، أو كأن هذه اللغة هي كل ما نبحث عنه ونفهمه، أو تطالعنا صورة أخرى تتردد كثيراً ويدرجونها تحت عناوين " الموت الدافئ والتضحية الأسطورية أو البطولة الخارقة عن إطار المألوف والانتصار على القهر " ... صورة البطل الذي ينتحر في سبيل الهدف، أو يتعاطى المسكر على مدار الرواية حتى الثمالة، أو يكون مجنوناً، أو مسكوناً بروح اليأس والقنوط والإحباط، أقول .. لست ناقدة ولعلي لن أكون، غير أني قارئة تشتاق إلى روح شفيفة محلقة تتجاوز الحضيض إلى شيء لا يكون إلا فوق رؤوس الجبال، شيء بقامة مئذنة المسجد .. ليس ظلاً ولا خرافة، شيء ينتظر منا أن نسمي الأشياء بأسمائها، أن نعيد التوازن إلى التجارب التي ترفع إلينا نتاجها بإحساس مرهف مسؤول !..

هشام القواسمة : لا يمكن أن يكون الأدب تسلية ولهواً، إنه ينتمي إلى الجانب الأعمق من الإنسان .

لمن تكتب ومتى ؟ وما هو تقديركم للأصوات الشعرية الشابة ؟

عبد الله أبو شميس : متى .. لا أعرف . أشعر أن هناك ما يجوس في أعماقي .. اضطراب . ينتابني القلق . فولادة القصيدة تشبه وجع الولادة .. يأتي المخاض وتخرج القصيدة في البيت، في العمل، وربما على قارعة الطريق .. أما لمن.. فأنا أكتب لكل من يتذوق الشعر ويجد الوقت لقراءته .. أكتب لهذا الوطن الممتد من البحر إلى البحر الذي يعذبني .

وهناك العديد من الأصوات تبشر بخير .. لكنها تحتاج إلى دعم وتحتاج إلى نقاد يقفون على هذه التجارب ويقدمونها حتى ترى النور .

إيمان عبد الهادي : أكتب للوطن أولاً، لهذا الذي هو "هنا" على بعد نزهة من الحدود، وذاك الذي "هناك" على بعد سماء سابعة وروح تسكن في حواصل طير خضر، حيث يكون الوطن حقيقياً في كل شيء ولا نكون حقيقيين في غربتنا عن ريحه، وللوطنين هنا في هذه الروح الكئيبة، روحي أنا .. حيث أكون بينهما وطناً ثالثاً من الاشتياق والبكاء، وللذين يحبون الحق مشهوداً وشاهداً وشهيداً على حافة السيف في ديوان لا يصدأ فيه الألم، وللذين لا يحبون الحق أيضاً ! ويودّون لو نقتات على فتات ما يكتبون بينما نواصل ذلنا بأطراف مبتورة وأقلام مكسورة أقول لهم : ما زال في الوقت متسع للتحدي حيث يكون الانتصار حليف الذي يضحك أخيراً.. وآخراً ..

أما الصوت الشعري الشاب فما زال خافتاً، غير أنه ثمة يقين في روعي أنه سيعلو كثيراً حيث يصدق أكثر، ولعله يوم غير بعيد، ولعله حين يأتي يكون له ما بعده !!.

هشام القواسمة : أكتب لمن يقرأ ولا وقت محدد للكتابة .

أما الأصوات الشابة – التي أنتمي إليها– فأعتقد جازماً أنها تعد الأدب العربي بربيع طال انتظاره.

لقد استوعب الشعراء الشباب تجربة الحداثة استيعاباً، ويبدو أنهم يعرفون أيضاً كيف يمزجونها بأصالتهم الشعرية .

كيف توفقون بين الشكل والمضمون في تجربتكم الشعرية، رغم حداثتها ؟

عبد الله أبو شميس: أنا أكتب الشعر العمودي وأكتب كذلك شعر التفعيلة عندما أريد أن أكتب قصيدة أو عندما تجرني القصيدة لكي أكتبها .

أطلق لها العنان وأتركها تختار الشكل الذي تريد .. فربما تخرج قصيدة عمودية أو قصيدة تفعيلة . في الآونة الأخيرة بدأت أبتعد عن الإغراق في الذات، بدأت أتحسس حولي وأراقب ما يحدث .. بدأ الهم العام ينتاب قصائدي ..

إيمان عبدالهادي : عندما نفحص جماليات الكلم، نكتشف عادة أن الكثير من التضامن والقوة تجبل في جسد الكلمة وروحها، فتحملها إلى مكامن الطاقة في نفس المتلقي، كأن جسراً واحداً متسقاً في تضاعيفه يمتد بين طرفين اثنين، روح الكلمة وروح قارئها، ولو لم يكن الأمر على هذا المستوى المحوري من التكامل والوشائج الكامنة والظاهرة لكان الكلم أسهل طريقة يبتكرها الإنسان للتعبير، ولما استقرت مفاهيمه على حواف أفهامنا وطفت على سطح بحر ذي قرار بعيد ثم غرقت حيث لا ينقذها سوى أن تنهض بكمونها إلى القرار البعيد الذي غرقت فيه .

ولطالما حاول النقاد أو الباحثون في نظريات النقد أن يسبروا غور هذه القضية التي تبدو أحياناً في منتهى البساطة " قضية اللفظ والمعنى " أو " الشكل والمضمون " والتي تأتي أيضاً بقمة هرم البحث وأول سلم النظر . ويلوح للذهن أحياناً أو يخطر في البال أن الأمر من البداهة بمكان بحيث يحتاج إلى أضعاف كثيرة من التسليم أكثر مما يحتاج إلى هذه الأضعاف المضاعفة من البحث الذي يحتل المساحة الأولى والكبرى من النقد .. فليس ثمة لفظ ليس له معنى وليس من معنى يقوم بذاته من غير هيئة، ومن هنا ليس ثمة جهد مبذول في حقيقة الأمر وصميميته ليؤدي صفة الترابط والتوازن بين وجه الكلمة الداخلي ووجهها الخارجي، إذ هما وجهان لرمز واحد، وعلى أبعاد هذه الكلمة الأخيرة يقف "الرمز" . فدائماً كان في الوجه الحاضر للكلمة ما يسوق كلمات غائبة، وعندما يتحرك العقل فإنه يبتز المواقف الجزئية ليصنع منها إشكالية كبيرة، يساعد اللفظ بجرسه وما يتبع قاموسه من كلمات وما يرتبط أو يدور في فلكه، يساعد على صياغة هم لغوي يتمخض عنه كثير من المعاني، ويكون بعد ذلك أن ندفع بهذا الرمز إلى الربط بين شكل الكلمة باعتباره رمزاً محدداً وبين قصيد الكلمة الداخلي أو المضموني حين يتمحور حول مركز فضاءات شمولية الرمز وقدرته على استحداث المشاكل المتوالية.

والمبدع حين يستنطق معاناته فإنها تنسلخ على جسد الحرف وروحه في آن معاً دون أن تبدو العلاقة بينهما باهتة، بل لعل الأضواء الخافتة التي تحيط بالكلمة أحياناً تقتلها قبل أن تولد . ولهذا كان للتكثيف في معنى الكلمات صخب في شكليتها، إذ نرى هنا على هذا التراسل البدهي بين جانبي الكلمة (الشكل والمضمون) أنه أحياناً يلخص وجوداً كاملاً، والحديث هنا يطول غير أن مناط الأمر محصور في وشيجة لا يمكن حلها بين السّمت والدلالة ....

هشام القواسمة : لا يوجد مضمون حقيقي دون شكل، ولا شكل حقيقي دون مضمون . وحين يتغير المضمون يتغير الشكل بالضرورة . ولا مشكلة في الأشكال إذا لم تكن ذات مضامين فاسدة (أعني لا تنتمي للثقافة الأم).

التراث والأصالة. الحداثة والمعاصرة.. كيف تفهم هذه المنظومة وتتعامل معها ؟

عبد الله أبو شميس : الشاعر والمتلقي في أيامنا هذه يعيشان في إشكالية.. لعلها تعود إلى أن الشاعر يستخدم أدوات لا يصل إليها المتلقي .. فبدلاً من أن يستلهم التراث الأصيل يذهب إلى الإغريق ويأتي بآلهتهم التي لم يسمع بها المتلقي .. هذا ما وجدته . فقد كان تراثنا العربي والإسلامي حاضراً في كثير من قصائدي فقد كتبت العديد من

القصائد أذكر منها (رسائل إلى امرئ القيس) (من مذكرات أبي ذر الغفاري) (عفراء لافتة الجدار الجنوبي) ... وغيرها لو رجعت إلى هذه القصائد لوجدتها مليئة بالمضامين التراثية ..

أما الحداثة والمعاصرة .. فلكل عصر أدواته .. يجب أن لا نخاف من التجربة الجديدة بشرط أن لا نتخلى فيها عن قواعدنا الأصيلة .

إيمان عبد الهادي : لعل ثمة خيطاً شفيفاً ينتظم المسافة الفاصلة بين القديم والمعاصرة وحيث ينتظم الخيط مسافة ينحشد فيها عمر من الحداثة مكثفاً فإن الأصالة أيضاً تتركز في ماضيها بضوء أكثر سطوعاً مع أنه أكثر هدوءاً، إذ طالما صاحب ما أفرزته الحداثة الجديدة صخب يستفز ويناوئ ويحارب ويتشابك ويتسارع في ذهنية أكسبتها طبيعة العصر آلية سريعة في التفكير .

الحداثة الجديدة تثير الحركة وتصعد التمرد وتطرح الأسئلة المتتابعة دون أن تنتظر إجابة ما . فالمبدع يريد من المتلقي أن يتفاعل مع عصبية خلقه التي أخذتها في نص تتلخص فيه دعائم الثورة لا أن يجيبه على جزئيات المادة المطروحة، ولما كانت الكلمة ثقافة كان من الخطورة بمكان أن نعزل تراكمية الثقافة عن سياقها الزمني، إذ تقتضي هذه الصفة التراكمية أن تتواصل بدايات الأشياء بما يعاد إنتاجه الأكثر على اعتبار الاختلاف الزمني، وليست العلاقة بين التراث والمعاصرة علاقة صراع وغلبة، وإن كانت تتسم بتنافسية يحاول أطرافها إثبات امتيازات لمقوماتهم الفنية في التعامل مع النص ومهمته، ولا يمكننا من وجهة نظر متواضعة استشفافها من خلال قراءة القديم والمعاصر، أو محاولة اختراق القديم إلى المعاصر وتتبع الخطى التي تستهلك منهجية الأدب التي تبدو عشوائية أحياناً – أقول لا يمكننا أن نغض الطرف عن الجهد الجماعي الذي ينسكب في أوصال نص حداثي نرى في مرآته أبا تمام أحياناً، وأحياناً أبا فراس والمتنبي وامرأ القيس . فالجاهلية إذاً ترفد العصور التي تتلاحق بعدها في عشوائي أدبها واتساقه، وإذا كانت الحداثة فكرة ما فإن تطورها المطرد في حالة ارتباطه بالزمن أو انسلاخه عنه – سيتحول حركة ما، وهذه الحركة ستتمخض عن مجموع حركات داخلية أشبه ما تكون بخلق فوضى متسقة داخل نظام صاحب هندسية معينة تتركز في تشكيلها على أحد الأضلاع مهما طال أو قصر، إذن لكل حركة نظام، ولكل نظام لون ما يلبث إلى أن يجتمع تحت مسمى حركة ما، وهذا يعيدنا إلى تراكمية الثقافة والتي تفسر في بعض وجوهها حالة تداخل النصوص .

هشام القواسمة : إنه قدرنا أن نكون من أبناء هذه الأمة، وقدرنا أن نعيش هذا العصر . والنتيجة واضحة لا يمكن أن نهرب من أي من أقدارنا . ■

تعريف موجز بالفائزين

– الاسم : عبد الله امين أبو شميس

– مواليد عمان : ١٩٨٢م، طالب في كلية الهندسة الجامعة الأردنية .

– فاز بالجائزة الأولى في مسابقة القدس الشعرية – الدورة الأولى.

– وفاز في كل المسابقات التالية :

– مسابقة الإبداع الشبابي / وزارة الثقافة : ٢٠٠١م

– مسابقة عمان عاصمة الثقافة العربية : ٢٠٠٢م

– مركز اللغات / الجامعة الأردنية : ٢٠٠٠م

***

– الاسم : إيمان محمد عبد الهادي

– مواليد : ١٩٨٢م .

– طالبة : في الجامعة الهاشمية، كلية الآداب .

– فازت : بالجائزة الثانية في مسابقة القدس الشعرية الدورة الأولى.

– كما فازت، في أكثر من جائزة شعرية وأدبية .

– من نتاجها الأدبي المخطوط :

* (مولاي الموت) ديوان .

* (يدك التي ترتجف) – مجموعة قصصية .

* (عن دم كامل الدسم) رواية .

***

– الاسم : هشام عطية القواسمة

– مواليد : ١٩٧٢ م

– الشهادة العلمية : بكالوريوس لغة عربية .. دبلوم دراسات عليا في التربية .

– فاز : بالجائزة الخامسة في مسابقة القدس الشعرية الدورة الأولى .

– المؤهل الأدبي : الشعر

– النتاجات :

* رحيل النوارس – شعر – ٢٠٠١ .

* سطور الملح – مخطوط .

* صرخة في زمن الصمت – مخطوط .

القصائد الفائزة في مسابقة القدس الشعرية

شيماء

شعر: عبدالله أبو شميس
الأردن

ظل على حجر في آخر الدوحِ ... إذا تحرك صاحت موجة الفوحِ

وإن سجا سقسقت في الدوح أجنحةٌ ... راحت تفتش عن قارورة النفحِ

يسري على الزهر مرتاحاً ، ومعرجةٌ ... إلى يدين من الأشواق في سرحِ

شيماء شمّاء ، ما حلت ضفائرَها ... يد ، ولا لمستها أنمل الشرحِ

راحت فتاةً وأمست أم مملكةٍ ... وأصبحت ربة الدنيا، ولم تضحِي

أبناؤها الرمل والزيتون ، والقمرُ ... المرسوم بالرمل والزيتون والرمحِ

وعاشقوها – على ميعادها بِغَدٍ- ... ليست نفوسهم بالأنفس الشحِ

السائرون حفاة ، كلما دميتْ ... أقدامهم فتح الدحنون في السفحِ !

القارئون كتاب الله ، وحدهمُ ... من يفهمون لماذا «سورة الفتحِ»

هم طرزوا خرز الأرواح مؤتلقاً ... ثوباً لها ، ومضوا للعرس والفرحِ

عشاقُها في أصول القمح تغرسهمْ ... والخائنون: لواد غير ذي قمحِ !

* * *

يا قرية شيدتها الأنبياء على ... مهلٍ ، وشدت بها صرحاً إلى صرحِ

من اسمه مدها (القدوس) نيرةً ... وباسمها رفع النورين في جنحِ

يا حرة – باعها في غير مكرمةٍ- ... من أهلها غير مخدوع ولا سمحِ

للصخر شكلك . تباً للذين بنَوا ... – ما بين نهر وبحر– دولة الملحِ

ونكست كل رايات العلاءِ ، إلى ... أن عولجت ألفات الخط بالمسحِ

حتى غدا عمر (الخطابُ) من (خُطبٍ) ... ثكلى ، وآل (صلاحُ) الدين (للصلّحِ)

ما رفّعته يد الباقين من زمنٍ ... بالحزم بعثره الفانون عن مزحِ

إلاك في قمر العشاق طالعةٌ ... تُجرِّحين ظلام الظلم باللمحِ

بمدفع النار يجتاحون أغنيةً ... تَرِفُّ في شفة المنصوب للشبحِ

بالهدم بالردم بالتشريد بالدم بالتـ ... قييد بالحبس بالتعذيب بالذبحِ

بكل ما يعرف الطاغوت من لغةٍ ... تبقين أنت بقاء النور في الجرحِ !

* * *

مولاي ، كل الذين استأذنوك مضتْ ... حاجاتهم، وأنا بالباب من ردحِ

محير الطرف : لا أرضى سواك، ولا ... إلى نداك سوى درب من البوحِ

بالحبر تسألني حُبّاً أراق دمي ... ما أبأس الحبَّ إذ يحتاج للشرحِ

مولاي ، كلِّي لذاك الظل أخيلةٌ ... فائذن لخطوي أن يمتد للدوحِ .

أنت القصيدة

شعر: إيمان محمد عبدالهادي
الأردن

سنعبر للجرح ...
حين يصيرُ لكفّيك نورا ...
ونُسرج للروح جسرا ...
ونسكن دمع الصلاة زهورا ...
فأوقد لنا من دمائِكَ فجرا ...
لأن الصواريخَ ...
توقد في الانفجار الفجورَا ...
أبي .. يا أبي ...
نور عينيَّ أنت وبسمةُ روحي ...
لماذا عبيرك في خافقي .. يستحيلُ عبيرًا
!؟
لماذا إذا ما أردتُك حيناً ...
تلفتُّ في أفقك الكون ...
حتى أضيعَ بأفقكَ طفلاً صغيرا ... !
أبي .. يا أبي ... أفقكَ الكونُ ..
دعني لألثم خَطْوَكَ ...
فوقَ المسافات ... دعني
لأصبح ورداً وجُرحاً غزيراً ..!

* * *

كُنا على بعض المسافةِ
نستثير الحلمَ في صبر المدى ...
فتكاثرت .. في جسم هذا الحلم.. آثار
المُدى ..
وتفتحت صور الحياة كثيرة وقليلةً
في جثة .. تُدعى الرّدى ..
يا والدي ...
هم مَسْخُ أقذارٍ يجللها القذى ...
ماذا عليكْ ...
يا واهب الأزهار فجراً من ندى ...
ماذا عليكْ ..
ما زلتُ أقرأ في عيونكَ نصرنا ..
بوابة .. ما زلتُ منتصباً على إصرارِها
... ما زلتَ في عمقي الصدى ...
ماذا عليكْ ...
المثلنا ... تتفتحُ الأحزانُ
في فرح التصبُّرِ والسكينةْ !؟...
ومَن الذي قد ساقني ..
منذُ الطفولةِ خنجراً ...
القلبُ يحزنُ يا أبي ..
لكنني في غمرة الأحزانِ ..
لستُ بها حزينةْ !..
شاء الإلهُ لنا ..
أن يستيقظَ الإيمانُ في قلبٍ ..
بطولتهُ سجينةْ ...
ماذا عليكْ ...
أنتَ المدى ...
وأنا انتظارٌ ... ليس يسعفُه الشراعُ
ليرتقِي ..
وأنا الحجارةُ حين يقذفها الصغارُ ..
وأنا التحررُ والحصارُ ..
ماذا عليكْ ..
أنتَ المدينةْ ..
يا والدي ..
فليضحكوا .. إن كان يُضحكهم دَمُكْ ..
أو فليخيطوا الآن من أوهامهم كفناً ..
تجلله العيون الساخرة ... !
وليلهِهم أملٌ ولو لهنيهةٍ ...
من أن روحكَ ناخرة ..
ماذا عليكْ ..
أولستَ من يجري القوافل للسما ..
ويشد حبل الباخرةْ ..!
ماذا عليكْ ..
إن كنتَ قافلةً بنا حياً ..
فأنتَ الآن آلافُ القوافلْ ..
وليعلم الناعونُ روحكَ ..
أن روحكَ ليس تخنقها القنابلْ ..
منْ قال: إن الشمس .. إن طلعت
على بيّارةٍ من دفءِ روحكَ ..
قد تغادرها ... إلى حمّى المهازل ..!؟
يا والدي دعني أصفّق جاهداً ..
من فوق أطلال العروبة والتخاذلْ ..!
خمسون " والمتخصصونَ " يفاوضون
على دمي ..
ويفاوضون على فمي ..
إن كان من حقي التكلُّمُ ..
أم سأبحث عن بدائلْ ..
ماذا ستفعلُ بندقيتُكَ الجميلةُ حينما ..
تجتاحُ غربَتها ..
قوانينُ القبائل ..!
يا والدي ..
هل سوف تخضرُ الحقولُ ...
ويرتقي ألقُ المشاعلْ ..!
ومتى ستنتفضُ المساجدُ بالسنابلْ ..!
يا والدي .. عرسُ الشموس ...
يُضيؤهُ دمكم فقطْ ..!
وإذا أرادوا أن يضيؤوا العرسَ
من أرتال خَيْبتهم نقول لمكرهم :
أما القناع فقد سقطْ ..
عُدنا لأوّلنا ..
وعادت بسمةُ التكبير تجتاح القصيدة
..
أنتَ القصيدةْ ..
وأنا إذنْ ظلُّ القلمْ ..!
وأنا الألمْ ..!
وأنا بعرسكَ .. طيفُ أحزان سعيدةْ ..
مِن أينَ لي أن أحشدَ الفرحَ الحزينَ ..
لكي أحدث عنكَ يا وطنَ القممْ ..
والحرفُ معتلٌ وتربكهُ الحصيدةْ ..
ستظلُّ فينا مارداً ..
كي يولدَ الأبطالُ.. من سِفرِ العدمْ ...
وتظل غُربتنا مديدةْ ..
ستظل أنتَ شفاءنا..
وتظل (إسرائيلُ) وهماً كالورمْ ..
وتظل تنتفضُ السواعدُ بالعقيدةْ ..!

سأبقى أحبك

شعر: خالد يونس الحسن
الأردن

سأبقى أحبكُ رغمَ اقتناعي ... بأني لحتفي أسافرْ ...
وأعرفُ أني وصلتُ النهايةَ ...
وفيكِ ختمتُ فصولَ الروايةْ ...
وأنّي تحديتُ أحلى المخاطرْ .
وخلفي جنودٌ .. وبرقٌ .. وقصفُ رعودٍ ...
وموتٌ أكيدٌ ...
ويُقتل شِعريَ خلف الدفاترْ .
فأبقى حزيناً كوجهِ الحياةِ ...
وأبقى كئيباً كلون السحابِ
فأتبع ظلّكِ خلف الجبالِ وخلف الهضابِ ...
لأدركَ أني تبعتُ السرابَ .
لأني رأيتُكِ جوهرتي النادرة ...
وقطرة ماءٍ على راحتي حائرة ...
لأنيَ حاولتُ صيد النجومِ ... فعدتُ أسيرَ الهمومِ ...
وعدتُ أسيرَ الخواطرْ
سأبقى أحبكُ حتى النهاية ...
وأعرف أن طريقي مُلَغَّم
وأُنْبئتُ منذُ البدايةِ ... بأني سأهزم ...
وإني رأيتُ لديكِ الخلاصَ ... فألقيتُ نفسي بين المهالكِ
تحتَ الرصاص ...
سأبقى أناضلُ ... لوحدي أقاتلُ ...
برغم أنوفِ الوفِ العساكر
وأبقى وحيداً ... لوحدي غريباً
شريداً ... طريداً ... طليبَ العدالةِ
فأُسجنْ ... وأُحكمْ ... وأُعدمْ...
ويُحرقُ جسمي لديكِ ...
ويُنطق باسمي على شفتيكِ ...
ويحملُ نعشي لمعبدكِ القدسيِّ ...
فتهتزُ أرضُ المدينة ...
وتسقطُ دمعتكُ السخينةُ ... على جبهتيَ المستكينة ...
سينبتُ زهرُ البنفسجِ فوقَ ترابي ...
سأوهِمُ نفسي بإحرازِ نصرٍ لروعةِ تلكَ النهايةِ...
سأبقى أحبك رغم انهزامي
فسحرك أكبرْ ... وحبيَ أكبرْ.. وأخطرْ
وإني أحبُ ركوبَ المخاطرْ ....

أغنيات الأرض

شعر: هشام عطية القواسمة
الأردن

إنها الأرضُ ثانية ... تقرأُ الفاتحةْ
وتعلنُ صيحتها في الوجوهِ
وتقوى أظافرُها الجارحةْ
تلملمنا في الدروبِ
وتغرسُنا في فضاءاتِ هذا المساءِ
نجوماً على الضفةِ النائحةْ

* * *

إنها الأرضُ ... كومةُ أحلامنا
رغم هذي القبور ...
ملاذٌ لنا في الزمانِ الرتيبِ
إذا صمتَ الخائفونَ ..
شراعُ المسافرِ نحو اللقاءِ
هي الأرضُ .. وما أجملَ الرائحةْ !

* * *

إنّها الأرضُ مملوءةٌ بالأسى والنحيبْ
يفيقُ الضجيجُ على سطحها
وينكسرُ المطرُ الرخو فوقَ الدروبْ
حطامٌ كثيرٌ ... ولكنّنا الصّامدونَ
لنا كُل هذا الرُكامُ
وللأرضُ أغنيةٌ في الصباحْ
لنا كلُّ هذا المدى...
سنخرجُ من شرفةِ القبرِ
نُرجعُ كلَّ فصولِ الحروبْ
ونُوقظُ رغبتنا الجامحةْ

* * *

إنّها الأرضُ ... تسألنا في الصباح
– إلى أينَ يا موكبَ الحائرين ... إلى أين ؟!
– صوبَ الشوارع ... نحملُ أحلامَنا والحجارةْ
يطيبُ لنا الموتُ.. لكنْ ..
تفيقُ البشارةْ
تضيعُ بنا الطرقاتُ الحزينةُ ...
يرمُقنا العابرونَ .. ويمضون ..
هي الأرضُ ... نعشقها
فوقَ هذي الجراحاتِ
مذبوحةً كانت اليوم
أم ذابحةْ .

الصفحات الأخيرة من مذكرات شهيد ...

شعر: أحمد نور فهيم
الأردن

قاتلتِ بالذكرى على ذكرِ الذي (كنا)..
وقاومتِ التصحر بانبثاقِ الحر كالصقرِ المدجن ،
واستبحتِ العذرَ كي تبقى على قيدِ الرحيل المر ، آه ...
واعتليتِ الموجَ حين تحاصرتْ شهقاتُه بشواطئِ الإسمنتِ ،
فاستلّيه سيفاً حين تقضي رعشة الحب الزُّعافِ من الكرى وطرا ...
أيا عيناً بحذف النار يوقدُ ضوؤُها ،
وبها من الأحرار جزءٌ غارق في النور يجعلها ترى
وجزاءُ ما أسداه لا عيناً تراه ،
وذا نسيمُ الساحلِ الشرقي والمنفي يحكي ما يرى ،
قال النسيمُ : عجبت من أمرِ العيونِ الجاحداتِ
يكفُ ضوءُ العينِ حين يكف هذا الجزء منها .
قلتُ – يا لون اندثاري حين تسكبنيُ الحروف من القوالبِ
كي تعيش على مسلات الخلودِ- : كمثل تلك العينِ
هذي الأرض إذ قد أبصرتْ بي ثم لم ترني
وصارت في ظلام الصبحِ تجري
حيثما تدري ولا تدري .

* * *

تغارُ الأرض – ربي قد أبيتَ
بأن يكون الليل قطباً واحداً فملأته شهباً وأقماراً
له حسناً وحصناً قاهراً فيه السواد – من السماءِ
الأرضُ تجهشُ بالبكاء ،
سموتَ في ملكوتكَ العالي على عرشِ العروشِ على المياهِ
كما يليقُ بنورِ وجهكَ يا عظيم ،
عدلتَ إذ أمهلتَ من يطغى
وما أهملتَ حين قضيتَ بالبلوى على الخلق الذين تحبهم
فازدد رضىً ... نزدد كصخرةِ صبرنا صبراً...
ويشتد احمرارُ الجمرِ في رملِ القفارِ السمرِ
ينكفئ الكبدُ ، أحدٌ أحَدٌ !
لا والداً لك .. لا ولدْ ...

* * *

والأرضُ ترفعُ وجهها
من قطعةِ النّطعِ الوسيعةِ / بقعةِ القطعِ السريعِ
هناك حيثُ صارَ الموتُ موقتاً ومؤقتاً ،
الأرضُ تبكي من عيونٍ في دمي ،
وكأنني نصفٌ أُعدَّ لحلميَ المدفون في أملاحها ، والنرجسُ الحصريُّ في
نصفٍ لجسمي : ليس لي ....
آمنتُ أن لا شيءَ لي .

* * *

ليَ ما اكتسبتُ وللثعالبِ ما كسبتُ ، مبعثراً
كفٌ تُلملمني إذا شاءت لتنثرني على عبثٍ ،
كأني غبتُ عني عندما حاولتُ أن أرثَ
الدموعَ،
وجدتُ أني قد خرجتُ من الصقيعِ إلى اللظى...
جدليةُ الماضي ، وأولُ من تفاجأ بالسرابِ
وآخرُ الكلماتِ للصلصالِ في الدنيا أنا ،
وأنا أنينُ المفعمينَ بقتلهم ،
وأنا حصارُ الروحُ بالجسدِ التي ضاقتْ به،
وهو المكللُ بالقروحِ غداً يضيقُ بها
فهل في جعبةِ اللحظاتِ للإيجازِ من وقتٍ
عن الظلم المنظمِ ؟
لا

* * *

لا وقتَ للإيجازِ عن جذرٍ تغلغلَ في ترابِ القلبِ
واجتافَ الصخورَ به لكيْ يخضرَّ شريانُ الهوى ،
أفبعدما نَضَبَتْ دماءُ الجوفِ منه ، ولا مجيرَ له سواه ،
تركتم الطفلَ الذي في مثلِ عمرِ الوردِ يسقي قلبَ والدِه
دماً !!
لكأنَّ لا رحلاً يُشدُّ لما تباركَ حولَه
وهو المكلفُ وحدَهُ ، وهو المخوّلُ للتسابيحِ التي ،
يرتشُّ وجهُ الفجرِ منها عند أولى القبلتينِ
ولا شريكَ له بها ، وسألتُ نفسي وقتَها :
هل تحت تلك القُبّةِ البيضاءِ ثمةَ صخرةٌ
عرجتْ بذاتِ المصطفى نحو السماء ؟!
وهل هناك من الرعاةِ – المالكينَ رقابَ خيرِ قطيعِ أغنامٍ
– نساء ؟! هل الأنوثةُ لا تزالُ العذرَ في جبنٍ توشّحَ
باعوجاجِ الضلعِ والغُنجِ المعارِ ؟!
هل الصبايا فوقَ تلكَ الأرضِ – حورُ العينِ – لم يشعرنَ
بالصهرِ المباغتِ للأساورِ في (معاصمهنَّ)
أم لا شيءَ يؤذي الروحَ حين السلخِ بعد الذبحِ ، لا وقتاً
لأوجزَ ما تعسرَ هضمهُ في القلبِ لكنّي أرى صوتاً
يساقطهُ الجليدُ على المدارِ وتختفي – قبلَ انتصافِ
الأرضِ
من إيقاعهِ – النارُ ، إذا عُدّت كلاماً بارداً بين الحوارِ ،
الصوتُ يصرخُ هامساً : من ذا الذي
قدْ جاءَ من أقصى الكواكبِ يقتفي
أثرَ المجانينِ الذين تمرّغوا في الحب ، في حُبٌّ التي
غسلت وغلّت في الهوى يدها ، هي امرأةٌ تُحَبُّ وقد
تُحِبُّ
وليس للعشاقِ أن يتيقنوا في قلبِها حباً
فقلتُ : أنا لهم
آتٍ لأسكبَ روحيَ الثكلى على أرواحِهم
علّي أصيرُ – إذا اقتبستُ لظلمةِ الدّربِ المقطّعِ
جذوةَ السفرِ الطويلِ – لها
أنا الجاني القتيلُ بها ،
وهذا الشّعرُ من فرطِ الجوى
أحببتُها حتى غدا ظِلي يُشاهدُ ضوءَهُ
والضوءُ صارَ يُشاهدُ الظّلا .



أزمة الأدب والجنس

بقلم: عبدالرحمن تبرمسين*
الجزائر

إن الشيء الذي استرعى انتباهي ليس موضوع المرأة والجنس في أدب نجيب محفوظ فقط . . وإنما التصريح الذي أدلى به نجيب محفوظ حول سؤال وجه إليه - ماهو الحل لمشكلة الجنس في رأيك ؟ - في كتاب(نجيب محفوظ ، أتحدث إليكم ، الطبعة الأولى ، دار العودة بيروت)

يجيب نجيب محفوظ عن السؤال في صفحة ١٧٠ : الأريستوقراطية تحل مشاكلها في هذا الميدان بالتحرر، والطبقات الشعبية بالاعتراف بالجنس والزواج المبكر ، أما الطبقة الوسطى فظروفها تؤدي إلى التعقيد الشديد والمشاكل المختلفة في هذا الميدان .

ويقول في صفحة : ١٧٦ أما عن حل المشكلة الجنسية في مجتمعنا فأنا لا أستطيع أن أقوله .. ولا أنت تكتبه ! ولكنني أستطيع أن أقول : إن أوروبا تمكنت من حل المشكلة الجنسية بطريقتها الخاصة ، تجد أن البنت عمرها ١٥ أو ١٦ سنة وتكتفي في حرية تامة مع أي شاب ، لا مشكلة جنسية ولا مشكلة عفاف وبكارة ، وحتى إذا أثمرت العلاقة بطفل يذهب إلى الدولة كي تربيه إذا كانت أمه لا تريده » .

في هاتين الفقرتين نجد أن نجيب محفوظ أعطى أكثر من حل رغم قوله لسائله : أنا لا أستطيع أن أقوله ولا أنت تكتبه .

صور الجنس عبر التاريخ

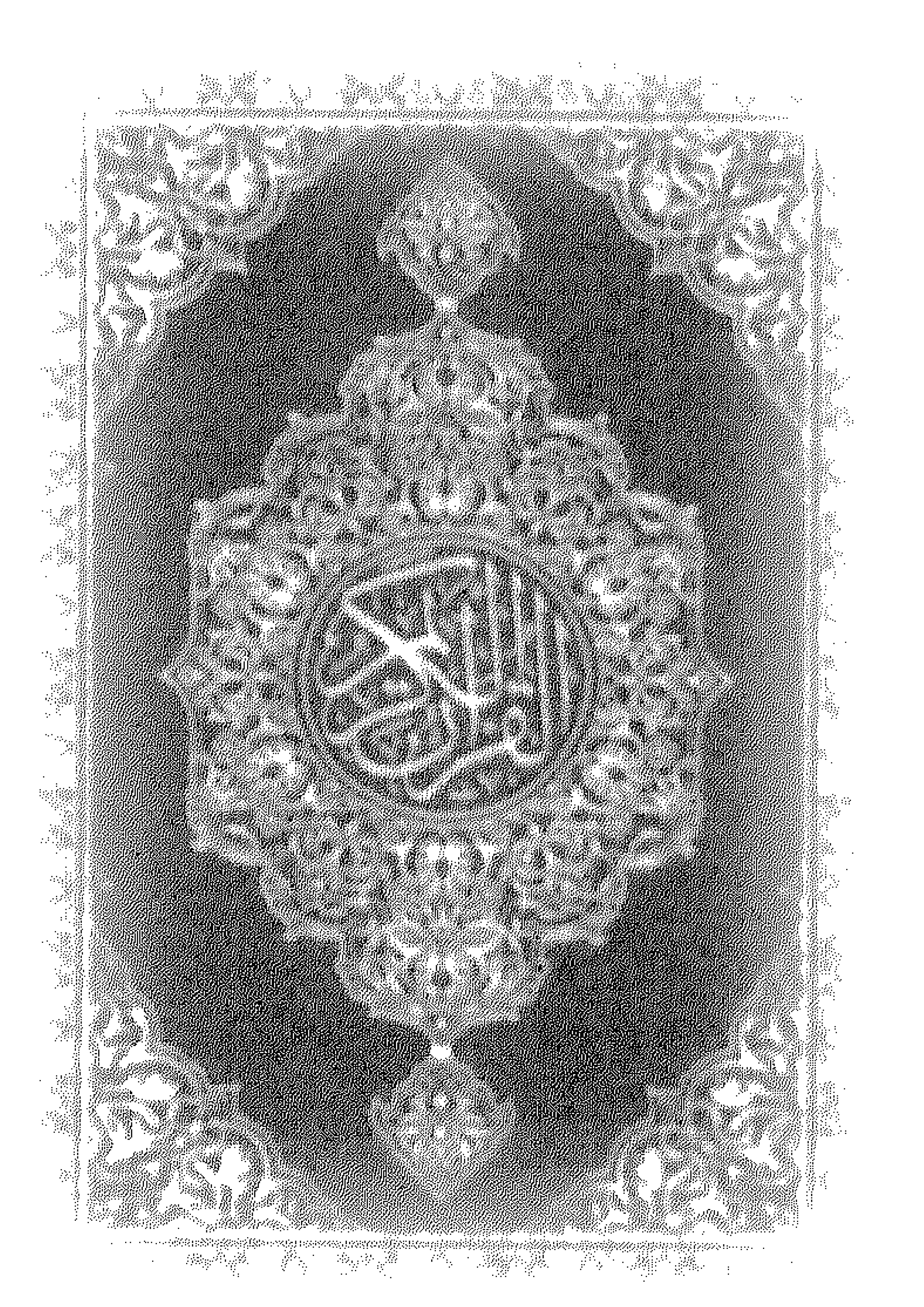
قبل مناقشة الجواب نحاول العودة قليلا إلى العصور التاريخية نجد أن الجنس رافق الإنسان والحيوان منذ الأزل، وكلاهما وليدهذه العملية، وحتى النبات لا يعطي ثمرته إلا بعد عملية التلقيح لشتى أنواع النبات ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ [1] وجاء في التنزيل ﴿ومن كُلِّ شيءٍ خلقنا زوجَيْنِ لعلَّكُمْ تذكَّرُون﴾[2] ونجد الإنسان القديم في النظام المشاعي يحتفل بالجنس، وجعل له طقوسا شتى تختلف من قوم إلى قوم إلا أن احتفاله بالجنس كان مرتبطا بالربيع، وبعملية الحرث والبذر، وباختصار بالخصد تحمله من خير وفير سيخ للإنسان البقاء والدوام أو الأقل الأمان من الجوع.

والتعبير بالخصوب الجنس تعبير بدائي يتماشى الثقافة البسيطة التي حـ عليها الفرد آنذاك أو المجـ المشاعي بكامله.

وإذا بقينا ننظر إلى الج بهذه العلاقة بين خصو وخصوبة الأرض فيعني أذ نستفد أي شيء من الحضـ المتعاقبة التي مضت، وكذلك الأديان السماوية. وهذه التفا التي تعطى للجنس، الخَلْق (ا الخاء المعجمة وسكون اللا الإبداع والخصوبة والنماء و الحياة، تجعلنا نعود تلقائيا إلى الحيوانية البهيمية، لماذا ؟ لأن هناك فرقاً بين الإنسان والحيوان، فالحيوان يمارس الجنس في فترة معينة وفي موسم معين هو موسم الخصوبة، وممارسته هذه تأتي غريزية من أجل الحفاظ على النسل وبقائه، بينما الجنس بالنسبة للإنسان يسمو عن ذلك فهو يمارس الجنس لأشياء كثيرة كالاستجابة العاطفية وبعث اللذة، والنشوة التي تجعله يجدد نشاطه في شتى مناحي الحياة، والنقطة الأهم من ذلك، والمتمثلة في بقاء النسل ليست كما هي عند الحيوان، فبقاء النسل بالنسبة للإنسان وبالخصوص الإنسان المسلم هي خلافة الله في الأرض ودوام العبادة له سبحانه عز وجل. إذاً وراء العملية شيء مهم مضبوط بقوانين وأخلاق سماوية ربانية هي دوام العبادة له، وإلا كيف يكون التفضيل بين الإنسان وبقية خلق الله، وكيف نفسر عدم وجود فصل خاص بالخصوبة بالنسبة للإنسان !!!

الجنس في القرآن

وهذا هو الفرق الذي نجده بين الإسلام وبين الديانات الأخرى. ألم يختلف الإغريق في المرأة ؟ هل هي إنسان أم حيوان ؟ وكان السيد في القديم وبالخصوص في العهد الإقطاعي (لا يكتفي بما يملأ ـريم» فما أن تصيب عيناه جسدا لامرأة جميلة تستحم حتى يرسل من يأتي له بهذه المرأة، فيأخذ منها ما يشتهي ثم يضمها إلى بقية القطيع)[3] وهذه الحال نجدها في كثير من الأساطير القديمة وفي المجتمعات التي تسودها الطبقية والمادة، وكأن المرأة لم تخلق إلا للجنس وإشباع رغبات الأسياد والرجال، لأن المجتمع كان قائما على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، فالسيادة للأقوى (فكان الاستغلال هو قانون المجتمع، وعكست الأساطير هذا الوضع في علاقة إنسانية حيوية هي الجنس. وقدمت لنا الصورة الاستغلالية التي تتم بها هذه العلاقة)[4] مثل قصة شمشون ودليلة، والقصص الواردة في ألف ليلة وليلة. فالقرآن عندما جسد لنا صورة موقف جنسي في قصة يوسف – عليه السلام – لم يجسده في قالبه الجنسي المثير، ولا في قالب سيكولوجي معين أو فلسفي. وإنما أراد أن يعطينا صورة عن العصر، وأن يعطينا المثل اللائق الذي يجب أن نحتذيه، وهذا المثل هو يوسف – عليه السلام – الذي دعته امرأة العزيز وامتنع، فالعادة اقتضت أن يطالب الرجل المرأة فتمتنع، أو تستجيب. يقول الدكتور غالي شكري (هذا الامتناع اختياري عند اشتهاء نساء الآخرين)[5] والحقيقة أنه ليس امتناعا اختيارياً فقط، بل



هو امتناع واع لواقع الحياة، وواع لواقع الآخرة، وما ينتظره من حساب وعقاب، وكذلك النفور من الخديعة للذي أحسن إليه ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾[٦] أما الاختيار هنا فيتمثل في طلبه وقبوله السجن والذل بدل أن يرتكب معصية ويحتفظ بشيء من الحرية، ولذا قلت امتناعا واعياً ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[٧] إذاً فالقرآن لا يريد أن (يجسد الشر في امرأة العزيز التي هي نموذج لكثير من نساء ذلك العصر[٨] كما يقول الدكتور غالي شكري، بقدر ما يعطينا المثل اللائق الصالح المتجسد في الضمير المتوتر الذي لا يريد أن يركع للرذيلة. وهذا النموذج نجده في صورة أخرى في العصر الإسلامي، صورة المرأة التي جاءت إلى الرسول تطلب منه أن يقيم عليها الحد، فيتركها حتى تضع وترضع، ثم يقيم الحد عليها، فهذه الأمثلة وما شابهها ليس الهدف منها إبراز الجنس والعلاقة أو الإبداع والخلق، وإنما هدفها أن توضح لنا الطريق الأنجح الشافي من كل عقد الجاهلية ورذائلها.

الحل المستورد

وأعود إلى كلام نجيب محفوظ في أن (الأريستوقراطية تحل مشاكلها بالتحرر)[٩] والمقصود بالتحرر هو التحرر في السلوك (لأن التحررية تتسم بأنها نزعة في السلوك أكثر مما هي مذهب عقلي في التفكير، ويقصد بها انسلاخ الفرد من كل ما تواضع عليه المجتمع من آداب وقوانين في رغباته وشهواته وسيره حسب ضميره ونزعتها الخاصة في السلوك)[١٠] وقد يقصد نجيب محفوظ أن هذه الطبقة لا تبالي بالعلاقة الجنسية مهما كان نوعها شرا أو خيراً، أي لا تفرق بين الخير والشر في العملية الجنسية لأنها تحررت من كل شيء تراه قيدا، وليكن الدين من ضمن هذه الأشياء لأن الطبقة في معظم الحالات تكون لها علاقات أو اتصالات بمختلف المجتمعات الغربية فاستوردت منها الغث والميوعة، بدلا من أن تستورد منها أشياء أهم، يكون لها دورها في ترقية الفرد علميا وأخلاقيا، لأن هذا النوع يريد أن يشبع نزواته الجنسية ما دام قد اكتفى من الجانب المادي أو ضمن في رأيه الخوف من الجوع وهذه الطبقة تقابلها الطبقة الشعبية، وإن كانت هذه الأخرى هي الأكثر شيوعا في المجتمع العربي المسلم، والاعتراف بالجنس والزواج المبكر على حد قول نجيب محفوظ، هذا ليس اعترافا بقدر ماهو امتثال لأحكام الدين الإسلامي والتمسك بأوامره ونواهيه، وقد ورد في الآية الكريمة ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾[١١] والسكن هو الاستقرار، والاستقرار يعني بعث الطمأنينة والراحة الجسدية والنفسية للفرد في نطاق الشرع، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **(تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة)**[١٢].

وقال أيضا **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)**[١٣].

والزواج في هذه الصورة المبكرة لا يعد ضمانا لحفظ النسل، والإتيان للذة في أي وقت بل هو (عبادة يستكمل الإنسان بها نصف دينه، ويلقى بها ربه على أحسن حال من الطهر والنقاء)[١٤].

نجيب محفوظ

إني على يقين بأن نجيب محفوظ لا يجهل هذه التعاليم الدينية لأنه وليد البيئة المصرية العربية المسلمة، وإنما هو تجاهل حقيقة الدين الذي أدى به إلى هذه التصريحات، وعدم التمسك بالدين والتأثر بثقافة غيره تلك الثقافة التي زودتها الصهيونية العالمية بما شاءت من أفكار تراها مناسبة لخراب العالم وتدميره،خاصة العالم المتدين، لأن الدين في نظر حكماء صهيون هو العائق الوحيد الذي يقف أمامهم في تأسيس مملكة عالمية مقرها روما بعد أورشليم كما يثبت ذلك البروتوكول السابع عشر (.. وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم - أي الأمميين - التي كان يمكن أن تكون عقبة كؤودا في طريقنا... وما هي - ... إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية انهيارا تاماً، وسيبقى ماهو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى)[١٥].

ونسي نجيب محفوظ أن الزواج يكون واجباً على من قدر عليه، وتاقت نفسه إليه وخشي العنت، أي الوقوع

في الزنا وأن من ورائه حكمة، دفع القلق والاضطراب الذي يعيشه الشباب، وأنه وسيلة الإنجاب مع المحافظة على الأنساب. وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «تخيّروا لنطفكم فإن العرق دساس»[١٦] ليعيش الإنسان في جو الحلال بعيداً عن الحرام والفاحشة.

ومن عظمة ديننا أنه أوصانا بالرقيق وإعانتهم من أجل الزواج ليعفوا، وقد قال الله تعالى في سورة النور:﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[١٧] . وغير القادر على الإنفاق ما عليه إلا أن يعف ويصوم إذا لم يساعده المجتمع.!!

والطبقة المتوسطة في نظر نجيب محفوظ، ظروفها تؤدي إلى التعقيد ولا أنسى أنه أصلاً ينتمي لها، والحقيقة يوجد تعقيد، فهذه الطبقة إما أنها لا تزال متمسكة بأصولها وثقافتها وأخلاقها التي تنتمي إليها، أو أنها تأثرت بثقافة الأفلام الهابطة والفضائيات بما فيها من المسلسلات الخليعة التي تصور شرائح من المجتمع، هذه الشرائح. وهذه الصور معظمها دخل عليها تحريف من طرف الفنان الذي أبدعها أصلاً، أو أخرجها وأضاف إليها أشياء كثيرة من خياله لتكون في ثوب سوقي يسهل اقتناؤها بسهولة، وبهذا فهي لا تخدم المجتمع مهما نوعت في تقديم الصور المختلفة لأنها أثناء إنتاجها لم تكن مصحوبة برقيب واع وضمير ناضج تشبع بثقافة المجتمع، وبانتمائه العقائدي الرباني لأن العقائد السائدة في المجتمع الإسلامي حالياً (غير الدينية بطبيعة الحال) كلها عقائد أرضية مستوردة شرقية كانت أو غربية.

لماذا نجد الأعمال الفنية دائماً مقترنة بصور الجنس؟ مهما كان نوعها؟ لماذا نفسر الأشياء دائماً من هذه الزوايا؟ لأننا تجنبنا منهجنا الأصلي الذي فتح لأجدادنا آفاق الدنيا في شتى مجالاتها الحضارية، وانتهجنا منهجاً غريباً عن ديارنا.

هل الشريحة التي يقدمها العمل الفني مهما كان نوع هذا العمل يمكن أن تكون سائدة في المجتمع ؟ الظاهر أن هذه الشريحة إن وجدت تكون في مجال ضيق، وفي ظروف خاصة لا يتقبلها المجتمع المسلم في أي طبقة من طبقاته.

والحل الذي قدمه الكاتب الشهير في الفقرة الثانية من كلامه السابق هو حل يساير المجتمع الأوروبي، لا المجتمع المسلم ولا العربي المسلم. لماذا؟ لأن نجيب محفوظ يكتب بالدرجة الأولى للقارئ العربي، ولذا فإن نظريته التي قدمها مرفوضة أصلاً، وحتى تلك الحرية التي وصفها وبالأحرى قدمها – في رأيي – هي فوضى من صنع حكام صهيون.(إن كل من يسمون متحررين فوضويون، وإن لم يكونوا في علمهم، ففي أفكارهم على التأكيد، كل واحد منهم يجري وراء طيف الحرية ظاناً أنه يستطيع أن يفعل ما يشاء. أي أن كل واحد منهم ساقط في حالة فوضى في المعارضة التي يفضلها لمجرد الرغبة في المعارضة[١٨] .

إذاً فإن نجيب محفوظ محكوم عليه من خلال هذا البروتوكول أنه فوضوي وناشر للفوضى، وأن تلك الثمرة التي تنتج عن طريق العلاقة غير الشرعية هي ثمرة فوضوية، ثمرة خبيثة لأنها من نسل خبيث ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾[١٩] . ومهما قامت الدولة من حماية لهذه الثمرة فإن الولد سيحس في يوم ما أنه عديم النسب، وبفقدان الحنان وعاطفة الأمومة والأبوة تتولد لديه عقد نفسية كالنقمة على المجتمع الذي أفرزه وعلى أفراده، فينجرف ويتسبب انحرافه في تدمير المجتمع وخرابه، وكثيراً مانجد السجون ممتلئة بمثل هذا النوع.

منحرفات فاضلات

وليت نجيب محفوظ توقف عند الحل الذي يقدمه بل استمر في حديثه قائلاً: (هناك منحرفات فاضلات،

ومنحرفات غير فاضلات)[٢٠] أي كلام هذا!! وأي فكر هذا الذي يصدر من أحد أقطاب ورموز الأدب العربي ! منحرفة فاضلة !!لأن سبب انحرافها الفقر..!!

في حقيقة المجتمع المتخلق المتمسك بأصوله ودينه لا يكون الفقر مسوّغاً مقبولاً للانحراف، وإن كان من أسبابه في بعض الأحيان، ولم يكن في يوم من الأيام كذلك لأن هناك تربية سليمة تلقاها الفرد، وهناك ينبوع تغذى منه في صغره وتزود منه، وهذا الينبوع لا ينضب مهما ازدادت درجة الفقر، ولو ارتفعت إلى درجة العدم. فالفاضل فاضل، والكريم كريم، والمتلهف على الحياة الشريفة لا يقبل الانحراف ولو أكل التراب وتوسد الحجر.

ويقول: (وزنوبة – بطلة قصة من قصصه – من المنحرفات اللاتي وجدن فرصة، ولاحظ أن زنوبة ليست منحرفة بمعنى الانحراف ، وهي صبية عالمة.. ليست مجرد مومس، وإنما هي فنانة بلغة العصر.. وهي حرة في نفسها بدرجة ما)[٢١] .

لا حظ معي – أخي القارىء- عبارة ليست مجرد مومس.. إنما هي فنانة بلغة العصر، فمعنى ذلك أن لغة العصر تسمي المنحرفة مهما كان انحرافها بأنها فنانة والرجل فنان، أو أنها لا تبالي بالإغراق بالانحراف السلوكي كالجنس والخمر والميسر ما دام أنها تقدم فنا. وقد تمزج هذه اللغة العصرية بين المومس، والفنانة. فتصبح الكلمتان واحدة، المومس هي الفنانة والفنانة هي المومس، وهذه إطاحة وتدمير لكل فن وفنان، ثم نستنتج أن المومس شريفة ما دامت تمارس الفن، وفي هذه الحال يسقط الفن، وينزل إلى مستوى التفسخ ودعم الانحلال بطريقة فنية.

إذاً بعد هذا الطرح وهذه المناقشة يجدر بنا أن نتعرض ولو بشيء يسير إلى ما يسمى بأزمة الجنس في العالم العربي.

أزمة الجنس

لقد أصبحنا نتقبل كثيرا من المفاهيم الداخلة علينا وعلى أدبنا وفننا، ونروج لها ونحفل بها أكثر مما نحفل بما جد في ميدان العلم والصناعة والتطور الاقتصادي.

وانتشرت فينا عدوى الاقتباس والتقليد دون مراعاة لأي أمر من الأمور مهما جل أو عظم وهذا لا يعني أبدا أن ساحتنا الأدبية خالية من موازين نقدية وضوابط فنية تضبطها وتجعل من فننا فناً نبيلاً. وأصبحنا نتلهف إلى كل ما هو أجنبي فنقرؤه ونجتره في صورة جديدة، دون أن ننتبه إلى البروتوكول الرابع عشر لحكماء صهيون الذي يقول: (نشرنا في الدول الكبرى ذوات الزعامة أدبا مريضا قذرا يغشى النفوس)[٢٢] هذا هو الأدب الذي نشاهد نماذجه في الساحة العربية با ستثناء بعض الأدباء الذين يحملون في ضمائرهم رقيبا يؤنبهم ويجعلهم إيجابيين في أدبهم القصصي والشعري، وهم قلة. قلت: إيجابيين لأنهم يقدمون عملاً فنياً هادفاً لخدمة الإنسان، ليجعل منه إنسانا سويا لا إنسانا حيوانيا جنسيا، وللأسف فهو غير منتشر وحتى دور النشر لم تحفل به كثيراً، لأن هذه الأعمال نظيفة فكرياً وفنياً وناضجة يمكن الإقبال عليها، والتغذي منها، فتصبح هي السائدة لأنها جادة وهادفة، وفي هذه الحالة تكون عقبة في إنتاج الآخرين سواء كان هذا الإنتاج في نطاق الأدب المكتوب أم الفن المنحوت والمرسوم، أم المصور كالسينما مثلاً،وفي هذه الحالة يصبح هذا الإبداع معبودا لأنه مرغوب فيه ما دام يلبي رغبات الغريزة الجنسية، ويصبح الجنس عبودية، وهذه العبودية تجعل الإنسان يتجرد من إنسانيته وينسى نفسه ودينه وواجبه. تقول الأديبة الصينية هال سووين: (نحن لا نعاني من مشاكل حول الجنس، ونعتقد أن الحرية الجنسية يمكن أن تصبح عبودية أخرى)[٢٣] .

عجبا إذا كانت امرأة وثنية ترى فيه عبودية من نوع آخر فكيف بالذي لديه دين سماوي رباني ومع ذلك يدعو إلى الحرية الجنسية ويرى في بعض مظاهر الانحراف انحرافاً فاضلاً.

الدين لا يستقذر الجنس

وهذا لايعني أننا نستقذر الجنس ونقف ضده ونصنفه ضمن الثالوث المحرم كما يقال. فالدين الإسلامي لا يستقذره، ولا



يحرمه إذا كان في قالب الحلال والخير، لكن يستقذر العمل المسرف في تصوير الجنس ونشره بطريقة غير شرعية مخالفة لأحكام الكتاب والسنة، لأنه في هذه الحالة يستعبد (الإنسان بالشهوة)[٢٤] ويصبح الإنسان الكريم ذليلا أمام شهوته خاضعا لنزواته وغرائزه الجنسية، فالغريزة إذاً لم تقيد برباط تطغى على الفرد وتهوي به في الدرك الأسفل، لكن إذا كانت مضبوطة (في الحدود المشروعة التي شرعها الله يدعو إليه عندئذ ويشجع عليه[٢٥]، والتشجيع وارد في عدد كثير من النصوص الواضحة قال تعالى ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾[٢٦] وقال: (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن)[٢٧]، فالآية لا تكتفي بإتيان الغريزة أو العلاقة الجنسية بل تذهب إلى أبعد من ذلك فتقول عنه ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ أي تهيؤوا له، والتهيئة هنا تشمل: التهيئة النفسية، والشعورية، وغيرها حتى لا يكون دفقة جسد فحسب، ويضبطه فيجعله أسرة وأطفالاً وتنظيمات اقتصادية واجتماعية وفكرية وأخلاقية شاملة.

فالدين يرسم للغريزة الجنسية بهذه الطريقة خطا واضحا هو إنجاب الأولاد الذين يخلفون في عمارة الأرض فيكون منهم الطبيب والمهندس والأستاذ والعالم والطيار والفقيه..إلخ. لا أطفال مشردون منحرفون جاهلون لهويتهم ونسبهم، يحملون في نفوسهم بذرة القضاء على مجتمعهم، ويصبحون أكثر من أولئك الذين وصفهم القرآن ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٢٨] والذي يستقذره الدين من الجنس هو الفاحشة والزنا، أي كل مازاد وخرج عن الحد وعن الدين وبالغ في الإسراف فهو مستقذر بالغ. ولو كان في نطاق المعيشة من أكل وشرب، لأن الإسراف من التبذير والتبذير حرام في الإسلام. والإسراف في الجنس يؤدي إلى تجاوز الحدود حتى يصل إلى درجة الشذوذ لكلا الطرفين رجلا أوامرأة، لأن المبالغة في اللذة تحيد بالمرء عن الطريق، ويبدأ في استكشاف أشياء خارجة عن السبيل المعلوم إلى أن يتجاوزحد البهيمية، وهذا حرام أيضاً لأنه تعدى حدود الله ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾[٢٩] إذاً فما على المرء إلا أن يضبط نفسه، ويصبر حتى يجعل الله له مخرجا. وهكذا نجد أن لا مشكلة جنسية في الإسلام (ولا وجود لها في المجتمع المسلم)[٣٠] وقد مر بنا أن الصين لا تعاني من مثل هذا المشكل فما بال المتمسك بإسلامه ؟

وفي الختام ماموقف الدين من الأدب الهابط الذي يمجد الجنس ويستغل الغريزة ؟

أجاب عن مثل هذا السؤال الشيخ عبدالله حموش كتابة في جريدة النصر الجزائرية عدد ٤٠٧٦ يوم الخميس ١٩٨٦م، من صفحة الفتاوي قائلاً: أما تلك القصص والكتب الجنسية (فكتابتها حرام وقراءتها حرام وكسبها حرام، لأن هدفها هو الكسب على حساب الفضيلة وهدم الأخلاق وتحطيم شباب الأمة). والحكم هذاواقع مقصود به الأدب الهابط بكل أنواعه وليس الأدب الجاد أو الهادف. ■

الهوامش:

* أستاذ مساعد مكلف بمعهد الآداب - جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجزائر.

١- سورة الحجر -آية ٢٢.

٢- سورة الذاريات -آية ٤٩.

٣.- د. غالي شكري.أزمة الجنس في القصة العربية. دار الآفاق الجديدة. ط٣ بيروت ١٩٧٨ص ٨ وص١٠.

٤- المرجع نفسه ص١٥.

٥ - أزمة الجنس في القصة العربية ص١٢.

٦- سورة يوسف آية ٢٣.

٧- سورة يوسف آية ٣٣.

٨- أزمة الجنس في القصة العربية ص١٢.

٩ - نجيب محفوظ. أتحدث إليكم. ط١ دار العودة بيروت ١٩٧٧م، ص١٧٠.

١٠- خليفة التونسي. بروتوكولات صهيون بدون تاريخ ولا ذكر لدار النشر ص٦٠.

١١- سورة الروم آية ٢١.

١٢ - حديث (تناكحوا تناسلوا..) رواه البيهقي.

١٣- صحيح البخاري المجلد الرابع جزء ٧. عالم الكتب. بيروت. ص٤٠٣.

١٤- السيد سابق، فقه السنة.

١٥ - بروتوكولات صهيون ص١٣٨.

١٦ - حديث معروف ورد في عدة كتب فقهية.

١٧- سورة النور آية ٣٢.

١٨- بروتوكولات صهيون ص١١١.

١٩- سورة النور آية ٢٦.

٢٠- نجيب محفوظ.أتحدث إليكم ص ١٧٢.

٢١- المرجع نفسه ١٧٣.

٢٢ - بروتوكولات صهيون ١٢٢.

٢٣ - هال سوين في حوار لها مع إحدى المجلات العربية الصادرة بباريس ١٩٨٥ (العنوان والصفحة سقطا مني).

٢٤ - محمد قطب، منهج التربية الإسلامية ط١ دار الشروق ١٩٨٠ص ٢٢٠.

٢٥- المرجع نفسه ص٣.

٢٦ - سورة البقرة آية ٢٢٣.

٢٧ - سورة البقرة آية ١٨٧ .

٢٨ - سورة الأعراف آية ١٧٩- والفرقان آية ٤٤.

٢٩- سورة الطلاق آية ١ .

٣٠- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية.



حديث ابن الغافل

بقلم: أميمة عز الدين
مصر

في غفلة من مراقبة الكاردينال المحكمة تسللت الذكريات تصارعني مرة أخرى ، تتأجج بتلافيف مخي ، تعيدني إلى زمن بني الأحمر وآخر ملوكهم – أبو محمد الصغير – ذاك الملك الذي استطاع بمهارة – دون قصد – أن يُسلم غرناطة للأسبان ولم يزده البكاء على ملكه الضائع المندثر إلا ضعفاً وشحوباً وهزيمة .

هالني وجهي في المرآة ، لقد أصبح ممتقعاً ، ظل مراوغاً لنيافة الكاردينال الذي يجوب بنظراته الثاقبة خباياي بحثاً عن أثر لإيمان قديم وتحقق من ادعائي بانتسابي البعيد إليهم .

تواريت – رغماً عني – وراء عباءة الكاردينال وتمسحت بمسوحه السوداء وتلفظ لساني –لا قلبي– بأن أحد أجدادي كان نصرانياً صالحاً لطالما حمل الصليب ودق أجراس الكنائس في بلدته منذ زمن بعيد .

ورغم كذبي وتظاهري المتقن بأني أبحث عن مسيحيتي الغائبة وقبولي الزواج " بقريبة الكاردينال " العانس كريهة الرائحة وتسميتي بـ " ألفونسو " بدلاً من " محمد ابن الغافل " ، كل هذا جعلني – كل ليلة – أجثو على ركبتي أتضرع لله ذليلاً خاشعاً أن يقبل توبتي ويغفر لي زلات لساني ، فما زال قلبي يلهج بالشهادتين ويسبح بحمده .

كانت محاكم التفتيش تملأ أرجاء غرناطة ، تجوبها بحثاً عن المسلمين الأبرار وتخيرهم بين الموت أو التنصير ، ومن يرض بالموت يذقه ببطء شديد ، وتطول عملية التعذيب حتى يصبح الموت أمنية جميلة !

ورغم هذا فإن ثلة من المسلمين أصرت على إسلامها ، ورابطت جهاداً ولم يغير التعذيب ونكاله من أمرهم وثباتهم شيئاً ، بل صاروا أكثر نورانية وشفافية .

أما القلة الذين هم على شاكلتي ممن انضووا تحت لواء الكاردينال فإنهم لم يسلموا أيضاً من شكوك جنود الكاردينال المنتشرين كالطاعون حتى يتأكدوا من ولا ئنا الكامل لنيافة الكاردينال وحاشيته ، خاصة بعد أن جعلته الملكة " إيزابيلا " مفتشاً كبيراً بمحاكم التفتيش وصار رئيسها ، لذلك قام بدوره على أكمل وجه حين قام بتعذيب الشيخ " الزبيري " حتى أشاع في وقاحة يشوبها الزهو :

– إن " الزبيري" ذلك الرجل الصالح قد رأى حلماً يدعوه لدخول المسيحية وحدث ذلك قبل أن يرفع إلى السماء !! لذلك فهو يأمر مريديه وأتباعه أن يتبعوا دينه الجديد حتى يستطيعوا أن يحلقوا في سماوات المجد ويستمتعوا بالراحة الأبدية كما استمتع هو !!

لم أستطع أن أمنع نفسي من البكاء حين وضعت زوجتي الأسبانية القميئة طفلاً كاللؤلؤ المنثور ، تخاله قبساً من نور الإسلام – دين الفطرة – تراقبني العيون وأنا أحمله وأرسم عليه – رغماً عني – شارة الصليب في رعشة وخوف ، يتمتم قلبي ببعض الآيات القرآنية الراسخة بقلبي ، أود لو ناديت بالأذان في أذنيه وأضمه إلى صدري لأقول له :

– أنت مسلم من سليل أسرة عريقة في إسلامها ، لا تغرنّك أمك الأسبانية وقريبها الكاردينال ، كن قوياً مثل " الزبيري " الذي استشهد في سبيل الله ، ولا تكن كأبيك ضعيفاً مهزوزاً ، تذروه الرياح ، لا يملك إلا الحديث إلى نفسه في صمت .

نظرت إلى السماء الصافية بعد أن حفظت غرات الشهور من التقويم القديم الذي أحرقه الكاردينال مع آلاف الكتب ونسخ القرآن ، واكتشفت أن الليلة هي ليلة عيد الفطر .

أصخت السمع للتكبيرات المختلطة بالدعوات والدموع والتسبيحات الخاشعة ، شعرت بجسدي يهتز هزاً عنيفاً وتمنيت لو أفقت من غيبوبتي وأعلنت توبتي عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وأنظر لولدي فأشفق على نفسي وعليه ، فربما يأخذونه مني وينفونه بعيداً عن قلبي ، وفي النهاية يعذبونني عذاباً شديداً أو يتركونني لسباع البرية الجائعة تنهش جسدي .

خاطرت بحياتي الفارغة وأخذت ولدي قبيل الفجر وأمه تغط في نوم عميق ، وتسللت إلى حي " البيازين " الذي صمد طويلاً أمام محاكم التفتيش ، تسللت إلى أذني الكلمات العربية الرائقة ، هزني الشوق إلى سماع آي الذكر الحكيم وترتيله من أحد الشيوخ .

أحمل ولدي إلى البقية الباقية من المسلمين ، أسلم إليهم طفلي أتوسل إليهم أن يتكفلوه مسلماً طاهراً نقياً. أبكي، بل أنتحب ويعلو نشيجي بين أيديهم التي تمتد في سلام تمسح ألمي وتضمد جرحي رغم أني مارق مرتد في نظر الجميع .

يعلو صوت القرآن مرطباً قلبي وسمعي وبصري ويصيح أحدهم :

– اتركه لنا ، فنحن أحق بطفلك منك يا "ألفونسو" أقصد يا محمد يا ابن الغافل .

يقول شيخ وقور كأنه " الزبيري " :

– لا شيء أعظم مصيبة من مصيبة المرء في دينه يا ولدي ، تعال واعتصم معنا وانتظر أمر الله مثلنا إما النجاة وإما الموت في سبيل الله .

أشفقوا عليّ جميعاً وقدموا لي بعض اللحم الحلال والتمر المخلوط باللبن الدافئ ، ورجوني كثيراً أن أبقى بينهم حتى جاءني صوت كأنه بعيد لا أعرف مصدره :

– اتركوه يذهب بولده حتى لا نجزر كالخراف كما حدث لعشيرتنا الأقربين منذ قريب ، لكن دعونا الآنَ نختن ولده ونتركه يذهب بعدها.

انسحبت خائباً حسيراً ، فرحاً بولدي المسلم ، ولم يراودني خاطر انكشاف أمري لحظة واحدة إلا عندما وطئت قدماي أرض القصر وفوجئت بالكاردينال وزوجتي يحملقان فيّ بريبة ، انتزعا الطفل مني بقوة وكشفا الغطاء الملوث بدم الختان في عنف، وصفعني الكاردينال على وجهي ، وبصقت زوجتي عليّ ،وجنود الكاردينال تسحبني على وجهي وصوت الكاردينال يدويّ ، يخرق صمت الموتى – أمثالي – :

– ضعوه في الزيت المغلي أولاً قبل أن يتأرجح جسده في الهواء ■



كيف ينبغي أن نُقَوِّمَ - نحن المسلمين - العمل الأدبي ؟، وما مقاييس التقويم ؟ لا شك أن الإجابة عن هذا السؤال أمر يهم الناقد - والمتذوق - الذي يريد أن يلتزم بالعقيدة الإسلامية دون أن يَغفل عن متطلبات الأدب الفنية .

من المعروف أن معظم النقاد - منذ القديم وحتى اليوم - قد توزعوا في جبهتين متقابلتين، جبهة تتحَصَّن وراء القيم الفنية وحدها، فتنظر إلى البنية اللغوية للنص، ومدى إبداع الأديب فيه، وإلى الصورة، والخيال والإيقاع، وغير ذلك من أجزاء العمل الفني، فإذا استكملت تقويمها أصدرت حكمها من مجموع تلك الأحكام الجزئية، دون أن تهتم بموضوع هذا العمل وعلى وجه الدقة، دون أن تهتم بموافقته للقيم العقدية والخلقية، وإذا سُئلت في ذلك أنكرت السؤال، وأعلنت في تحدٍ كامل: إن الأدب لا يخضع لمقاييس العقائد والأخلاق،وإن الأديب لا يقاس بصلواته وعباداته .

وفي الجبهة المقابلة وقفت الطائفة الثانية موقف رد الفعل، فأعلنت أن العمل الأدبي يقاس بما فيه من قيم عقدية وخلقية، وبما يقدمه من خير للمتلقين وحسب، ولم تعط القيم الفنية حقها من الاهتمام والعناية .

ولا شك أن الموقفين غير صحيحين، فتقويم العمل الأدبي من خلال أدواته الفنية وحدها أمر خطير، ولا يتفق مع ارتباطاتنا العقدية، ولا مع شمولية الإسلام لجميع مظاهر الحياة المادية والمعنوية، فهو يسوِّغ لأصحاب الدعوات الفاجرة ولسيئي النيات أن يمارسوا - عبر الأدب - أبشع أنواع الانحراف والانحطاط الخلقي، دون أن نأخذ على أيديهم بشيء، ذلك أنهم أتقنوا صياغة العمل الأدبي، فاستخدموا اللغة ببراعة، ونسجوا من خيالاتهم صوراً فنية مؤثرة فتخلصوا من المؤاخذة، ونجوا من سطوة النقد، ولو قالوا ما قالوا .. وقد وقع هذا في الآداب العالمية كلها، ولم ينج أدبنا العربي الحديث منه، فكان فيه ما حمل قيماً فكرية ضالة، وكان منه ما تاجر بالغرائز، وتاه في أودية الجنس، وكان منه ما سوَّغ الجريمة وقلبها إلى بطولة، وكان منه ما دعا إلى الشيوعية، والوجودية، والقومية الملحدة، وغير ذلك من الضلالات .

وأما الاتجاه الآخر، فقد وقع في منزلق خطير أيضاً، ذلك أنه - تحت وطأة حماسته للعقيدة والأخلاق - نسي أن يتعامل مع الأدب، وأن للأدب شروطاً فنية لابد منها في أي نص نريد أن نسميه (نصاً أدبياً)، وأن العقيدة لا تُغْفل شروط (أصحاب الصنعة) في أي عمل مادي أو معنوي ... وكان من نتيجة ذلك أن دافع هؤلاء النقاد عن أعمال أدبية ضعيفة ؛ لأن موضوعها أخلاقي، أو لأن فيها مدحاً أو إعلاء لقيمة عقدية، أو لرجل من رجال العقيدة، والحقيقة أن هذه الطائفة - بحكمها المتسرع - قدَّمت لخصومها ما يشد عضدهم، فقد احتجوا بهذه الأعمال الأدبية الضعيفة عليهم، وزعموا أن الالتزام العقدي يسقط العمل الأدبي !.

إن الناقد المسلم - انطلاقاً من كياسته وفطانته - لا يتورط في أي من الاتجاهين السابقين،بل يتخطاهما إلى موقف سليم يوصله إلى المقاييس الفضلى والأجدى، ومن أوليات هذا الموقف أن المقاييس ينبغي أن تكون قادرة على إظهار الإبداع والجمال في العمل الأدبي، وأن تشمل جوانب هذا العمل في شكله ومضمونه، وأن تنظر إلى مدى مراعاة الأديب للقيم الإسلامية وآدابها .

* البلاغة والنقد - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط ١٤١٩هـ.

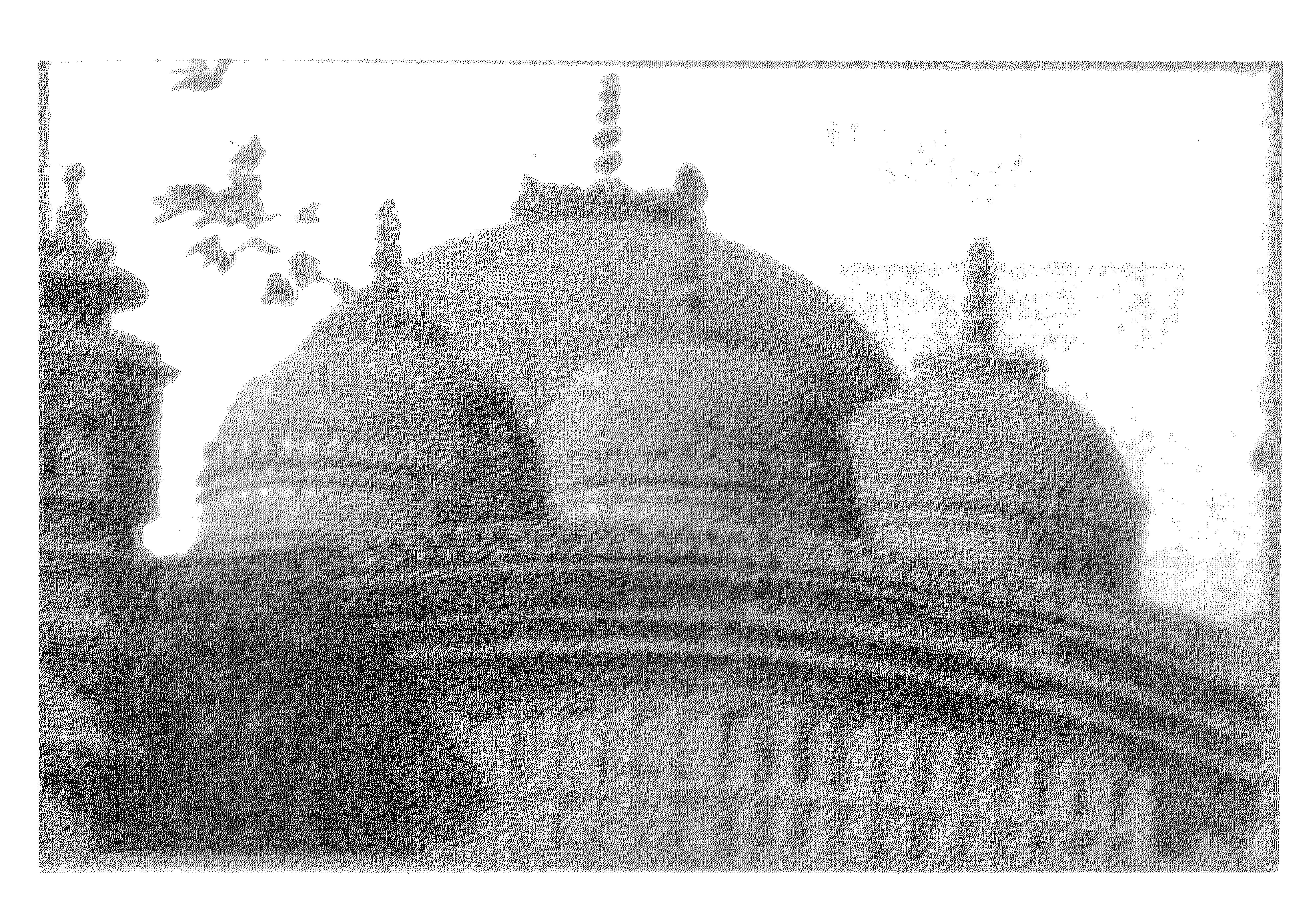
فثمة بوابتان أساسيتان لابد أن يمر بهما العمل الأدبي: الأولى: بوابة المقاييس الفنية، حيث نفحص الأدوات الفنية بدقة وموضوعية تامتين، فإن وجدناها ضعيفة، غير قادرة على التعبير عن المضمون ببراعة، أسقطنا عن هذا العمل مصطلح (الأدب)، وأرسلناه إلى ميدان الفكر، أو أي ميدان آخر يناسبه . وإن وجدناها قوية، قادرة على التعبير عن المضمون ببراعة، مؤثرة في القراء، سمحنا للعمل الأدبي أن يتجاوز البوابة الأولى، وانتقلنا به إلى البوابة الثانية، وعند هذه البوابة نفحص مادة العمل الأدبي، لا من حيث قيمته الإنسانية فحسب، بل من حيث توافقه مع عقيدتنا أيضاً، ذلك أن عقيدتنا لا تقتصر على جانب من الحياة دون جانب، بل تشمل جوانبها كلها .

ونحن لا نطلب من العمل الأدبي أن يشرح أصول العقيدة وتفصيلاتها، فتلك مهمة الفكر وأدواته، ولكنا نطلب منه ألا يصادمها، ولا يخدشها، ولا يسقط في مستنقعات الغرائز، ولا يُسِفَّ إلى التجارة بالقيم، ونطلب منه أيضاً أن يصدر من منطلق إسلامي وأن يسهم في بناء شخصية الإنسان المسلم، بكل ما تحمله هذه العبارة من دلالات. وإن لم ينجح في هذا الاختبار فلن ينفعه أنه نجح في اختبار أدواته الفنية، لأن الأدب يخاطب الإنسان في جميع إحساساته، وليس في ذوقه الفني وحده، وكما أن الذوق ينفر من الصورة الشوهاء، والإيقاع الناشز، واللغة المضطربة، فإنه ينفر من أية صدمة تؤذي قيمه وعقيدته، فتلك تؤذي حسّه الفني، وهذه تؤذي حسّه ووجدانه معاً، ولا يمكن أن يتلذذ المرء بطعم اللحم - مهما كان الطهي بارعاً - إذا علم أنه لحم بشري، وقتل القيم الخُلقية والعقدية لا يقل عن قتل النفس البشرية . وصدمة العقيدة تميع كل القيم الفنية، وتفقدها القدرة على الإمتاع ببراعة الصورة والإيقاع والكلمة.. لذلك لابد لنا - نحن المسلمين - من أن نقوم العمل الأدبي من جانبيه: أدواته الفنية ودلالاته الفكرية في وقت واحد. ■

الشهيد

للشاعر التركي: محمد عاكف إينان
ترجمة: د.محمد حرب

أطلقوا النار عليك يا فتى وأنت في صحن الجامع،
والناس يخرون لله سجداً.
تعال واتكئ عليّ يا فتى، فقلبي لك،
وهذه الأرض: أم الشهداء هي أرضك، ملك لك.
وجهك يا فتاي أبيض من غمر النور،
مثل ضميرك وخيالك وشرفك، مثل إيمانك.
دماؤك عين ماءٍ لكن من نور وشمس،
تذيب قذارة العصر وتبعدها.
تهتز النجوم الآن رافعة يدها بالتحية،
تحية وداعك وروحك تصعد إلى بارئها.
ستذوب قيود الظلم ذات يوم،
ستذوب في بحار نقطة واحدة من دمائك.
وستأتي يا فتاي من جديد في زمان حرب،
ضمن جيوش الشهداء،
التي سجلت اسمك فيها.



الشاعر البنغالي:

القاضي نذر الإسلام وأدبه الإسلامي

بقلم: الدكتور أ . ص . م طريق الإسلام*

من آيات الله عز وجل اختلاف اللغات، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] واللغة البنغالية آية من تلك، يتكلم بها مئتان وخمسون مليون نسمة . هذه اللغة منتشرة في بنجلادش وفي ولاية البنغال الشرقي بالهند . ولقد ظهر في هذه اللغة الأدباء والشعراء الذين طارت شهرتهم في العالم كله، وحصل الشاعر الهندوسي طاغور على جائزة نوبل للديوان الذي كتبه بهذه اللغة . و(القاضي نذر الإسلام) من الذين اشتهروا بالأدب البنغالي شعراً ونثراً، ولكن مع الأسف الشديد لم تترجم آثاره إلى كثير من اللغات العالمية ولهذا لا يعرف عنه كثيراً أصحاب اللغات الأخرى . ومع العلم أنه يعد من أبرز الشعراء الإسلاميين في المنطقة .

ولد شاعرنا (القاضي نذر الإسلام) في بيت طيني متواضع لأسرة فقيرة بـ(جروليا) إحدى قرى مديرية (آسانسول) في محافظة (باردهومان) بولاية البنغال الغربي الهندية في يوم الثلاثاء، ٢٤ من شهر مايو سنة ١٨٩٩م[٢] .

أسرته

كان شاعرنا من أسرة شريفة النسل، ونجيبة الأصل بالرغم من أنها فقيرة معانية من ضيق الاقتصاد، وأجداده الذين كانوا من الأغنياء هاجروا من (حاجي بور) بمحافظة (باتنا) في عصر الملك المغولي (شاه عالم) واتخذوا (جروليا) سكناً لهم . في ذلك الوقت كانت في تلك القرية دار القضاء، وكان قاضيها من أسرة الشاعر، فسميت أسرته بأسرة القاضي [٣] .

مات أبوه وهو في سن الطفولة لم يتجاوز التاسعة من عمره وذلك في سنة ١٩٠٨ م [٤] فعاش يتيماً، ومن هنا ذاق مرارة الحياة فتدرب على الصبر والجلد منذ نعومة أظفاره .

وقد تلقى دراسته الابتدائية في كتاب القرية . وفاز في اختبار المرحلة الابتدائية عام ١٩٠٩ م، ثم اضطر أن يترك الدراسة لحالته الاقتصادية القاسية، فعمل في مسجد قريته مؤذنا وإماما ومدرسا في كتابها . ولهذه الوظيفة أثر بالغ في حياته، فمن هنا تأثر شاعرنا بالثقافة الإسلامية.

تعلم الفارسية في شبابه من أستاذه (مولوي القاضي فضل أحمد) حتى أتقنها ؛ ولهذا السبب استخدم الكثير من الكلمات الفارسية في شعره البنغالي [٥]. وكذلك تعلم الأردية والفارسية من عمه (بذل الكريم)[٦]. وفي هذه الفترة ضاقت عليه الحياة فعاش عيشة الكفاف والتعفف، فاشترك مع جماعة الأغنية الريفية باسم (مجموعة ليتو) لكسب لقمة العيش[٧] فكان يكتب الشعر والأغنية والمسرحية لتقدمها هذه الجماعة إلى عامة الناس، وأحياناً يلقي الشعر والأغنية ارتجالاً وهو على المنصة في المحافل المختلفة . فهذه البيئة فتحت قرائحه وشحذت ذهنه وساعدت على تنمية موهبته . من أمثلة تلك الأغاني التي كتبها في ذاك الوقت :

" زرعت بذرة اسم الله في حقول فؤادي هذه المرة وسوف تنتج منها الغلة فأبيعها في سوق يوم القيامة "[٨].

■ برغم تفوقه الفني شعراً ونثراً إلا أن التزامه الإسلامي حال دون الإقبال على ترجمة أعماله إلى اللغات الأخرى .

ولا شك أننا نرى اللون الإسلامي بل الكلمات الإسلامية الملموسة في هذه الأغنية فالأغنية كلها إسلامية لفظاً ومعنى وتصوراً .

وكانت آماله أوسع من وضعه المالي، فرغبته العلمية دفعته إلى ترك هذه الجماعة والالتحاق بمدرسة (معهد نابين جندرا) بـ(باردهومان) في الصف السادس [٩] ولم يستطع أن يستمر بالدراسة لشدة الفقر، فعمل في مخبز في أسانسول بمقابل روبية واحدة يومياً . ففوجئ يوما بلقاء مع مراقب الشرطة القاضي فيض الله، ورأى المراقب موهبته الفذة فأخذه معه وأدخله في المدرسة للتعليم مرة أخرى عام ١٩١٤ م . وكانت المدرسة في منطقة ذاك المراقب (داري رام بور بمؤمن شاهي) وهي كانت إحدى محافظات البنغال الشرقي[١٠] ومكث فيها سنة فقط ورجع إلى بلده ولازم مدرسة سيارسول الثانوية من ١٩١٥ إلى سنة ١٩١٧ من الصف الثامن إلى الصف العاشر وكان في ذاك الوقت يحصل سبعة روبيات مكافأة من راجباري،[١١] وهي قبيلة مشهورة في تلك القرية . وقبل أن يجلس لامتحان الثانوي المركزي النهائي من تلك المدرسة التحق بالجيش مخلفاً دراسته وراءه كلياً .

حياته العسكرية

كان شاعرنا طالباً في آخر سنة في الصف العاشر في عام ١٩١٧م إذ دق جرس الحرب العالمية الأولى ودخل سيلها العارم ربوع البنغال، وكانت الجيوش الهندية البريطانية تحارب في حينه مع حلفائها في مناطق شتى، فالتحق شاعرنا بفرقة الجيش المسماة بالفرقة البنغالية المكونة من البنغاليين فقط. [١٢] ومكث ثلاثة أشهر بـ(نوشيرا) – مركز التدريب للعسكريين –

للتمرين، ثم ذهب مع الجيوش إلى كراتشي وبعد فترة قليلة تكللت جهوده بوسام عسكري بترقية إلى رتبة (حابيلدار) لمهارته العسكرية. والجدير بالذكر أن موهبته الشاعرية تطورت مع حياته العسكرية، فحياته العسكرية التي أتاحت له الفرصة الذهبية لكتابة القصائد الشعرية والتمكن من العلوم والفنون المتنوعة وكما ذكرت سالفاً أنه تعلم اللغة الفارسية من أستاذ قريته وتمكن منها على يد المولوي البنجابي الذي كان في ذاك الجيش، فقرأ أكثر دواوين الشعراء الفارسيين ومن ثم بدأت كتابته الشعر والنثر بكثرة، وأرسلها إلى المجلات والصحف، فكان أولى مقالاته نشرت في شهر مايو سنة ١٩١٩م (باونديلر أتوكاهيني) أي سيرة المتشرد الذاتية في صحيفة (شوغات) . كما نشر أول أشعاره (مكتي) أي النجاة في صحيفة (المجلة الأدبية للأدباء المسلمين البنغاليين) في شهر يوليو ١٩١٩م[١٣] .

وقد عبر الشعراء الإنجليز عن خبراتهم الحربية في أشعارهم ومن بينهم روبرت بروكس (١٨٨٧-١٩١٥م) ويل فريدي وين (١٩١٨-١٩٩٣م)، وشارلس شورلي، وقد تأثر شاعرنا بهؤلاء الشعراء وبدأ يسجل خبراته الحربية في الشعر . وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها رجع الشاعر إلى كلكتا وأنشأ صلته بالجرائد والمجلات البنغالية، فمن أشهر الجرائد والمجلات التي نشرت أشعاره آنذاك (المجلة الأدبية للأدباء المسلمين البنغاليين)، و(مسلم بهارت) الشهرية، و (نابو جوغ) اليومية وغيرها .

حياته الثائرة

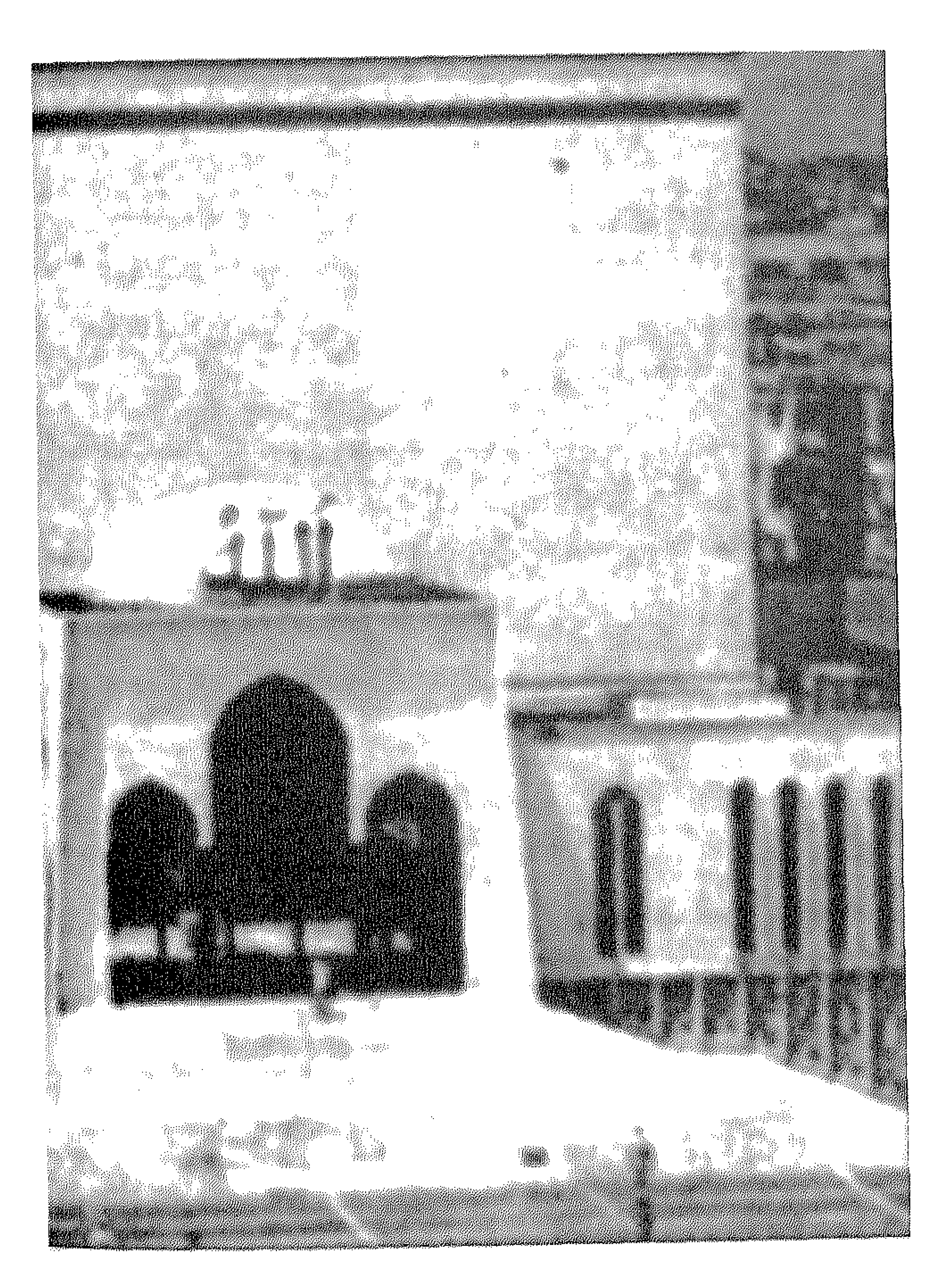
بعدما وصل الظلم الإنجليزي إلى الغاية ضد الشعب الهندي وبلغ السيل الزبى انفجر الشعب كله رافعاً هتافاته ضد الاستعمار ومطالبته القوية بالاستقلال . والأدب وسيلة رائعة وسلاح حاد لفك سلاسل الاحتلال وإشعال نار الحركة الاستقلالية ضد الاستعمار، وقد تقدم شاعرنا بلواء الأدب شعراً ونثراً لقيادة هذا الشعب فأسمعهم قصيدة (مزمار النار) التي ألفها في سنة ١٩٢١م. وكتب أشعاراً كثيرة أثارت حماسة الشعب وأيقظتهم من الغفلة والنوم[١٤] ومن هذه القصائد :

١ - الثائر
٢ - أغاني الدمار

> عاش في شظف العيش منذ الطفولة، وتركت وفاة والده أثراً كبيراً فيه برز في أعماله، وقاده إلى عصامية ملتزمة إسلامياً صنعت منه أديباً كبيراً .

٣ - سرور الإبادة
٤ - أنوار
٥ . سفينة النجاة، وغيرها .

والجدير بالذكر أن قصيدته (الثائر) أثرت في نفوس الشعب البنغالي تأثيراً بالغاً لا يوجد له نظير في الأدب قاطبة، ولهذا اشتهر باسم (الشاعر الثائر)[١٥] وبه طار صيته في أرجاء البلاد، فقد نشرت هذه القصيدة جريدة (مسلم بهارت) و(بروباشي) وغيرهما، بعد طبعتها الأولى في جريدة (بجلي) الأسبوعية وكان عمره آن ذاك ٢٢ سنة[١٦] وبدايتها:



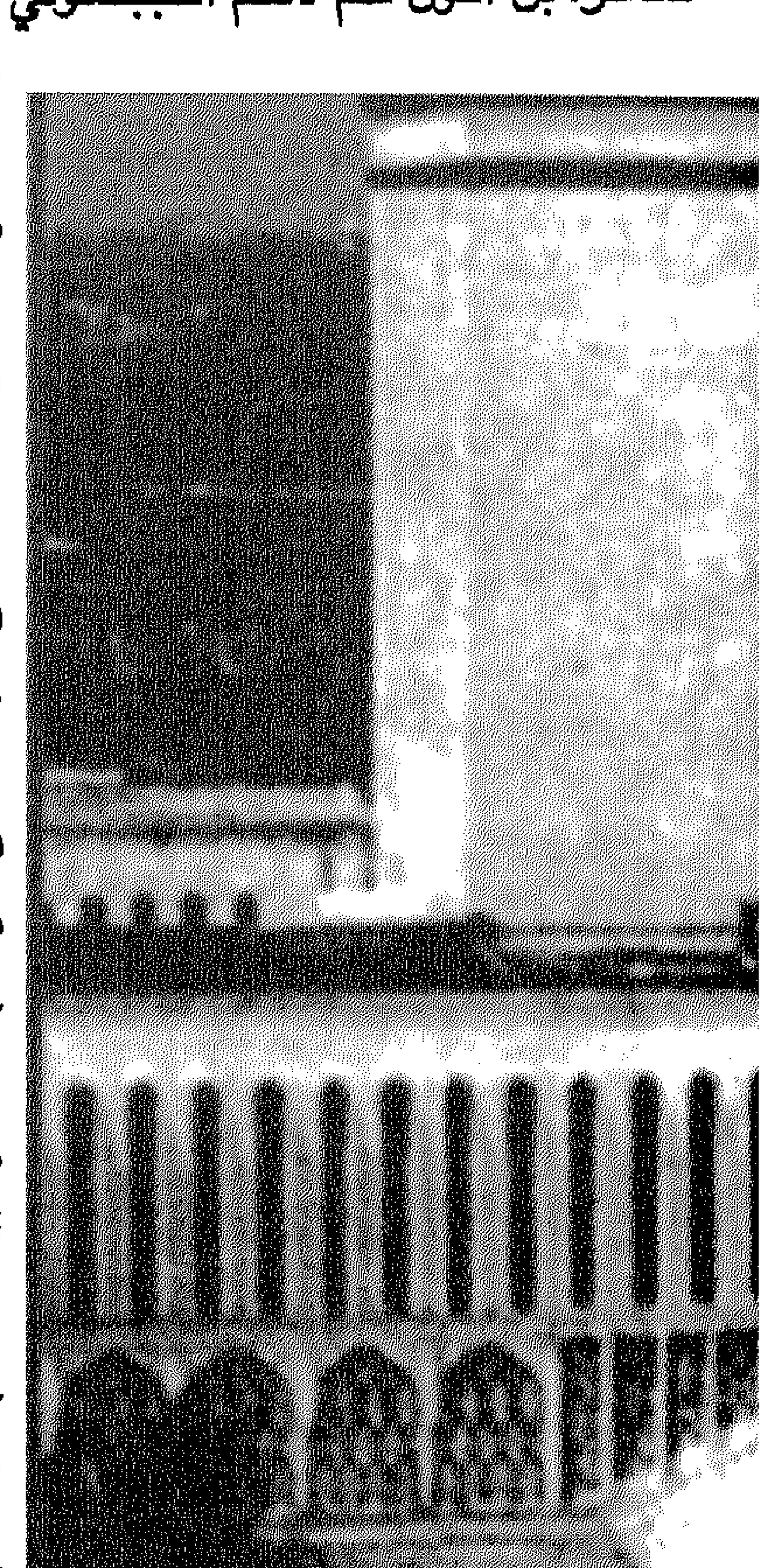
قل أيها البطل
قل : رأسي دائم الارتفاع
ورأسي المتواضع لا ينحني لأحد، فإنه قمة الهملايا
قل أيها البطل !
زاحمت أغنان السماء بعد قطع الأرض المترامية الأطراف
وجاوزت القمر والشمس والكوكب والنجم[17]

■ عمل في بداية حياته مؤذناً في مسجد ثم معلماً في مدرسة ثم التحق بالجيش ليشارك في الحرب العالمية الأولى حيث كتب الكثير من روائعه الشعرية .

مرضه

لقد أصيب الشاعر وهو في مقتبل عمره بالزهايمر، وهذا المرض لم يكن معروفاً لدى الأطباء في الهند جيداً، وقبل أن يصاب بهذا المرض تفرس أنه سوف يصاب بمرض فتاك، وظهر هذا جلياً في خطبة خطبها في حفلة انعقدت بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على قيام الجمعية الأدبية للأدباء المسلمين البنغاليين ٥و٦ من شهر إبريل في سنة ١٩٤١م فيها إشارة وداعه، ويقول :

" **لولا تسمعون مزماري – أنا لا أقول لكم لأني شاعر، بل أقول لكم لأنكم أحببتموني فلي حق المحبة – فاعفوا عني وانسوا أخطائي، صدقوني أني لم آت إليكم لأكون شاعراً ولا رئيساً، وإنما أتيت لأحبكم وتحبوني . ولكن لما لم أجد منكم المحبة فسأنصرف بإحساس صامت عن هذه الدنيا العنيفة الضانة بالحب انصرافاً أبدياً**"[18] .



ولم يمض عليه بعد هذه الخطبة شهران إلا وأصيب بالمرض المذكور وهو يلقي قصيدة له في محطة إذاعة كلكتا، فسكت تماما ونفد كلامه، وانقطع رنين مزماره إلى الأبد في ٩ من شهر يوليو سنة ١٩٤٢ . وعالجه الأطباء المشهورون في الهند وفرنسا ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، فعانى من هذا المرض الخطير بقية حياته.

حياته الأخيرة

كان الشاعر نذر الإسلام يمكث في (كلكتا) ولما انفصلت بنغلاديش عن باكستان انتقل شاعرنا إلى دكا متجنساً بنغلاديشياً في ٢٤ من مايو سنة ١٩٧٢م، وفرضت له الحكومة راتباً سخياً، وأعلنت بأنه شاعر وطني، وأقرت قصيدته (جال – جال – جال) (امش – امش – امش) أغنية وطنية، ومنحته جامعة دكا لقب دكتوراه الشرف في الأدب سنة ١٩٧٣م، كما أنه حظي في سنة ١٩٧٦م بـ (جائزة فبراير) (وهي أكبر جائزة بنغلاديشية في اللغة والأدب) من الحكومة البنغلاديشية .

ازداد مرضه يوماً بعد يوم حتى لبى دعوة ربه في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٧٦م بعد أن خلف وراءه ثروة هائلة من الشعر والنثر باللغة البنغالية الرصينة . وشيِّع رسمياً ودفن بجوار المسجد المركزي بجامعة دكا حسب أمنيته التي ظهرت في أكثر من قصيدة[19] .

آثاره

لقد خلف (القاضي نذر الإسلام) وراءه مؤلفات هائلة وآثاراً قيمة جلها شعر وقليل منها في النثر، وجميعها تدل على فضله الجم وعلمه الغزير وشاعريته العميقة وأدبيته الشامخة ؛ وقد بلغت ثلاثة وخمسين عملاً أدبياً بين الشعر والنثر .

القاضي نذر الإسلام في الأدب العالمي

كان أدبه راقياً جداً شعراً كان أم نثراً، ولكنه كان أدباً إسلامياً خالصاً ولهذا لم يهتم به غير المسلمين، وربما هذا هو السبب لعدم إقبال أدباء العالم على أدبه، ومع ذلك ترجمت بعض آثاره إلى لغات عدة . فقد ترجمت بعض دواوينه إلى الروسية، والإنجليزية، والهندية، والأردية، والتاميلية، ولغة تلغو[٢٠] .

نماذج من أدبه الإسلامي

النموذج الأول :

" رقيتي (إياك نعبد وإياك نستعين) أنا أعبد الله الواحد الأحد، وما أعترف بأية عبادة لغيره، أطلب منه القوة، أنا مسكين، أحتاج إليه سبحانه. وأن أستمد منه القوة والرحمة فسوف يرتعد جرس الصدق والحق بمشيئة الله ليس في الهند فقط، وإنما في العالم كله، فتفيض أمواج الوحدانية الإلهية الدائمة ويجتمع جميع الناس من أنحاء العالم كله في هذه الوحدانية "[٢١].

النموذج الثاني :

" أنا لا أفهم أي قانون ولا أي سياسة لا يصدران عن الإسلام،

أنا أعرف الله عز وجل وأطيعه فقط وأعرف حبه فحسب،

من يتكلم عن التفرقة بين الناس، فهؤلاء أعوان الشيطان، "[٢٢].

النموذج الثالث:

قال الشاعر في قصيدته (ذو الفقار):

" يؤذن ألف مؤذن في مسجد نفسي

والقرآن مكتوب في لوحة قلبي

تقرؤه الروح ليلاً ونهاراً "[٢٣] .

النموذج الرابع :

يقول القاضي نذر الإسلام وهو يوضح تعريف المسلمين :

" نحن ذاك الشعب، الذي استشهد في سبيل الدين

نحن جئنا بالمساواة والرفقة وعلمناهما العالم كله.

نحن الذين جاؤوا بالأمن المستقر المستمد من صدر الصحراء[٢٤] .

للعالم المشتعل بالذنوب

وما جاء الإسلام للمسلمين فقط وإنما من يتبع الحق ويطيع الله هو المسلم

لا فرق بين الفقراء والأمراء، وإنما كلنا إخوة في الله

نحن ذاك الشعب"[٢٥]. ■

الهوامش

(*) أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية العلمية شيتاغونغ، بنغلادش.

(١) سورة الروم :٢٢ .

(٢) أزهر الدين خان، بنغلا شاهيتي نذرُل،(نذر الإسلام في الأدب البنغالي) كلكتا، الطبعة الخامسة ص٢ ؛ الدكتور رفيق الإسلام، القاضي نذر الإسلام،: حسين وكابينا، (القاضي نذر الإسلام :حياته وشعره) داكا، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ ص٧ .

(٣) حياة محمود نذرل، أكاديمية بنغلا، ط١، ١٩٨٣م، ص٧، د. شوشيل غوبتا نذرل جريت مانوس (سيرت نذرل) ص٣٤، د. رفيق الإسلام، ص٧-٨ .

(٤) أزهر الدين خان ص٣ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص٩ ؛ حياة محمود ص١٢ .

(٥) الدكتور رفيق الإسلام ص٩ .

(٦) الدكتور شوشيل غوبتا ص١٣ ؛ أزهار الدين ص ٤ .

(٧) حياة محمود ص١٩ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص١١ .

(٨) الدكتور رفيق الإسلام ص١١ .

(٩) الدكتور رفيق الإسلام ص١٤-١٥ ؛ حياة محمود ص٢١ .

(١٠) الدكتور شوشيل غوبتا ص ٣٨ .

(١١) أزهار الدين ص١١ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص١٨ ؛ حياة محمود ص٤٩-٥١ ؛ الدكتور شوشيل غوبتا ص ٤٠ .

(١٢) الدكتور رفيق الإسلام ص١٨-٢٤ ؛ حياة محمود ص ٥٤؛ الدكتور شوشيل غوبتا ص ٤٠-٤١ .

(١٣) علمغير جليل ؛ مقدمة كتاب (نذرل رتشنا سنغرهو) (مجموعة نذرل)، عادل برادس، داكا ١٩٧٧ م ص ج .

(١٤) شوشيل غوبتا ص٤٧ .

(١٥) حياة محمود ص٨٤ .

(١٦) الدكتور رفيق الإسلام ص ٨٣ .

(١٧) القاضي نذر الإسلام، أغنى بنا (مزمار النار)،داكا، المطبعة البنغالية، ط/٣، ص١٣ .

(١٨) حياة محمود ص ١٤٦ ؛ الدكتور شوشيل غوبتا ص٩٠ .

(١٩) حياة محمود ص ١٥٤ .

(٢٠) قمر الإسلام همليون، مقال بعنوان (قائمة نذر الإسلام) المنشور في مجلة (بريكهون) عدد خاص عن القاضي نذر الإسلام، ١٩٩٥ م ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص ٦٥٩ .

(٢١) أزهار الدين خان ص٣٦٨ ؛ مقتبس من رسالته التي كتبها إلى رئيس تحرير صحيفة (الجهاد).

(٢٢) الدكتور شوشيل غوبتا ص ٢٢٠ .

(٢٣) مقتبس من قصيدة (ذو الفقار) من أزهار الدين خان، ٢٢٠

(٢٤) يراد به المدينة المنورة .

(٢٥) محفوظ الله، نذر الإسلام والأدب البنغالي المعاصر، نوروز كتاب استان، ط / ٢، ١٩٦٩ م ص ١٥٣ - ١٥٤ .

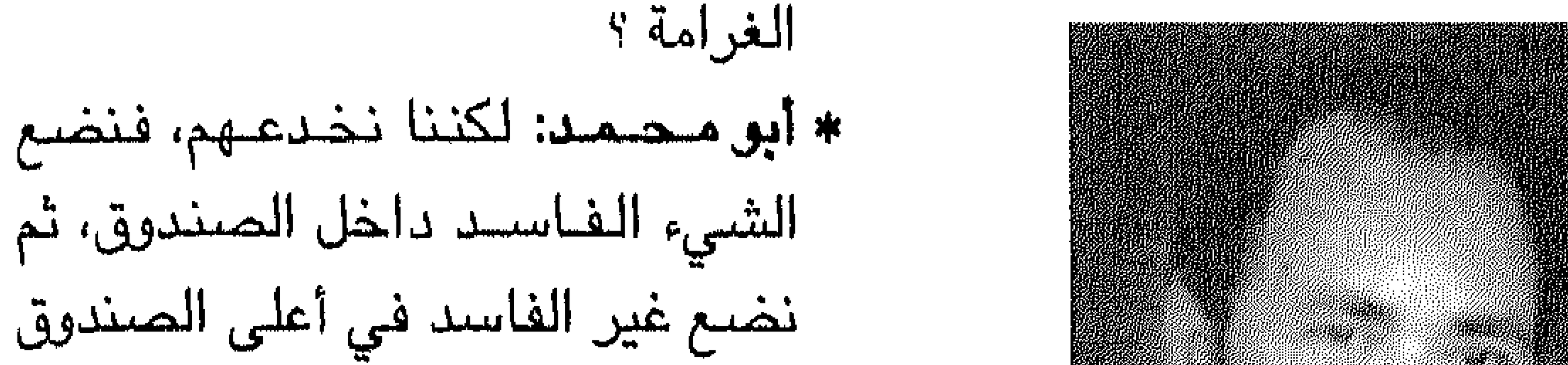
خالـــــد*

للشاعر البنغالي: قاضي نذر الإسلام
ترجمة : مصطفى غنيم

خالد... يا خالد !
ألا تسمع الترانيم الحزينة
لهواء الصحراء ؟
ألا تحس بدموع عيون الصحراء
التي ملأ ت الواحات ؟
إن السراب يبدو
مثل وميض الأضواء الكاشفة
ينظر حوله قريباً وبعيداً
يبحث عن مواقع محتملة في عزلة الصحراء
قد يكون جنودك
أقاموا خيامهم فيها
استعداداً لحرب جديدة .
إن رياح الصحراء الراكبة براق الرمل
تبحث عنك
وغزالة الصحراء تركت لها آثاراً
من رائحتها فوق الرمال .
وقوافل الإبل يتلوى طريقها في الصحراء
في صفوف فخمة تحرك أجسامها
على إيقاع البحر المتقارب .
تحترق عيون الإبل في الليل
مثل سراب في صدر الصحراء
تهمس الإبل المتعبة
وهي ترتاح في منازل على الطريق :
– خالد ... يا خالد!
لم تكن ظهورنا لحمل بضائع التجار .
وفجأة – تسمع صوت بوق في الهواء
فتنهض مسرعة وترقص في مرح
فربما كانت هذه الأبواق
صدى لطبول المعارك
فظهور الإبل الحدباء
كانت منتصبة في الماضي
كانت تحمل أسلحة الحرب
من سيوف وسهام ودروع ورماح
رأت الدم وحملت كنانات السهام
لم تحمل أبداً أكياس الملح
– خالد ... يا خالد !
إن قوافل إبلك المتعبة
للأسف أصبحت مجرد حيوانات
تحمل سلع التجار .
بعد صلاة الصبح
جلست ألقي بنظري نحو الشمس الحمراء
بلون الدم
فربما كانت عمامة خالد
وقد احمرت بدماء الأعداء .
خالد ... يا خالد !
إن المظلومين في العالم
جلسوا يندبون حظهم
بجوار قبرك .

* الأبيات من قصيدة طويلة عن خالد بن الوليد رضي الله عنه نشرت في كتاب:
Kazi Nazrul Islam لمؤلفه رفيق الإسلام.

حتى لا تخسر يا أبي



بقلم: عبدالفتاح سمك*

المشهد الأول

(ينقسم المسرح إلى قسمين، كل منهما يمثل محلاً يبيع الخضروات، يقف صاحب كل محل أمامه ويدور حوار).

* **أبو محمد:** كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟
* **أبو عبدالله:** هه - الحمد لله يا أبا محمد .
* **أبو محمد:** المحل عندك عامر ما شاء الله !
* **أبو عبدالله:** وأنت كذلك .
* **أبو محمد:** المستوردون لم يعد يكفيهم ما يحصلون عليه من ربح، ويريدون أن يملؤوا جيوبهم من عرقنا نحن التجار الصغار .
* **أبو عبدالله:** .. لا بأس . ونحن كذلك نعرف كيف نملأ جيوبنا .
* **أبو محمد:** لكن وسيلتنا سيئة نوعاً ما .
* **أبو عبدالله:** (يرفع يديه ثم يخفضها) أي سوء يا رجل ونحن نتعب طوال الليل .
* **أبو محمد:** نتعب في الغش يا أبا عبد الله ؟
* **أبو عبدالله:** أتسمي ذلك غشاً ؟
* **أبو محمد:** ماذا يمكن أن نسميه يا صاحبي؟
* **أبو عبدالله:** نسميه تجارة، تجارة !
* **أبو محمد:** (مستنكراً) تجارة ؟
* **أبو عبدالله:** (يحرك يديه ويلون صوته) نعم يا سيدي تجارة، واسأل أي واحد من الناس، وهو يقول لك هذا .
* **أبو محمد:** هداك الله يا أخي .
* **أبو عبدالله:** أنا مهتدٍ والحمد لله، هداك الله أنت يا أبا محمد، أتريدنا أن نخسر، ونحن وراءنا عائلات اسمعني.
* **أبو محمد:** أنا سامع يا أبا عبدالله.
* **أبو عبدالله:** أي تاجر مثلي ومثلك يشتري خضاراً وفاكهة .. ألا يدفع ثمنه كاملاً؟
* **أبو محمد:** هل يأخذها مجاناً ؟
* **أبو عبدالله:** يحدث أن يفسد بعض هذه الفاكهة أو الخضار ونحن قد دفعنا ثمنه كاملاً .
* **أبو محمد:** صحيح .
* **أبو عبدالله:** هل نتحمل نحن ثمن هذه الأشياء ؟ أم يشاركنا الناس في الغرامة ؟
* **أبو محمد:** لكننا نخدعهم، فنضع الشيء الفاسد داخل الصندوق، ثم نضع غير الفاسد في أعلى الصندوق فيظن المشتري أن الصندوق كله سليم .
* **أبو عبدالله:** هذا غير صحيح .
* **أبو محمد:** بل .. صحيح .
* **أبو عبدالله:** كل من يشتري صندوقاً من الفاكهة أو الخضار يفترض أن بعضه فاسد.
* **أبو محمد:** لكنه لا يفترض أننا نسهر طول الليل، كي نعبئ الصناديق بهذه الصورة المخادعة .
* **أبو عبدالله:** لو أنك تقلل من ألفاظك الجارحة التي تسيء إلى تجارتنا مثل الغش والخداع .
* **أبو محمد:** هذه هي أسماء ما نفعله يا أخي.
* **أبو عبدالله:** هداك الله يا أخي! قلت لك: إننا نقسم الخسارة بيننا وبين المشتري .
* **أبو محمد:** لكننا نبيعها له بسعر السليم وليس بسعر الفاسد .
* **أبو عبدالله:** نحن كذلك اشتريناها بسعر السليم .
* **أبو محمد:** الفساد الذي يطرأ على البضاعة التي نشتريها ليس مقصوداً ولا كثيراً، أما الفساد الذي حدث عندنا ونحمله للمشتري

---

* كاتب وأديب مصري (١٩٤٦م) مقيم في البحرين، يعمل في التعليم العام، له عدة مؤلفات منها: ١- أهل بدر (موسوعة صدر منها ثلاثة أجزاء ٢- هذيان تائه، والغصن والندى ديوانان شعريان. عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

نحن سببه ونتعمد إخفاءه عن عينه .

* **أبو عبدالله:** حتى لا تبور تجارتنا .
* **أبو محمد:** (يحرك رأسه ويديه) لا يا أبا عبد الله، هذا والله غش وخداع .
* **أبو عبدالله:** يا أبا محمد، إذا كنت متأكدا من ذلك فلماذا تمارسه، لماذا يا أخي تمارس الغش والخداع، افرز بضاعتك، ويكفي أن تبيع السليم .
* **أبو محمد:** أخاف أن أخسر .
* **أبو عبدالله:** بالتأكيد سوف تخسر، ثم تغلق المحل وتبحث لك عن عمل آخر، ولن تجد، يا أخي كفاك فلسفة، وادخل إلى دكانك فإني أرى الزبائن بدؤوا في الوصول.

(مجموعة من المشترين يقلبون أبصارهم في الصناديق. بعضهم يفتح جانباً من الصندوق، وينظر فيه، أحد المشترين يحاول أن يضع يده داخل الصندوق) .

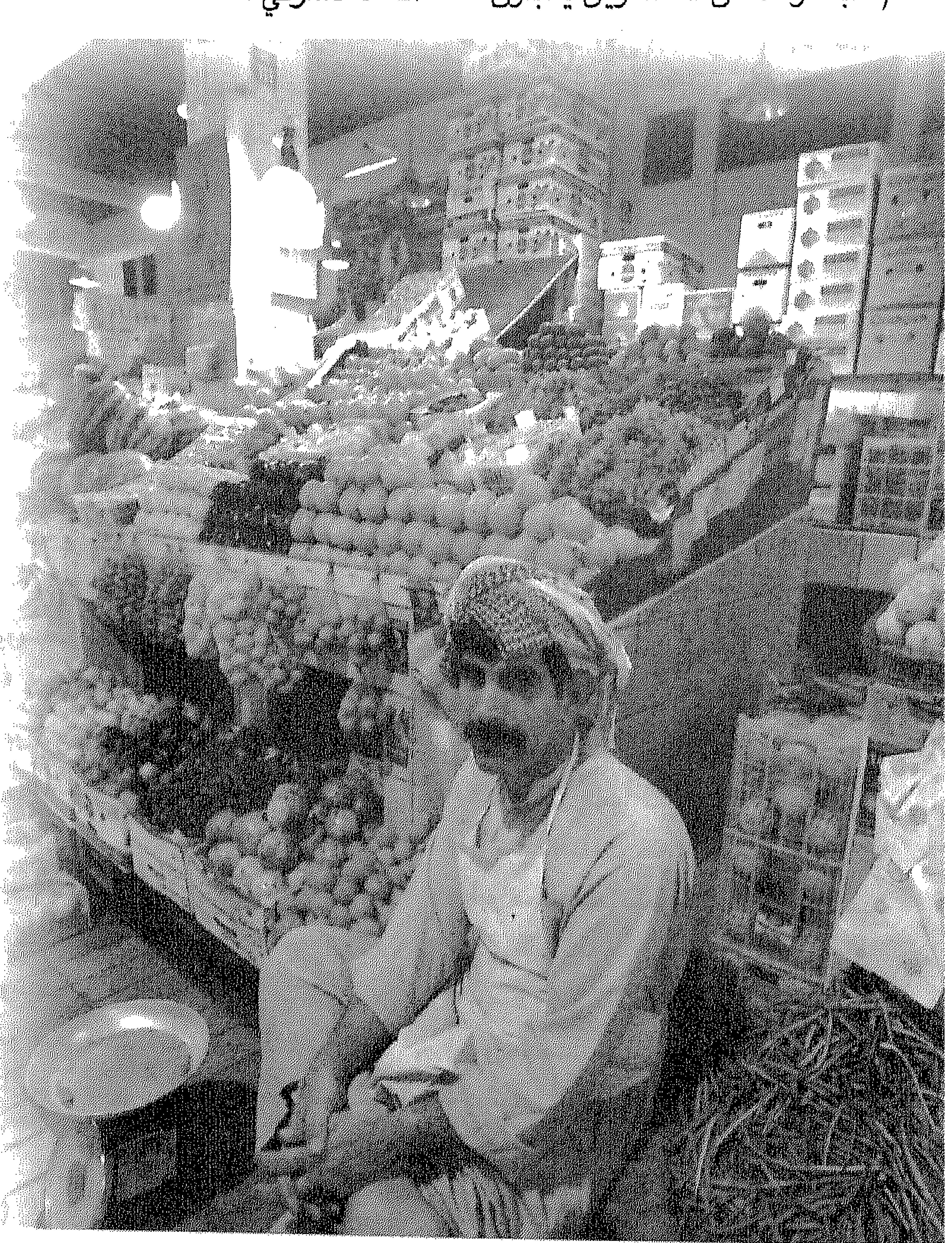
* **أبو عبدالله:**(مبتسماً بحزم) غير مسموح يا أخي .
* **المشتري:** أي شيء هو ؟
* **أبو عبدالله:** هذا الذي تفعله .

المشتري: لقد فعلت أشياء كثيرة، فأنا لا أعرف ما هو غير المسموح منها.

* **أبو عبدالله:** (بغضب) . غير مسموح أن تقلب في محتويات الصندوق بيدك .
* **المشتري:** ألا أطمئن على ما سوف أطعمه لأسرتي ؟
* **أبو عبدالله:** قد فعلت .
* **المشتري:** كيف ؟
* **أبو عبدالله:** قد نظرت إليها، ولكن كثرة التقليب في الأغراض يفسدها .
* **المشتري:** لكن مجرد النظر إلى السطح لا يكفي .
* **أبو عبدالله:** أرحني وأرح نفسك . إما أن تدفع الثمن وتحمل الصندوق، وإما أن تبحث عن محل آخر يبيع لك، والبائعون كثيرون .
* **المشتري:** (يدفع ويحمل الصندوق) أمري إلى الله .

(يتكرر هذا الحوار في داخل محل أبي محمد وداخل محل أبي عبد الله، وفي آخر مرة دار الحوار فيها داخل محل أبي عبد الله يحمل ثلاثة من المشترين صناديقهم، وأثناء خروجهم يصطدم أحدهم بأحد الداخلين فيسقط صندوق التفاح من يده، فإذا كل الصفوف الأخيرة فاسدة ينظر المشترون إلى محتويات الصندوق بدهشة ...).

* **المشتري:** (ينحني فيمسك بعض الثمار الفاسدة) ويقول: هذه بضاعتك ؟
* **أبو عبدالله:** وهل كنتُ داخل الصندوق ؟
* **المشتري:** لكنك تعرفه بالحبة الواحدة.
* **أبو عبدالله:** ليس صحيحاً .
* **المشتري:** بل صحيح وأنت تكذب .
* **أبو عبدالله:** أقسم بـ...
* **المشتري:**: (بغضب) إياك أن تقسم أيها الغشاش المخادع .
* **أبو عبدالله:** أنت تهينني، وتسيء إلى كرامتي بهذه الشتائم ؟
* **المشتري:** أنت لم تحفظ لنفسك كرامة حين رضيت أن تخدع الناس .
* **أبو عبدالله:** أنا لست مخادعاً، وإن لم تسكت. .!



* **المشتري:** (مقاطعاً) ماذا ستفعل ؟
* **أبو عبدالله:** (يسكت)
* **المشتري:** إذا أنا أفرغت محتويات هذه الصناديق فسوف تجدها كلها فاسدة .

(يتقدم نحو الصناديق).

* **أبو عبدالله:** (يعترضه) إياك أن تقترب من الصناديق .
* **المشتري:** (يتقدم) سأكشف أنك غشاش .
* **أبو عبدالله:** (يمسكه) أبعد يدك .
* **المشتري:** (يصفعه على وجهه) تخاف يا لص .
* **أبو عبدالله:** (يمسكه من ثوبه) .
* **المشتري:** يمسكه هو الآخر، ويجتمع عدد من المشترين ويجرون أبا عبد الله إلى الكواليس وأصوات ضرب وصراخ.
* **أبو محمد:** (يخرج الزبائن) اخرجوا، اخرجوا لن أبيع اليوم، اذهبوا، فانظروا ماذا حدث للرجل ... (سريعاً يغلق محله).

المشهد الثاني

(أبو محمد في دكانه ينظم الصناديق ويرصها، يدخل عليه ثلاثة من أولاده يحملون أطعمة مغطاة بالأوراق المفضضة) .

* **يوسف** متى تشترتي لي القطار الكهربائي يا أبي .
* **أبو محمد:** هذا هو الكلام الذي لا يفيد .
* **صالح:** أنت وعدتني بالدراجة البخارية، وحتى الآن لم تحضرها لي.
* **أبو محمد:** (يتجه إلى إبراهيم) وأنت ماذا تطلب ؟
* **إبراهيم:** (بحياء) لا شيء غير أن توافق على أن أصحب رفقائي في رحلة إلى أوروبا كما كنت وعدتني .
* **أبو محمد:** (يبتسم ويضع يده على كتف إبراهيم) هذا فقط ؟

(صالح ويوسف يلهوان في المحل، جرياً وتحسساً للأشياء).

* **إبراهيم:** لا أرغب إلا في هذا.

(يستدرك كأنه تذكر شيئاً)

بقي شيء .

* **أبو محمد:** تذكرت ؟
* **إبراهيم:** ليس خاصا بي، وإنما بمحمد .
* **أبو محمد:** هل أرسل معك يطلب شيئاً؟
* **إبراهيم:** لا، لم يرسل، وإنما سمعته يحدث والدتي عن رغبته في سيارة .
* **أبو محمد:** (في دهشة) سيارة ؟
* **إبراهيم:** قال إنها وعدته بأن تشتري له سيارة عند وصوله إلى الثانوية .
* **أبو محمد:** (يوضح لنفسه) يعني أمه وعدته أن أشتري أنا (يشير إلى صدره) له سيارة عندما يصل إلى الثانوية ؟
* **إبراهيم:** قالت أمي إنها تذكرت هذا الوعد، وسوف تتباحث معك وبشأنه بعد أن تفرغ من عملك الذي انقطعت له أياماً طويلة .
* **يوسف** (يقترب) لم تعد تحب البيت يا أبي .
* **أبو محمد:** (متعجباً) أنا ؟
* **يوسف:** إنك تقضي وقتك كله في المحل.
* **أبو محمد:** كان يحتاج إلى إعادة ترتيب.
* **يوسف** لماذا لم تطلب مني مساعدتك؟
* **أبو محمد:** لقد قام بذلك محمد وإبراهيم، وعندما تكبر ربما تستطيع المساعدة .
* **صالح:** (مقبلاً وهو يجري) أنا كذلك أستطيع المساعدة .
* **أبو محمد:** (يربت على كتفه) إن شاء الله.
* **أبو محمد:** (يكلم إبراهيم) ما رأيك في رحلة إلى العمرة ؟
* **إبراهيم:**(في توجس) ورحلة أوروبا.
* **أبو محمد:** أوروبا لن تطير .
* **إبراهيم:** ولكنني وعدت ...
* **أبو محمد:** (مقاطعا) هناك وعود يمكن أن يتركها الإنسان من أجل وعود أفضل منها.
* **إبراهيم:** (مستغرباً) أية وعود ؟
* **أبو محمد:** (يقربه منه) التي ستعدني بها الآن .
* **إبراهيم:** الآن ؟!
* **أبو محمد:** إن لم تعجبك لا تلتزم بها.
* **إبراهيم:** موافق .
* **صالح:** وأنا موافق .

(يضحك أبو محمد وإبراهيم)

* **أبو محمد:** (يحدث إبراهيم) تقريباً لن يوجد عندك وقت لرحلة أوروبا هذا العام.
* **إبراهيم:** الصيف طويل يا أبي .
* **أبو محمد:** لكنه قصير بالنسبة لما أعددته لك .
* **إبراهيم:** (باهتمام) - هل أعددت لي شيئاً؟
* **أبو محمد:** (مداعباً) أعددت لك قطاراً كهربائياً كبيراً .
* **يوسف** (يتلفت حوله) لا أراه .
* **أبو محمد:** سوف تراه حين تذهب إلى الحديقة.
* **يوسف** هل تركت القطار هناك ؟
* **أبو محمد:** هو موجود هناك دائماً.
* **يوسف** (يتصنع البكاء) أين القطار ؟ أين القطار ؟

* **أبو محمد:** عندما تذهب إلى الحديقة فسوف نجعلك تركب هذا القطار، فذلك أكبر من القطار الذي تريد أن أشتريه لك .
* **يوسف** أريد القطار .
* **إبراهيم:** أبوك يريد أن يتحدث معي .. ألا تتركنا قليلاً .
* **يوسف** (يبتعد قليلاً ناحية صالح) تريد أن تسافر إلى أوروبا .
* **إبراهيم:** لا أوروبا ولا غيرها .
* **أبو محمد:** أريد أن أسجلك في دورة حاسب آلي صباحية .
* **إبراهيم:** (فرحاً) هذا شيء أحبه .
* **أبو محمد:** أرجو أن تتردد إلى مركز لتحفيظ القرآن مساءً .
* **إبراهيم:** (يصمت) .
* **أبو محمد:** ألا تروقك الفكرة ؟
* **إبراهيم:** لقد فاجأتني .
* **يوسف** أصحابي كلهم في مراكز تحفيظ القرآن، فهل تسمح لي أن أذهب معهم .
* **أبو محمد:** ولك مكافأة على كل جزء تحفظه .
* **يوسف** الدراجة الكهربائية ؟
* **أبو محمد:** الدراجة الكهربائية حين تنتهي من حفظ القرآن كله .
* **صالح:** وأنا سأحفظ .
* **أبو محمد:** إذاً أحبك .
* **إبراهيم:** فكرة طيبة .
* **أبو محمد:** أول المكافآت رحلة العمرة، وعندما تتحسن الأمور فلن تتوقف إن شاء الله .
* **إبراهيم:** وسيارة محمد ؟
* **أبو محمد:** تكفي سيارة واحدة، وإذا أراد أن يأخذها فلن أمانع بشرط أن يوصلني إلى ما أريد .
* **صالح:** (يجري في اتجاه أبيه) أريد القطار .
* **أبو محمد:** (يمد يده ليمسكه) تعال هنا .
* **صالح:** (يسرع مبتعداً) لن تستطيع أن تمسك بي فأنا أسرع منك .
* **أبو محمد:** (يتصنع الوقوف) انتظر وسوف ترى .
* **صالح:** (يزيد من سرعته) لن تستطيع.

(ويصطدم إبراهيم ببعض الصناديق فيسقط صندوق من التفاح حباته كلها طازجة) .

(يسرع يوسف وصالح فيتحسسان حبات التفاح ويتعجبان).

* **صالح:** لا أجد حبة لينة أعبث بها .
* **أبو محمد:** (يتنهد) ولن تجد بعد الآن، فقد كنت أسهر الليالي كي لا أدع شيئاً ليناً .
* **إبراهيم:** (بجدية) أبي !!
* **أبو محمد:** نعم يا إبراهيم .
* **إبراهيم:** لن أفعل إلا ما يسرك .

(أبو محمد يضم رأس إبراهيم إلى صدره).

المشهد الثالث

(نفس منظر المشهد الأول، أبو عبد الله وأبو محمد يقفان أمام محليهما) .

* **أبو محمد:** شرفت محلك يا أبا عبد الله !
* **أبو عبدالله:** شكراً ...
* **أبو محمد:** كنت لا أجد أحدا أتكلم معه.
* **أبو عبدالله:** وكنت مرتاحا مني ومن حيرتي .
* **أبو محمد:** (متعجباً) ماذا تقول يا رجل ؟!
* **أبو عبدالله:** كان السوق خالياً لك، فليس لك منافس يبيع بجانبك .
* **أبو محمد:** يا أخي الأرزاق بيد الله، وكل واحد يأتيه رزقه كاملاً، ثم إنني لم أنظر إليك أبداً على أنك تنافسني في رزقي .
* **أبو عبدالله:** إذاً أنت لا تفكر، فإذا كان في المكان محلان وجاء اثنان من المشترين، فإن كل محل سيدخله واحد أما إذا كان المفتوح محلاً واحداً، فإنه سيبيع لاثنين وليس لواحد .
* **أبو محمد:** حسابك خاطئ يا صاحبي.
* **أبو عبدالله:** الكل يعرف أنني أحسبها بالفلس الواحد، فكيف تزعم أنني أحسبها خطأ .
* **أبو محمد:** صحيح أنت أحسن من يحسبها بالفلس، لكن حسابها بالرزق شيء مختلف.
* **أبو عبدالله:** (ساخراً) علمني يا أبا العرّيف !
* **أبو محمد:** إن كنت لا تعرف ذلك، فأنت فعلاً في حاجة إلى تعليم، ذلك أن الرزق عطاء من الله، وليس حساباً مثل حسابك .
* **أبو عبدالله:** (بلا اهتمام) لم أفهم .
* **أبو محمد:** لا بد أن تفهم يا صديقي أن المحلين يمكن أن يكونا مفتوحين، والبضاعة واحدة فيهما، والسعر واحد، ويدخل المشترون واحداً منهما ويتركون الآخر، لأن الله أراد أن يرزق أحدهما في هذا اليوم أكثر من صاحبه .
* **أبو عبدالله:** تقصد أنك تقول: إنك لم تكن سعيداً بغيبة صاحب المحل الذي يجاورك .
* **أبو محمد:** إنني سعيد جداً بعودتك إلى عملك، وأكون سعيداً أكثر لو أنك تعلمت وأخذت درساً مما حدث لك .
* **أبو عبدالله:** (يرفع صوته) تظهر الشماتة بي وأنت صديقي .

* **أبو محمد:** (بغضب) أستغفر الله، أنا أشمت بك، وأنا الذي لم أفارقك ليلاً ولا نهاراً، وكنت أسأل عن أهلك طوال المدة التي كنت فيها مريضاً، وأنا الذي سعيت بالصلح حتى لا توضع بالسجن، وعرضت أن أدفع الغرامة بدلاً عنك .
* **أبو عبدالله:** تعيّرني بما فعلت معي ولم أكن في حاجة إليك .
* **أبو محمد:** (يرفع صوته) سبحان الله، كل كلمة أقولها لك تفهمها خطأ، ومع ذلك فقد كنت في حاجة شديدة إليّ، ولكنك إنسان جحود ينسى الجميل الذي يقدم إليه .
* **أبو عبدالله:** هانت عليك العشرة حتى تتهمني بالجحود كأنني لم أساعدك أبداً
* **أبو محمد:** (يهدئ من غضبه) يا صديقي العزيز، مدة عشرين سنة وأنت صاحب الفضل عليّ، فأنت الذي علمتني التجارة، وأنت الذي اخترت لي أن أكون بجوارك، ولكنك أخطأت في حقي، وأخطأت في حق نفسك .
* **أبو عبدالله:** تختمها بالخطأ .
* **أبو محمد:** اسمعني بدون انفعال حتى أكمل كلامي .
* **أبو عبدالله:** تكلم: دعنا نتسلى، ونضيع الوقت .
* **أبو محمد:** أول قانون علمته لي في التجارة كان صحيحاً مئة في المئة، وهو الحديث الشريف (تسعة أعشار الرزق في التجارة).
* **أبو عبدالله:** الحمد لله ذكرت لي شيئاً صحيحاً .
* **أبو محمد:** ولكن للأسف شرحت لي الحديث الشريف شرحاً غير شريف .
* **أبو عبدالله:** رجعنا للخطأ مرة أخرى.
* **أبو محمد:** اصبر حتى أقول ما عندي.
* **أبو عبدالله:** أخاف ألا أستطيع التحمل.
* **أبو محمد:** حاول .
* **أبو عبدالله:** سأحاول لكن ليس كثيراً
* **أبو محمد:** المهم أنك أوهمتني أن التجارة ذكاء وشطارة وغش حتى يكون مكسبك أكثر وتحصل على تسعة أعشار الرزق.
* **أبو عبدالله:** أنت تفتري علي يا أبا محمد لأن التجارة ذكاء ولكنني لم أتكلم عن الغش .
* **أبو محمد:** ما رأيك فيمن يضع ثلث الصندوق قشا وورقا، والثلث الثاني فاكهة أو خضراوات لا تصلح للأكل، والثلث الأعلى الذي يظهر للعين حب صحيح سليم .
* **أبو عبدالله:** قلت لك من قبل: هي معاملة بالمثل، فنحن نشتريها شبيهة بذلك،وهذا هو العدل .
* **أبو محمد:** الذي تعتبره عدلاً هو الغش يا أبا عبد الله، ويمكن أن يتسبب في مشاكل كثيرة، هذا بالإضافة للذنوب، والعاقل يا صديقي هو من يتعظ بغيره، ولكن الأكثر عقلاً هو من يستفيد من تجاربه .
* **أبو عبدالله:** يعني أنك أخذت درساً من محنتي .
* **أبو محمد:** تستطيع أن تقول إنك علمتني أولاً وعلمتني أخيراً .
* **أبو عبدالله:** أشكرك على المجاملة التي تخفي شماتة .
* **أبو محمد:** لا والله، ولكنني أريد أن تستفيد مثلي .
* **أبو عبدالله:** وماذا استفدت مني يا أيها الذكي .
* **أبو محمد:** لا أبيع إلا البضاعة الجيدة، وبالسعر الذي يجعلني لا أخسر فيها، ولكن لا أبالغ في الربح .
* **أبو عبدالله:** سيقل دخلك الذي تعودت عليه.
* **أبو محمد:** بالتأكيد ولكن بغير خسارة.
* **أبو عبدالله:** والتزاماتك، وسعادة أبنائك؟!
* **أبو محمد:** سوف تؤمن مع اختصار بعض المصروفات الزائدة التي لا تؤثر في سعادة الأبناء .
* **أبو عبدالله:** مثل ماذا .
* **أبو محمد:** الرحلات الدورية لأوروبا وغيرها، مثل ملاحقة السيارت الجديدة، وكذلك المبالغة في عدد الخدم.
* **أبو عبدالله:** ماذا أبقيت لك لتتمتع بحياتك .
* **أبو محمد:** بقي الطيب من الطعام والملبس، والمعتدل من الترفيه والارتحال، والضروري من الخدم والسيارات، وبقي أهم شيء في الموضوع .
* **أبو عبدالله:** علمني علمك الله .
* **أبو محمد:** بقيت راحة الضمير بأن الإنسان يتعامل مع ربه ومع غيره بأمانة، وهذه سعادة تفوق سعادة التمتع بكل ما نحسب أنه يجلب السعادة .
* **أبو عبدالله:** أنا الآن فهمت شيئاً لم أكن أفهمه من قبل .
* **أبو محمد:** لعله خير .
* **أبو عبدالله:** لقد ألقيت جراثيمك في بيتي، فإذا ابني عبد الله يردد أمامي مثل هذا الكلام، وأنا أتجاهله حتى سمعته منك فعرفت الآن أنك سبب ما أصابه .
* **أبو محمد:** أنا لم أحدثه في أي شيء وأقسم لك.

* **أبو عبدالله:** (مهدداً بيده) لا تقسم، فإنك كاذب، لأن هذا الكلام لم يكن يتردد في بيتي أبداً، ولم يكن يعرفه أحد من أولادي .
* **أبو محمد:** تتهمني بالكذب يا صديقي.
* **عبد الله:** كنت أسير مع محمد فسمعنا صوتا مرتفعا .

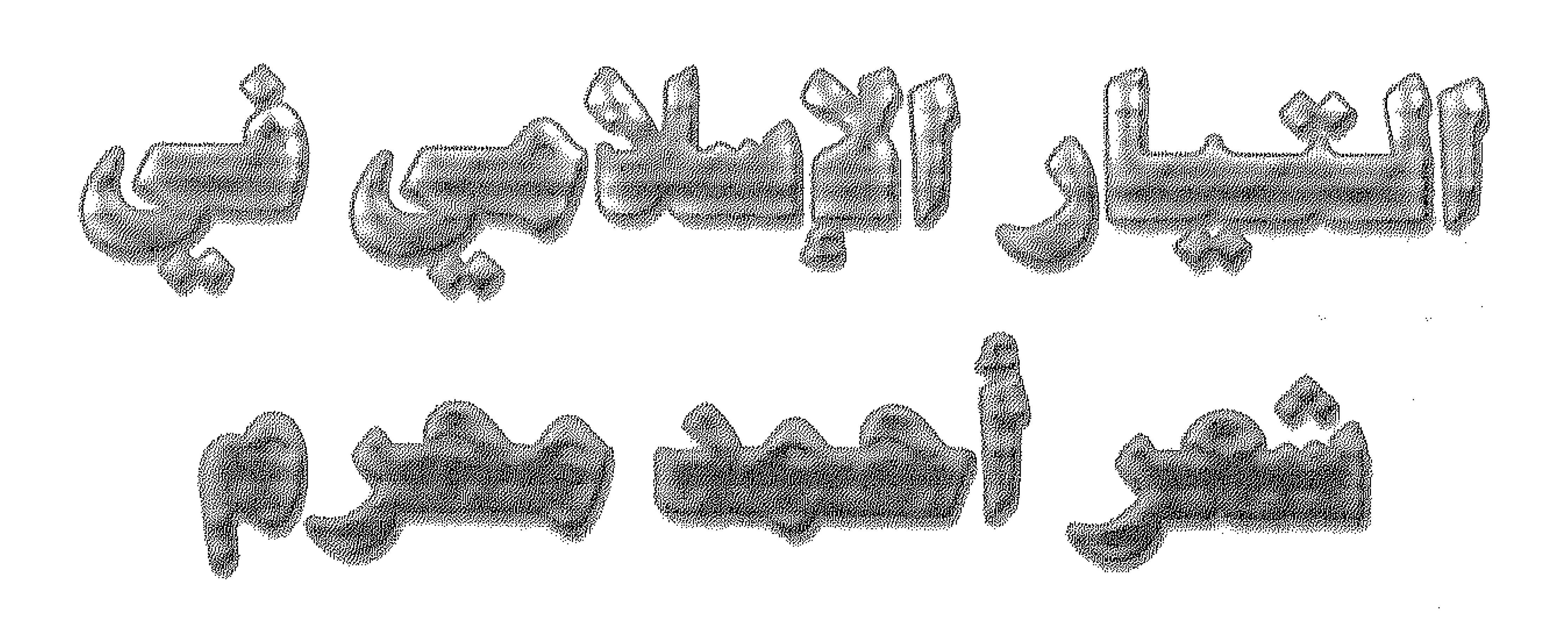
محمد: هل يمكن يا عمي أن أعرف السبب.

* **أبو عبدالله:** الموضوع أن أباك يريد أن يعلمني الأمانة .
* **أبو محمد:** لست كبيرا على التعليم .
* **أبو عبدالله:** (متجاهلا) ويتفق مع ابني الذي من صلبي كي تبور تجارتي، وأخسر أرباحي، وأنت ألا تعرف هذا ؟
* **محمد:** أؤكد لك أننا كنا نسير من غير اتفاق على شيء .
* **أبو عبدالله:** لا أصدقك .
* **أبو محمد:** أنت لا تصدق أحدا يا صاحبي .
* **أبو عبدالله:** أنتم فقط لا أصدقكم .
* **عبد الله:** ومن غيرنا يمكن أن تصدقه يا أبي؟
* **أبو عبدالله:** أنتم تتآمرون علي !
* **محمد:** نحن نحبك يا عمي .
* **أبو عبدالله:** أبوك يحسدني على مكاسبي الكثيرة، وكان يكسب مثلي أو ما يقرب مني، وعندما حدث لي حادث صغير أصابه الجبن، وأراد أن يجني على نفسه وعليكم، ويريد أن أصبح مثله.
* **عبد الله:** ونحن أبناؤك نريدك كذلك.
* **أبو عبدالله:** تريد أن أخسر .
* **محمد:** بل تكسب يا عمي .
* **عبد الله:** تكسب الكرامة والبركة .
* **أبو محمد:** اسمع كلام ابنك .
* **عبد الله:** نريد لك الخير يا أبي .
* **أبو عبدالله:** ورحلتك إلى لندن .
* **عبد الله:** سأستبدل بها رحلة إلى العمرة .
* **أبو عبدالله:** ومصاريف سهراتك الليلية!!
* **عبد الله:** مراجعة الدروس، وقراءة الكتب لن تترك لي وقت فراغ .
* **أبو عبدالله:** والسيارات الجديدة .
* **عبد الله:** سأكتفي بما عندي .
* **أبو عبدالله:** ومطالب أمك .
* **عبد الله:** أنت زوجها ومن حقك أن ترفض ما ليس ضرورياً .
* **أبو محمد:** أحسنت يا عبد الله .
* **أبو عبدالله:** أفسدتم عليّ ولدي .
* **محمد:** بل عرف الصواب واقتنع به.
* **أبو محمد:** افتح قلبك يا صاحبي، وسوف لا تندم بعد ذلك .
* **أبو محمد:** وإن غضبت زوجتي وتمرد أبنائي .
* **عبد الله:** يكونون حينئذ أعداءك ومن حقك أن لا تخضع لعدوك .
* **أبو محمد:** ما الذي غيرك هكذا يا ولد.
* **محمد:** الله سبحانه يهدي من يشاء .
* **أبو محمد:** صحبتك له هي التي غيرته .
* **عبد الله:** وهل أنت راضٍ عن هذا التغيير يا أبي .
* **أبو محمد:** (في حيرة) لست أدري
* **أبو محمد:** بل أنت تدري، ولكن حب المال ما زال يسيطر عليك .
* **أبو محمد:** بل حب الأولاد، وخشية التضييق عليهم .
* **محمد:** ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .
* **عبد الله:** إذا تمسكت برأيك يا أبي فسوف لن تراني في البيت أبداً .
* **أبو محمد:** (بدهشة) ماذا تقول يا عبد الله .
* **عبد الله:** لن آكل من حرام بعد أن عرفته، والغش من أكبر الحرام (من غشنا فليس منا)
* **أبو محمد:** أنت كذلك تسميه غشاً.
* **محمد:** الحقيقة يا عمي ليس له اسم آخر .
* **أبو محمد:** (منفعلاً) اذهب حيث تشاء فلن يهمني أمرك .
* **أبو محمد:** أنا لن أرضى أن يترك عبد الله بيت أبيه، من أجل ذلك سأعمل ما يجعله لا يترك بيته .
* **عبد الله:** ماذا ستفعل يا عمي وأبي لا يريد أن يقتنع .
* **أبو محمد:** سأحذر من يدخل عنده، وإذا استمر في ضلاله فأنا الذي سأبلغ عنه الشرطة .
* **أبو عبدالله:** (بحدة) تحاربني في أكل عيشي، سأريك قبل أن تبلغ عني (يرفع العصا) ليضرب أبا محمد ، (ولكن عبد الله يسرع فيتلقى الضربة على رأسه، يقع على الأرض ويصرخ ... يسرع إليه الجميع).
* **أبو عبدالله:** ابني !
* **أبو محمد:** ولدي !
* **محمد:** أخي العزيز !

عبد الله: (وهو ممد على الأرض) سأترك لك البيت .

* **أبو عبدالله:** (يبكي) قطع الله يدي التي امتدت إليك، قم يا ولدي سالماً، ولن يكون إلا ما تريد، سأذهب بك إلى العمرة، ولن أغش ما حييت، أنا لا أريد أن أخسرك يا بني .
* **عبد الله:** وأنا لا أريد أن تخسر آخرتك يا أبي .

(يعتذر عبدالله فيحتضنه محمد، وينهض أبو عبد الله فيصافح أبا محمد).■

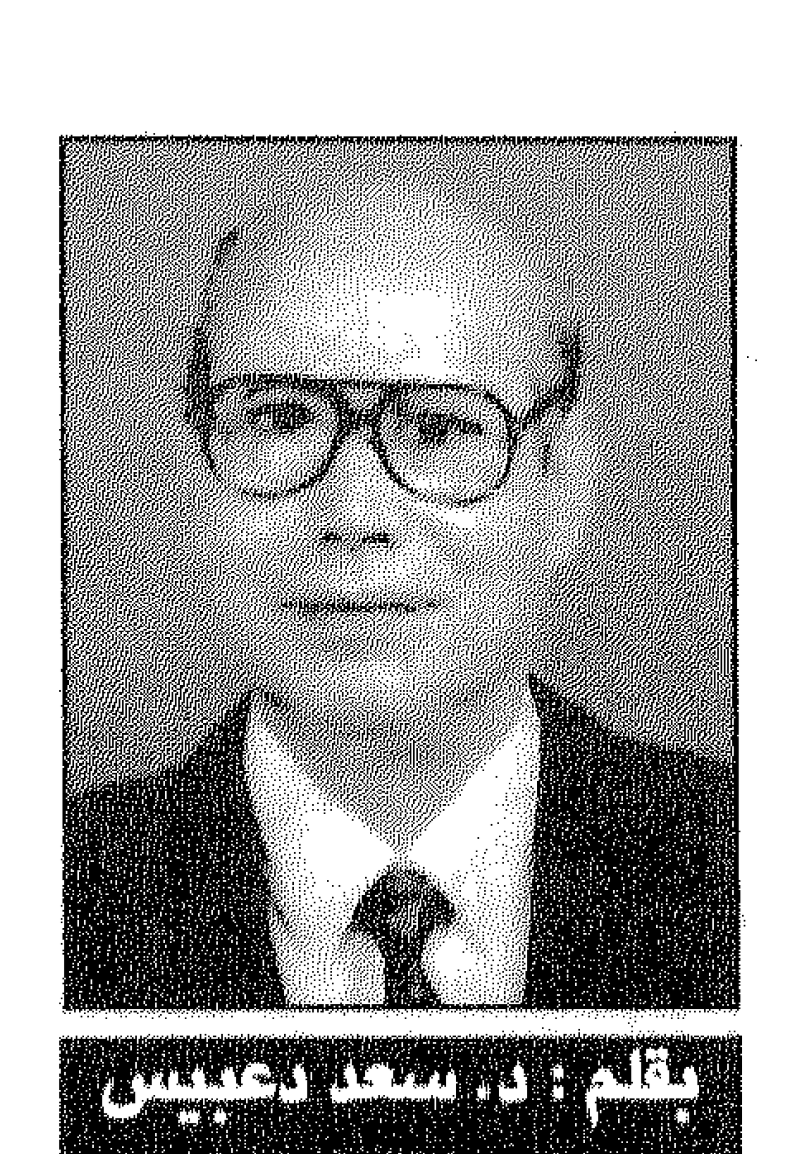


التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم

هذه رسالة ماجستير تمثل أهمية كبرى في مجال الفكر الإسلامي، والدراسات الأدبية بصفة عامة، ونظرية (الأدب الإسلامي) بصفة خاصة، وموضوع هذه الرسالة (التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم) تقدمت بها الباحثة (أمل إسماعيل السيد) إلى قسم اللغة العربية بكلية التربية - جامعة عين شمس - عام ٢٠٠٠م، وحصلت بها على تقدير (ممتاز) وأشرف عليها كاتب هذه السطور، والدكتور عبد المرضي زكريا خالد، وناقشها الأستاذان الدكتوران: يوسف نوفل رئيس قسم اللغة العربية بكلية البنات بجامعة عين شمس، وأحمد سيد محمد - رئيس قسم اللغة العربية بتربية عين شمس [١].

وقبل أن أتحدث عن أبرز جوانب الأهمية في هذه الرسالة الجامعية التي قدمتها هذه الباحثة عن رائد التيار الإسلامي في الشعر العربي الحديث .. ألا وهو: أحمد محرم، أحب أن أشير إلى جانب آخر من جوانب هذه الأهمية ... ألا وهو:

أهمية مثل هذه الرسالة الجامعية في تأصيل نظرية (الأدب الإسلامي) وجعلها محوراً مهماً من محاور البحث العلمي الأكاديمي، ومن ثم .. انتقالها إلى مجال الدرس الجامعي، والمحاضرات الجامعية، ومحاورات المتخصصين في مجالات الدراسات الأدبية،وبخاصة في مجالات الدراسات العليا ..! وأنا .. أعتقد أن هذا وحده يمثل كسباً كبيراً لنظرية الأدب الإسلامي، وأعني بذلك: انتقالها إلى حيز الدراسات الجامعية العليا، بعد أن حاول الكثير من معارضي نظرية الأدب الإسلامي عزلها عن مجالات النقد الأدبي المؤثرة والفاعلة في العديد من المجلات الأدبية، أو المنابر المتاحة في الأمسيات الشعرية، والملتقيات الأدبية، التي يسيطر عليها بعض الحداثيين أو العلمانيين .. ولقد عانينا منها الكثير والكثير .. ولعلي لا أذيع سراً .. إذا قلت: إن أحد الزملاء الكرام، من مناقشي رسالة (التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم) قد عارض مصطلح (الأدب الإسلامي) معارضة شديدة، وهاجم الداعين إلى الأدب الإسلامي، ولقد تصدى له المشرف على هذه الرسالة (كاتب هذه السطور) وكان مما قلته في هذا الصدد:



بقلم: د. سعد دعبيس
مصر

" لقد سمحنا في عالمنا العربي الإسلامي بوجود (أدب اشتراكي) يتبنى فلسفة الواقعية الاشتراكية (وأدب وجودي) يصدر عن الفلسفة الوجودية، وكان الشاعر العربي المصري والفيلسوف الدكتور عبد الرحمن بدوي هو أبرز الرواد الأوائل الذين تحمسوا لربط الشعر العربي المعاصر بالفكر الوجودي، ونادى بذلك في كتابه

(الإنسانية والوجودية في الفكر العربي) وفي مقدمة ديوانه " مرآة نفسي"[٢] ..!

فلماذا فقط نَحْظُر على الأديب العربي المُسْلِم في وطنه العربي المسلم أن يصدر عن فكر عربي مسلم ؟ .. ثم إن ارتباط الأدب بالدين ارتباط وثيق منذ أقدم العصور .. منذ أقدم عهود الحضارة الإنسانية .. منذ الأدب الإغريقي القديم، وصراع آلهته الوثنية في (الإلياذة) و (الأوديسا) ومسرح (أسخيلوس) و(يوريبيدس) و (سوفوكليس) [٣] .. وهذا الأدب الإغريقي القديم يمثل الدعائم الأساسية التي قام عليها الأدب الغربي منذ عصر النهضة حتى اليوم [٤] كما تصدى لهذا الزميل المعارض، بعض زملاء آخرين .. عقب انتهاء مناقشة هذه الرسالة التي حصلت على تقدير (ممتاز)..!

لقد أردت فقط بالحديث عن معارضة هذا الزميل الكريم لمصطلح الأدب الإسلامي أن أوضح أننا في مسيس الحاجة إلى العديد من هذه الرسائل الجامعية التي يمكن أن تسهم في فك الحصار عن هذا الأدب الإسلامي، وتقديم الصورة المشرقة منه إلى طلاب الجامعات العربية المحاصرين الآن بمزاعم الحداثة والبنيوية والتفكيكية، وما يسمى بقصيدة النثر، والمحاصرين أيضاً بالتيارات التغريبية في التعليم والثقافة، ثم .. بمحاولات " عولمة " الاقتصاد والثقافة .. أيضاً ..!

ولو نجحنا في تقديم عديد من الرسائل الجامعية – على غرار رسالة هذه الباحثة (التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم) .. فربما نكون قد أسهمنا – إلى حد ما – في تمهيد الطريق لأسلمة جانب كبير من الدراسات الإنسانية في جامعاتنا العربية .. ثم أسلمة مناهج البحث الأدبي في أوساط المثقفين أيضاً ..!

وقد استهلت الباحثة دراستها في هذه الرسالة ببيان العوامل التي وجهتها إلى دراسة التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم، والصعوبات التي اعترضتها في مستهل بحثها عن شعره فقالت: [٥]

" وقد تعجبت في البداية حينما لم أجد حوله دراسات عديدة مثلما أجد لأحمد شوقي، أو لحافظ إبراهيم – مثلاً – وقد زال تعجبي بعد معرفتي أن أحد أهم الأسباب التي أدت إلى ذلك هو: صعوبة الحصول



على آثار (أحمد محرم) الشعرية ؛ فديوانه الأول صدر عام ١٩٠٨م، ولم يتم طبعه مرة ثانية، وديوانه الثاني صدر عام ١٩٢٠م، وهذا أيضاً لم يطبع مرة ثانية، وعلى الرغم من ذلك فإن الحصول على هذين الديوانين من الصعوبة بمكان ؛ لأنهما لا وجود لهما في المكتبات العامة، حتى ديوان (مجد الإسلام) قد وجدته في إحدى المكتبات مصادفة، أما باقي شعر (أحمد محرم) وهو أضعاف ذلك فهو مخطوطات وقصائد متناثرة في الصحف والمجلات التي عاصرها الشاعر..!" وتستطرد الباحثة في توضيح المصاعب التي صادفتها في سبيل الحصول على مخطوطات قصائد ذلك الشاعر التي لا يعرفها أحد من دارسي شعره، فتقول:

" ولعل أشهر ما عرف عن (أحمد محرم) ديوان (مجد الإسلام) أو (الإلياذة الإسلامية) – كما يقول البعض – ودراسة عنه للدكتور محمد إبراهيم الجيوشي، بعنوان: " شاعر العروبة والإسلام " وهي دراسة رائدة بذل فيها صاحبها جهداً كبيراً، وقد نشرت منذ الستينات، وكنت أتوقع أن تفتح المجال أمام دراسات تالية، ولكن هذا لم يحدث، لأن المشكلة كانت ولازالت قائمة، وهي: صعوبة الحصول على آثار

الشاعر، وعدم إعادة طبع ديوانيه المعروفين باسم الديوان الأول والديوان الثاني، وعدم نشر مخطوطاته الشعرية الأخرى ..! والحقيقة أن هذه المشكلة كانت بالنسبة لي أيضاً من أهم معوقات البحث، ولكن الله عز وجل يسر لي ما كان عسيراً، واستطعت الحصول على كل أشعار (أحمد محرم) تقريباً التي ترنم بها منذ نشأته الأدبية حتى وفاته، مع تأريخ لأكثر من ٩٠٪ من قصائده، حيث هي منشورة في إحدى الدول العربية (الكويت) (٦) .

وقد وجدت هذه الدواوين مطبوعة حديثاً – في الثمانينات – وقام بطبعها ابن الشاعر (أحمد محرم) وهو: (محمود أحمد محرم) في دولة الكويت التي كان يعمل بها إذ ذاك، وكما أوضح ذلك في تقديمه لهذه الدواوين، وقد قسمها على خمسة أجزاء، وهي:

الجزء الأول: ديوان السياسيات، وقد جعله في مجلدين:

الأول: السياسيات من عام ١٨٩٢–١٩١٢م، **والثاني**: السياسيات من عام ١٩٢٢– ١٩٤٥م .

الجزء الثاني: ديوان الاجتماعيات والمراثي ..

الجزء الثالث: ديوان الخواطر والتأملات .

الجزء الرابع: ديوان الإخوانيات والتهاني والمساجلات .

الجزء الخامس: ديوان الطبيعة والوصف والغزل (٧).

ثم نرى الباحثة تتناول في مدخل البحث: مفهوم (الأدب الإسلامي) وهي ترى أن نظرية الأدب الإسلامي التي لا تزال موضع جدل بين مؤيد ومعارض، قد عاشها (أحمد محرم): رؤية للحياة والمجتمع، ورؤية للشعر، تنظيراً وإبداعاً، وأسهم في تأصيلها، بما أنتج من أدب يتسم بالطابع الإسلامي، في إبداع فني رائع، يعتمد على دعائم الشعرية الملهمة المتميزة، الأصيلة المتجددة، فقد كان شاعر الفكر الإسلامي الأول في العالم العربي، وشاعر الإسلام الثاني في القرن العشرين، بعد شاعره الأول (الدكتور إقبال) إذ كان شعره يجمع بين عمق الفكر الإسلامي، وروعة الفن الشعري المتميز، وهكذا اقترن الفكر الإسلامي عنده بالأدوات التشكيلية الفنية الجميلة، يسيران معاً جنباً إلى جنب، في انسجام رائع لا تعارض معه ولا تخاصم ..!

وقد قامت هذه الرسالة على ستة فصول يسبقها مقدمة ومدخل، وتنتهي بخاتمة وملحق بما لم ينشر من شعره، وبما كان منشوراً في الصحف ولم يجمع في ديوان بمصر – من قبل –

أما المقدمة: فقد تناولت الباحثة فيها أهمية موضوع البحث، ومنهجه، وخطته . بينما تناولت في المدخل: دور الشاعر أحمد محرم في التمهيد لنظرية الأدب الإسلامي وتأصيلها . وفي الفصول التالية بدءاً بالفصل الأول، وانتهاءً بالفصل السادس، تناولت المباحث الآتية:–

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في فكر الشاعر وعقيدته، ومدى ارتباطها بشعره .

الفصل الثاني: قضايا الأمة الإسلامية في شعره .

الفصل الثالث: قضايا المجتمع المصري في شعره .

الفصل الرابع: شعره الوطني وأثر الإسلام فيه .

الفصل الخامس: أصالة التيار الإسلامي في شعره .

الفصل السادس: الخصائص الفنية في شعره، وأصداء الإسلام فيها .

وفي ختام البحث تعرضت الباحثة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم قدمت ملحقاً يضم شعر الشاعر الذي لم ينشر بمصر، والذي لم تتناوله الدراسات الأدبية السابقة .!(٨) واكتفت في ذلك بذكر عناوين القصائد ومطالعها وأرقام صفحاتها .

وقد قدمت الباحثة في رسالتها تحليلاً جيداً لعديد من القضايا التي تناولها (أحمد محرم) في شعره، وهي قضايا ترتبط بالفكر الإسلامي والسياسة الوطنية، والقومية، ومشكلات المجتمع، وسنكتفي هنا بإضاءة موقفه من ثلاث قضايا على جانب كبير من الأهمية الا وهي:

الدفاع عن الإسلام ضد أباطيل أعدائه ومفترياتهم

وفي ذلك تقول الباحثة(٩):

" وقد درج كثير من الساسة الغربيين، وكثير من المستشرقين أيضاً على التهجم على الإسلام والطعن في مبادئه، والزراية بالمسلمين وبمدنيتهم، من أمثال (فولتير) و (لامنسي) و(هانوتو) و(برتران) و (داركور) و (كرومر) و (مرجليوث) و(رينان) وغيرهم ..!

وسنكتفي لتوضيح ذلك بمثالين هما: (اللورد كرومر) و(هانتون) ..، أما (كرومر) فقد صور الإسلام ديناً رجعياً، لا يصلح أن يقوم على أساسه نظام اجتماعي راق، وأنه عبارة عن مبادئ وضعت من ألف سنة هدياً

لهيئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة، وهذه المبادئ منها ما يجيز الرق، ومنها ما تضمن أمراً أهم من هذا كله، وهو: إفراغ القوانين المدنية والجنائية في قالب واحد، وهذا ما أوقف تقدم البلاد الإسلامية التي دان أهلها بالإسلام [١٠] .

ويصرخ (أحمد محرم في قصيدة من قصائده في وجه (كرومر) ساخراً منه:

رويدك .. أيها الجبار فينا
فإن الراي..الا تزدرينا
رويدك .. أيها القاضي علينا
قضاء الظالمين الناقمينا..!
زعمت الحكم .. حكمك في كتاب
كذبت به الخلائق اجمعينا ..!
وما غفلوا عن الأحقاد تغلي
مراجلها وما جهلوا اليقينا ..!
نفثت سمومها .. إذ ضاق عنها
فؤادك والقلوب تضيق حينا[١١]

الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية

كانت الخلافة الإسلامية هي الرابطة الروحية والسياسية والاقتصادية التي تربط المسلمين في شتى بقاع الأرض، وقد ذهب السلف إلى أن منزلة الخليفة من الأمة منزلة رسول الله من المؤمنين له عليهم الولاية العامة، والطاعة التامة، وله حق القيام على دينهم، فيقيم فيهم حدوده، وينفذ شرائعه، وله حق القيام على شؤون دنياهم أيضاً، فهو الحاكم الزمني، وهو الحاكم الروحي، وقد تنقلت الخلافة -كما هو معروف - بين عواصم عربية، إلى أن استقرت في الآستانة .. وظلت بها حتى تم إلغاؤها [١٥] .

ولم يكن أحد من المسلمين أو المسيحيين يتصور البلاد العربية، أو البلاد الإسلامية بلا خلافة لدرجة أن أحد المسيحيين، ويدعى (نجيب عازوري) قد سافر إلى فرنسا، ودعا إلى انفصال الولايات العربية عن الدولة العثمانية، على أن تكون الحجاز مقر الخلافة الإسلامية العربية، وتكون الولايات العربية دولة عربية موحدة[١٦] .

ولعل أبرز المعاني التي صورها (أحمد محرم) في قصائده عن الخلافة الإسلامية العثمانية، تتجلى في تلك اللوحات التصويرية التي استلهمها من عاطفته الدينية الفياضة، ومن أبرز تلك الصور صور الجهاد الإسلامي في الحروب العثمانية، وقد اعتبر (أحمد محرم) حروب الدولة العثمانية ضد أعدائها، حروباً ذات طابع عقائدي، ونظر إليها على أنها حروب بين الإسلام والصليبية، في الوقت الذي اشتد فيه بالفعل الزحف الأوروبي على المسلمين منذ منتصف القرن التاسع عشر، وتعرض العالم الإسلامي للغزو والحرب والمؤامرات، بهدف تقسيم تركة الرجل العجوز (تركيا) .. لذا فقد استشعر المسلمون الخطر، وكلما ازداد الضغط عليهم، ازدادوا تمسكاً بالخلافة، مع أنها كانت قد آلت إلى درجة من الضعف، بحيث أصبح مجرد رمز روحي .. لا أكثر ؛ فهي لم تمنع ولاياتها من السقوط تحت أقدام المستعمرين، ولم تمنع صدور وعد بلفور لليهود فيما بعد[١٧].

وقد نظر (أحمد محرم) إلى حروب الدولة العثمانية، على أنها جهاد في سبيل الله بين المسلمين وأعدائهم، إن مجاهدي المسلمين فيها ما هم إلا كتائب (خالدية) مجاهدة ترحب بالاستشهاد في سبيل الله:

كتائبُ من اقوامِنا خالديةٌ
وما الحرب إلا (خالد) وكتائبه[١٨]

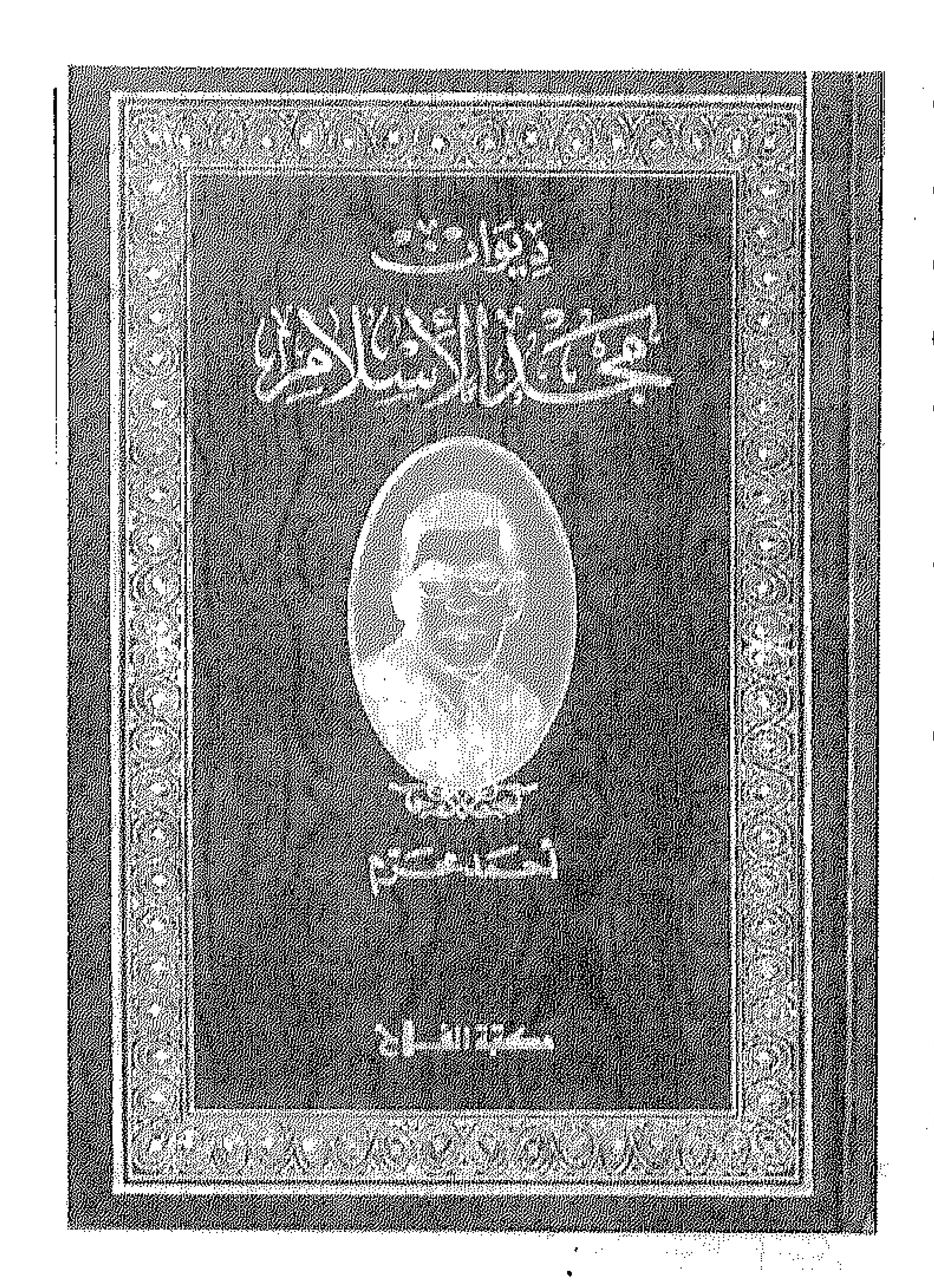
ويحذر (أحمد محرم) في قصائد أخرى إنجلترا، وبقية الدول الأوروبية المتآمرة على الدول الإسلامية، والخلافة الإسلامية العثمانية، وينذرها بأن الخلافة محاطة بعناية الله، فمن يقدر على محاربتها بعد ذلك ؟؟:

الله اكبر جاء الحق وازدلفت
جندٌ ملائكةٌ يعتزُّ غازيها
من ذا يضارعها؟ من ذا يقارعها ؟
من ذا يدافعها ؟ من ذا يناويها؟
خلوا السبيل (بني التاميز) واجتنبوا
أسداً تفر المنايا من ضواريها
دعوا الخلافة إن الله حافظها
وإن بأس(بني عثمان واقيها)[١٩]

قضية فلسطين

ولقد عاصر (أحمد محرم) البدايات الأولى لمأساة الشعب الفلسطيني في العصر الحديث، ورأى فلسطين أرض المقدسات، تغرق في النار والدماء، ويحتلها عدو

إرهابي همجي يدنس كل مقدسات المسلمين، ولا يتورع في ذبح الأطفال والنساء، ورأى (أحمد محرم) أن قضية فلسطين - في جوهرها - قضية دينية إسلامية، وليست قضية سياسية، ومن ثم يقدم لها في شعره رؤية إسلامية، لا رؤية قومية أو وطنية، فهو يرى أن القدس لا تخوض المعركة وحدها، وإنما يشاركها المسلمون في كل مكان لأن قضية فلسطين والقدس والمسجد الأقصى هي قضية المسلمين جميعاً، لا قضية عرب فلسطين وحدهم:



في حمى الحق ومن حول الحرم
أمة تؤذى وشعب يهتضم !
فزع القدس، وضجت مكة
وبكت يثرب من فرط الألم![٢٠].

وفي أكثر من قصيدة نراه يوجه مثل هذه الصرخات الدامية الثائرة إلى إخوته المسلمين في كل مكان، ليهبوا لنجدة إخوانهم من مجاهدي فلسطين، ويحذر المسلمين في كل بقاع الأرض من خذلانهم، فليس بمسلم من خان مسلماً، وفي ذلك يقول[٢١]:

إيه شعوب المسلمين تنبهوا
وتداركوا أسبابكم أن تجذما
الله في إخوانكم وبلادكم
أفما ترون الخطب كيف تهجما؟
حفظوا التراث لكم وصانوا عرضكم
أ فتكرهون لعرضكم أن يسلما؟
لا تخذلوهم والملائك شهدٌ
بالمسجدين كفى بذلك مأثما
إني وفيت لهم ولست بمسلم
إن خنت في دنياي شعباً مسلماً
أتبيت أولى القبلتين حزينة
وأبيت وسنان الجفون منعما ؟

ولعل من أبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الرسالة ؛ كما أوضحت الباحثة في مختتم بحثها:

١- أن شعر (أحمد محرم) قد مهد لنظرية الأدب الإسلامي حيث إنه قد استطاع بمهارة فنية أن يعالج مختلف القضايا بمنظور إسلامي، ومن منطلقات فنية نلمس فيها شاعراً كبيراً متمكناً من معجمه التعبيري وصوره وموسيقاه ؛ ومن ثم فقد دلل على كذب النظرية التي ترى أن هناك تعارضاً بين الإسلام والشعر أو تلك التي ترى أن الأدب والفن يجب ألا يشغلا بأي قضية سوى الإبداع الفني من منطلق أقرب إلى منطلق (نظرية الفن للفن) .

٢- أن الشاعر (أحمد محرم) - على الرغم من تأثره الشديد بالتراث العربي في صياغته، كان معاصراً في تناوله لقضاياه ؛ إذ نجده في شعره يخوض معارك فكرية ضد المستشرقين المحدثين الذين هاجموا الإسلام، أو السياسيين المحدثين أيضاً الذين شاركوا في هذا الهجوم، مثل (اللورد كرومر) ..! كما نراه يتناول في شعره أيضاً بعض قضايا العصر التي كانت مثارة في عصره، كقضية سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا، وغيرها من القضايا ..! .

٣- اكتشف هذا البحث كذلك، ريادة (أحمد محرم) للشعر القصصي مع (مطران) جنباً إلى جنب ..!.

٤- إسهام ذلك الشاعر في محاولات تجديد الشعر العربي الحديث بشعره المتنوع القوافي، والقائم على أشكال فنية عديدة، كالمربعات والمخمسات والمسمطات، وكذلك نظمه في المجزوءات وغيرها ..!

٥- حاول (محرم) التجديد في بعض صوره، وخاصة في تلك الصور التي يبدو فيها توحده مع الطبيعة واندماجه بها، وهذا قد يعكس - إلى حد ما - تأثير مدرسة (أبولو) فيه، حيث كان الشاعر عضواً بجماعة (أبولو) وصديقاً لرائدها الدكتور أحمد زكي أبو شادي، وقد كتب (أحمد محرم) دراسة نقدية عن شعر أبي شادي بعنوان: (شعر أحمد زكي أبي شادي - في ديوان الشعلة -)

٦- كشفت هذه الدراسة كذلك عن محاولة الشاعر التجديدية غير المسبوقة، والممثلة في نظم ملحمة – أو – إليـاذة إسـلاميـة .. بمعنى أنها ذات طابع إسلامي وتفرد فكري يجعلها ذات طابع خاص مختلف كثيراً عن الطابع الفكري والفني لملحمة (هوميروس) (الإلياذة) بطابعها الوثني الأسطوري الإغريقي..!

٧- كما كشفت هذه الدراسة عن طاقة شعرية عالية تبدو في مطولات الشاعر مثل مطولته التي بعنوان (النصر المبين في الأناضول) التي يزيد عدد أبياتها عن خمسمئة وخمسين بيتاً .

٨- ولعل من أهم النتائج اكتشاف هذه الباحثة لعشرات بل مئات من قصائد الشاعر التي لا يعرفها الدارسون و الباحثون الذين تناولوا شعر (أحمد محرم) والتي تقدمها هذه الرسالة لأول مرة في الملحق الذي يقع في ختام هذه الرسالة . !

٩- حاولت هذه الرسالة أن تقدم إضاءة فكرية وفنية لأهم القضايا السياسية والاجتماعية والعقائدية التي كانت تشغل المجتمع العربي والإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين، من خلال رؤية شاعر إسلامي كبير .

١٠- حاولت هذه الدراسة أيضاً أن تسد نقصاً كبيراً في مجال الدراسات النقدية التي تعرضت لدراسة شعر أحمد محرم .

وقد اقترحت صاحبة البحث أن تقوم وزارة الإعلام بإخراج (الإلياذة) أو الملحمة الإسلامية التي قدمها في ديوانه (مجد الإسلام) في عمل فني (سينمائي) أو مسلسل إذاعي وتلفزيوني، ويقدم لطلاب الجامعات، وللمثقف المسلم في كل مكان أيضاً، كنموذج للأدب العربي الحديث المنطلق من رؤية إسلامية، وشاعرية متميزة ..!

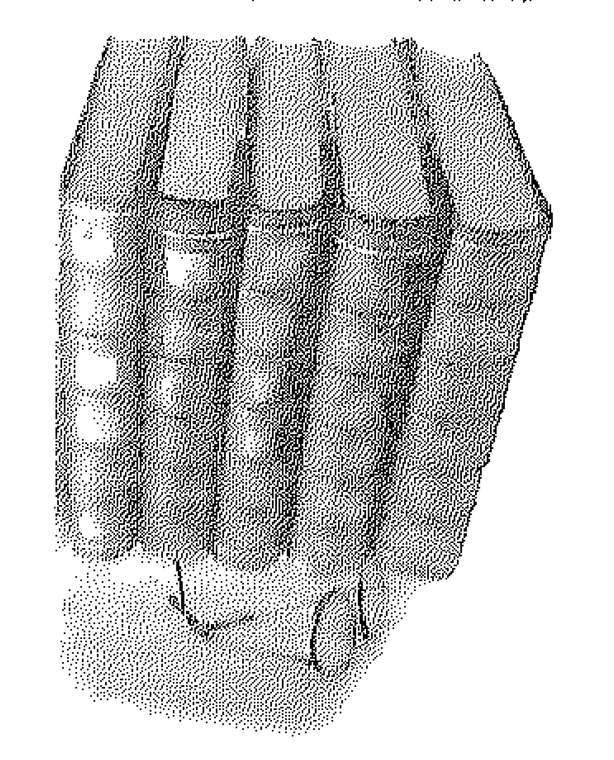
ويحسن أن نختم عرضنا لهذه الرسالة بتلك الأسطر التي اختتمت بها الباحثة رسالتها: (وبعد فهذا هو (أحمد محرم) أحد أعلام الشعر العربي في العصر الحديث، الشاعر الذي تألق في آفاق الشعر العربي الحديث، مدافعاً عن الإسلام، مهاجماً للاستعمار الغربي، ومؤامرات المستشرقين وورثة الحملات الصليبية مدافعاً عن القيم الأخلاقية، مجدداً في موسيقاه، وفي شعره القصصي، ومحاولاته الملحمية ..!

وإذا كان (إقبال) يعتبر شاعر الإسلام الأول، فإن أحمد محرم هو: شاعر الإسلام الثاني بلا منازع – في عالمنا العربي الحديث –

رحمه الله، شاعراً، ومناضلاً، وثائراً، والله أسأل أن يكون هذا البحث، إضافة جديدة، وقطرات ضوء، تبدد الظلام الذي حاول أن يحاصر الشاعر (أحمد محرم) لإخلاصه لعقيدته وقضايا أمته الإسلامية، وربما يحاول مستقبلاً أن يحاصر شعراء آخرين ممن أرجو وآمل أن يسيروا على دربه، وينهلوا من تراثه وقيمه ومبادئه ■

الهوامش:

(١) انظر مقالاً بالملحق الأدبي لجريدة الأهرام بعنوان: (التيار الإسلامي في شعر أحمد محرم) للكاتبة ماجدة فرشي – الأهرام – ملحق الجمعة – ١٦ مارس ٢٠٠١م.
(٢) انظر (تيارات رافضة للمجتمع في الشعر العربي الحديث – في مصر–) د. سعد دعبيس – ص ١١٤ وما بعدها – وانظر: كتابه أيضاً (الإنسانية والوجودية في الفكر العربي) ص ٦٩– ٩٥– ٩٦ .
(٣) انظر (تاريخ الأدب اليوناني) – للدكتور محمد صقر خفاجة – ص١٣ وما بعدها – وانظر (دراسات في النقد اليوناني القديم) د. سعد دعبيس، ص٢٧ وما بعدها
(٤) انظر: مدى تأثير المسرح الكلاسيكي الأوروبي بالمسرح الإغريقي القديم في: (المدخل إلى النقد الأدبي الحديث) ص ٧٢ وما بعدها – وانظر: المسرح العالمي من إسخيليوس إلى أرثرميلر (تأليف الدكتور لويس عوض) – ص٣١وما بعدها .
(٥) مقدمة الرسالة ص ١ وما بعدها .
(٦) المقدمة – ص٢ .
(٧) المرجع السابق – ص ٣ .
(٨) المرجع نفسه من ص٣ إلى ص٧ .
(٩) ص ٤٠ وما بعدها من الرسالة .
(١٠) المرجع السابق نقلاً عن جريدة المؤيد في – العدد ٥١٤٨ .
(١١) ديوان السياسيات لأحمد محرم – ص١٣٦ .
(١٢) الرسالة ص٤١ نقلاً عن (الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ) د. نبيل سليمان طنبوشة ص ٥٣ .
(١٣) ديوان السياسيات / ج١ / ص٥٣(١٣) .
(١٤) المرجع نفسه ص ٥٤ .
(١٥) غروب شمس الخلافة – د. علي حسن الخربوطلي – نقلاً عن الرسالة ص ٤٦ .
(١٦) المرجع السابق ص٤٧ .
(١٧) المرجع السابق– ص ٤٩ .
(١٨) ديوان السياسيات – ج١ .
(١٩) المرجع السابق ص ٦٤ .
(٢٠) المرجع السابق ج١–ج٢ – ص ٧٤٠ .
(٢١) المرجع نفسه ص ٨٤٥ .



اسم الكتاب : علاقة الأدب بشخصية الأمة
تأليف: د. عبد الرحمن صالح العشماوي
الناشر: مكتبة العبيكان
عدد الصفحات : ١٥٧
عرض: محمد عبد القادر الشواف

إن للأدب الإسلامي رسالته العظيمة في بناء شخصية الأمة وإرشاد أجيالها إلى الطيب من القول ، والنزيه من المعاني والأفكار والمشرق من الصور الفنية ؛ فهو العلاج الذي يعالج انحرافات أدباء المجون والخلاعة والإلحاد، ولذلك يجب أن تتميز شخصية الأمة بصورة مشرقة منسجمة مع عقيدتها وفكرها ، فالأدب الإسلامي ينبثق منهما ، ويستمد إشعاعه من نورهما الساطع ، ويكون الأدب إسلامياً حين يستضيء بهذا النور الرباني ، ويكون بناءً نافعا حين يعتمد على القاعدة الإسلامية الصلبة التي تعتمد عليها شخصيته .

ومن هنا تبرز أهمية هذا الكتاب الذي يناقش علاقة الأدب بشخصية الأمة في وقت انحرف فيه مسار الآداب العالمية عن الرسالة الحقيقية للأدب المنسجمة مع فطرة الإنسان السليمة ، فكان لزاماً على كل أديب مسلم غيور أن يصحح المسار لإنقاذ البشرية بإذن الله .

دفع المؤلف إلى وضع هذا الكتاب أمران :

أولاً : ما يراه من تيارات أدبية معاصرة جمع معظمها في سلة الحداثة ، وتسعى للقطيعة مع الدين والتراث ، وترى - بكل أسف - أن التقدم الحضاري مرهون بتحقيق هذا الانقطاع .

ثانياً: أهمية طرح المنهج الإسلامي في الأدب طرحاً علمياً موثقاً يبرز من خلاله الاتصال الوثيق بين شخصية الأمة الإسلامية والأدب الحي الذي يعبر عن هذه الشخصية

وضح المؤلف في الفصل الأول معنى شخصية الأمة الإسلامية وحدد معالمها كما وقف مع مفهوم الأدب بصورة عامة ووصل إلى أن الأدب وثيق الصلة بشخصية الأمة ووجدانها ومشاعرها .

كما ناقش المؤلف موقف الإسلام من الأدب مستشهداً بنصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح وخلص إلى أن الإسلام أعطى الأدب جانباً من الاهتمام بدليل ما ورد في شأن الشعراء من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، واستنتج المؤلف أن الأدب صنفان : أدب مقبول ممدوح ، وآخر مرفوض ، فمن سار على المنهج الذي رسمه الإسلام فقد سلك طريق الرشد . وقرر المؤلف أن لا بد من إبراز ملامح المنهج الأدبي الإسلامي الذي يجعل من الأدب وسيلة بناء لا وسيلة هدم .

ووقف المؤلف - في الفصل الثاني - على تعريفات الأدب الإسلامي واختار تعريف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله - الذي يرى أنه : (التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته) . وانطلق المؤلف من خلال التعريف إلى تقرير مصطلح الأدب الإسلامي ورأى أنه يقوم على قاعدة راسخة من التصور الإسلامي الصافي للكون والحياة والإنسان ، ويتضمن رؤية شاملة تمكن الأديب المسلم من تأمل ما يجري في هذا الوجود بصفاء كامل . كما أن هذا التصور لا يتأتى للنفوس والعقول المريضة التي فتحت أبوابها لجراثيم الأفكار والتصورات المنحرفة عن منهج الإسلام . كما حض المؤلف أصحاب المصطلح أن تتسع صدورهم لما يوجه إليهم من نقد .

يبدي المؤلف عجبه من بعض الأدباء الذين يعترضون على مصطلح الأدب الإسلامي ، وضرب مثلاً بأحدهم عندما تساءل : كيف نعبر عن الوردة الجميلة والمنظر الخلاب ؟ ويرد المؤلف مستغرباً من هذا الفهم الناقص لمصطلح الأدب الإسلامي ويدعو المؤلف أمثال هؤلاء إلى فهم حقيقة الأدب الإسلامي ليكتشفوا أن التأمل الواعي والشمولية في النظرة من أهم سمات المنهج الإسلامي .

شبهات حول الأدب الإسلامي :

يتوقف المؤلف عند شبهات حول الأدب الإسلامي ويرد عليها ، وأهمها :

١- الأدب الإسلامي والأدب العربي .
٢ - الأدب الإسلامي والإبداع الفني
٣ - تكفير الأديب المسلم
٤- البدعة في مصطلح الأدب الإسلامي .

ويقوم المؤلف بتفنيد هذه الشبهات وغيرها مبطلاً زيفها وموضحاً الرأي السديد فيها مع الأدلة المقنعة بأسلوب جذاب .

ثم يتناول المؤلف موضوع التجربة الشعورية، ويرى أن انعكاس الحياة في النفس هو التجربة الشعورية التي تنشأ من خلال تفاعل صاحبها مع ما يدور حوله من الأحداث . ويرى المؤلف أن لكل فنان صادق

موقفا من الكون والحياة تحدده طريقة تفاعله مع ما يجري حوله .

وينبه المؤلف إلى الخطأ الجسيم الذي وقعت فيه بعض المدارس النقدية المعاصرة مثل : البنيوية التي تحكم بموت المؤلف وزحزحته عن نصه ، وانقطاع النص بكاتبه ، ويرى أن هذا الخطأ كبير في مجال الأدب لأنه يكسر السياق التاريخي وينقل النص من منظومة فكرية سابقة عليه إلى منظومة لغوية مستقلة عن قائلها وعن تاريخها .

فصل الدين عن الأدب :

يرى المؤلف أن الدعوة إلى فصل الدين عن الأدب سببها ضعف الالتزام بمبادئ الإسلام ويوضح الفرق بين الشاعرية والانحراف ، وأن سوء الاعتقاد لا ينفي فنية الأدب كما يرى النقاد المعتدلون لكن المؤلف يرى : أن للرداءة في معنى القصيدة تأثيرها على الحكم العام على النص الأدبي قبولاً أو رفضاً ، ويرى أن القصيدة الجيدة فناً المنحرفة معنىً كخضراء الدمن ، فهي حسناء شكلاً لكن منبتها سيئ . وليس معنى التحذير من النص الأدبي الهابط أو المنحرف إنكار لما فيه من جودة فنية .

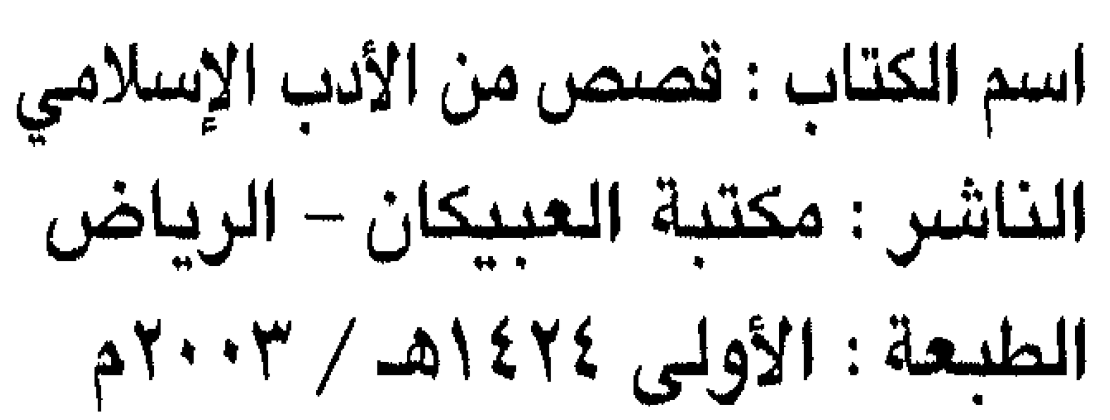
حرية الأديب :

يرى المؤلف أن للأديب مساحة من الحرية يمكن أن ينطلق فيها بجواد إبداعه وفنه ما لم يخالف المنهج الإسلامي الصحيح ويصادم الفطرة السليمة .

دعوة لأصحاب المواهب :

يوجه المؤلف دعوة صادقة لأصحاب المواهب بأن يتوجهوا إلى ساحة الأدب الإسلامي الفسيحة ، فهي تشتاق إلى وقع حوافر خيول الشعر الأصيل والأدب الرفيع ، كما حض أصحاب المواهب على أن يكون لهم دور بارز في بناء شخصية الأمة الإسلامية .

والحق أن الكتاب مهم في بابه ويحتاج كل أديب وشاعر يود أن يضبط شخصيته بضوابط منهج الأدب الإسلامي ، ويتسلح بالحجة القوية للوقوف في وجه التيارات الأدبية المعادية ، ويكون قادراً على دحض الشبهات والافتراءات التي تثار حول الأدب الإسلامي . ■



اسم الكتاب : قصص من الأدب الإسلامي

الناشر : مكتبة العبيكان - الرياض

الطبعة : الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

تتضمن هذه المجموعة القصصية إحدى عشرة قصة قصيرة ، لأحد عشر أديباً . وقد فازت هذه القصص بجوائز مسابقة القصة القصيرة التي أجرتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وذلك في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة في القصة والرواية.

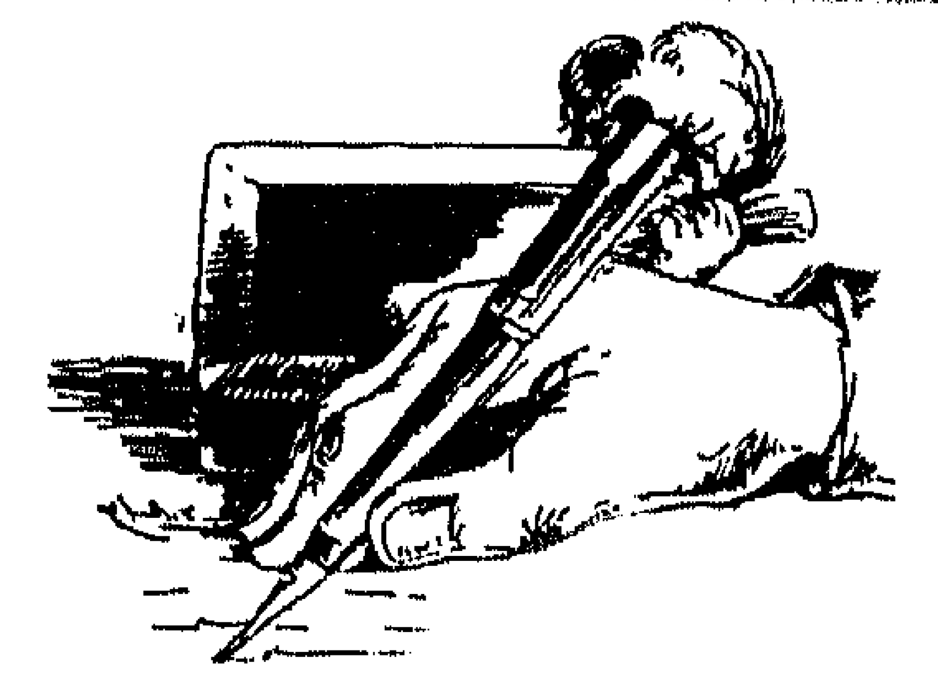
وكتب مقدمة المجموعة الكاتب والناقد الإسلامي الكبير د. محمد مصطفى هدارة -رحمه الله- وجاء فيها : (وقد أعطت المسابقة للكتاب الفرصة للتعبير عن قيم إسلامية كثيرة ، وكان المطلوب وضعها في الإطار القصصي الجيد الذي يستطيع أن يوصل هذه القيم إلى المتلقي. وقال أيضاً : (ولعل تجربة ممارسة كتابة القصة في إطار مفهوم الأدب الإسلامي قد أثبتت أن إيصال المضامين الإسلامية السامية بشكل قوي إلى القراء لا يتم إلا من خلال شكل فني جيد قادر على التجسيد ، وإن المباشرة والخطابية التي يتحلى أصحابها بحسن النية عادةً ، لا تصنع أدباً قوياً) . وبرغم فوز هذه القصص في المسابقة فقد تباينت مستوياتها الفنية.

وقد جاءت القصص الإحدى عشرة معبرة عن مضامين مشتركة بين كتابها دونما سابق اتفاق . ومنها محور القضية الفلسطينية التي كتب فيها:

- محمود مفلح في قصته : عندما يتذكر الشيخ . - وعمار حسن علي في قصته : رباعية الكفاح . - وحسن حجاب الحازمي في قصته : الموت عند الظهيرة . - وإبراهيم حسن مصطفى في قصته أحبك يا سمراء. - ونعمت أحمد الحجي في قصتها : أول البعث.

ومعظم هذه القصص عبرت بشكل صريح عن معالجة القضية الفلسطينية التي تعد قضية العالم العربي والعالم الإسلامي كما عبرت قصة الموت في الظهيرة عن قضية العالم الإسلامي مجملاً بشكل رمزي إلى حد كبير . ويمكننا أن نصنف في المحور الاجتماعي المبني على خلفية فكرية كلاً من قصتي : الزلزال لأحمد محمود مبارك ، وداعاً أجمل الأمهات لخالد الحروب ، حيث عالجتا وضع الالتزام الإسلامي للمرأة وتأثرها بالحضارة الغربية والأفكار التي تروجها للتحلل من السلوك الإسلامي الملتزم .

وتلتقي بهاتين القصتين في جانب الاحتكاك بالحضارة العربية والتأثر بها كل من قصة الشيطان شاطر لأحمد فراج ، وقصة رحلة إلى الفردوس للمياء حسن حجازي . في حين كانت العودة إلى التاريخ الإسلامي الأول ، واستلهام المعاني السامية منه محور قصة رجل من الزمن الجميل لفاروق حسان السيد ، ورحلة في طريق النور لدرويش الزفتاوي ، حيث قدم كل منهما حزمة إضاءة قوية من الماضي لإنارة الواقع المظلم الذي انساقت إليه الأمة الإسلامية في العصر الحديث ، وقد جاء الكتاب في ١٣٣ صفحة من القطع الصغير . ■



قراءة في بريد "الأقلام الواعدة"

إشراف: د. حسين علي محمد

ثلاثة نصوص من الأدب الإسلامي

جاءتنا من موقع (لها أون لاين) ثلاثة نصوص شعرية فازت في مسابقة الموقع ،وهي تكشف عن وجوه أدبية تعبر عن قلب هذه الأمة الذي لا يشيخ، والذي يرينا مبدعين منتمين لهذه الأمة وعقيدتها، والذين سيُكسبون الأدب الإسلامي زخماً جديداً، بقدرتهم على التعبير الملتزم مع الحفاظ على جماليات النص الأدبي، وخصائصه الفنية المميزة.

* في قصيدة "احتارت في القلب الدمعة" - التي فازت بالجائزة الأولى - لمنال أحمد درويش نرى تأملاً عميقاً، فمن المقطع الأول نرى أن الدمعة "حارت في القلب"، وليست "في العين" وهذا يكشف لنا عن الحيرة الكبيرة - والأصيلة - التي أصابت الشاعرة لما تراه وتكابده، من رؤى تجعل الدموع حائرة في القلب! لكن حيرتها لا تجعلها تعمى عن رؤية - أو البحث عن - الزمن الآتي.

ومصاحباتها اللغوية تكشف عن استرفاد للتجارب الإبداعية المعاصرة (وبخاصة رواد القصيدة الرومانسية ورواد قصيدة التفعيلة) فنرى أنشودة المطر التي تذكرنا بالسياب، ونرى عوالم الرومانسيين المتمثلة في شمعات الفجر، والحلم الخادع، ومصافحة الزيف ... إلخ. كما نرى الشاعرة مُطاردة بالنزعة الكلاسيكية العقلية، وتعابيرها التقريرية المجلجلة (التي تهبط عليها أو بنصها مثل ما لاحظناه في نهاية المقطع الثاني:

أنفاسي ضاق بها صدري
وكأن اللحظة إعدامي
وأنا يا قلب مدينتنا
شامخةٌ مثل الأهرام..!!

وليت هذا المقطع جاء في آخر القصيدة مبشراً بالنصر على كل ما يقابل الشاعرة من إحباطات.

* وفي قصيدة "خدعوها" - وهي قصيدة وصفية انتقادية - نرى موسى محمد الزهراني يتحدث عما يُكاد للمرأة المسلمة (الأم والأخت والزوجة والابنة)، وما يراد لها من انسياق وراء شياطين الإنس الذين يُزينون لها الرذيلة.

ورغم أن القصيدة كلاسيكية النسيج، إلا أننا نرجو أن يستثمر اقتحاماته الجمالية - وهي قليلة في النص - في ثنايا نصوصه المُقبلة (مثل قوله في البيت الثالث عشر "وأناخوا مطيهم فوق جُرح"، فهي صورة جديدة لم تُستهلك في تداعيه الحر وراء المخيالٌ في القصيدة الكلاسيكية، وكان من الممكن أن يستمر في قصيدته ليُنشدنا مائة بيت أخرى.

وبهذه المناسبة - أقصد الإشارة إلى التداعي الحر في نصه - كنتُ أتمنى لو توقف الشاعر بعد البيت الخامس والعشرين. ورغم ما أشرنا إليه، فإن قصيدة "خدعوها" تكشف عن مقدرة شعرية متفوقة لا شك فيها، لكن الشاعر سيبددها إذا استمرّ في درب التعبير "عن" لا "التعبير ب". ولعله بعد فوز هذه القصيدة يقف ليُراجع تجربته الشعرية الإبداعية، التي أرى أنه إذا أحسن استثمارها، ولم يبددها، سيكون أحد شعراء العربية الكبار في عصرنا، والله موفقه.

* وفي قصيدة "متى نعود" يتذكّر طارق شوقي زوجته وقد هددته بترك البيت، ربما لغضب عارض أو عدم توافق طارئ، فيستدعي تلك الأوقات الجميلة التي نعم فيها بدفء السعادة الزوجية حيث "سحر الليالي"، وحيث يضيئان معاً "شموع الأماني" التي تُهدَّد - من هذا الرحيل المُفاجئ بالانطفاء.

ويستثير فيها - أو يذكرها بكل ما - قاله فيها من قبل، فهي نورٌ عظيم البريق، عظيم البهاء، عظيم القرار.

وكأنه يؤكّد فيها أنها تنحاز للخير، عظيمة في قرارها (في روحها، أو ما تتخذه من قرارات) .. فهل تقرر أن ترحل وتتركه؟!

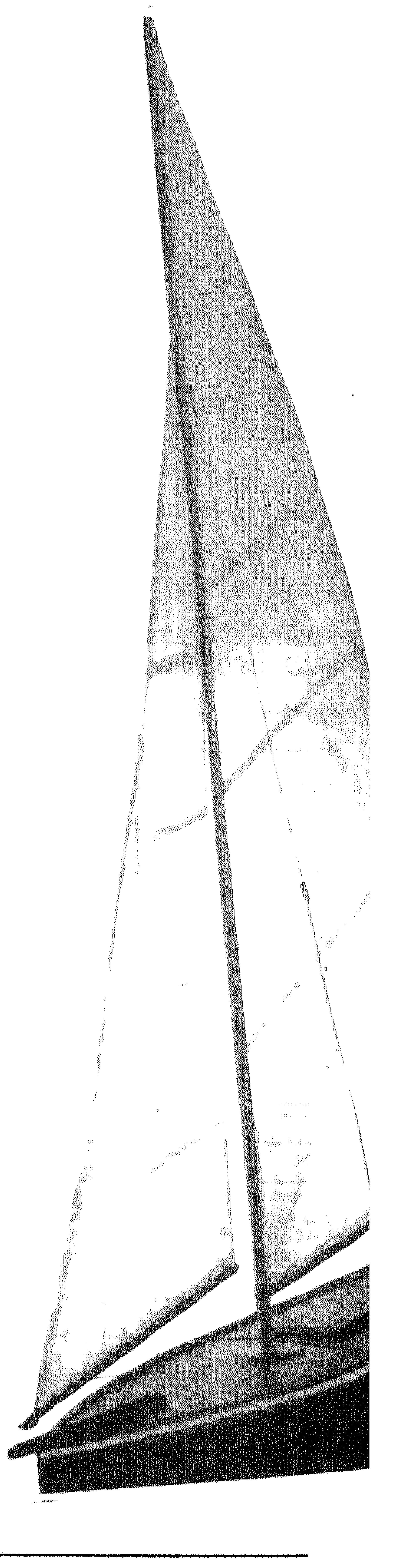
إنه بتصويره تلك المفردات من حياتهما الماضية، يريد أن يصحو الحنان القديم عندها، فتعود إليه ليُكملا درب مسيرتهما، فهل تتركه وترحل، وجُرحه عميق وليله انتظار.

في القصيدة نفس رومانسي، مبعثه الصدق الوجداني للحظة الفراق التي يخافها الشاعر، ومن تجلياتها تكرار تعبيرات الرومانسيين حيث نجوم السماء تغني، وحبيبته - أو زوجته - هي الطهر والفجر والشعر، وهي الضياء وعشب الحنان، إلخ.

ولعل الشاعر في قصائده المقبلة يقترب قليلاً أو كثيراً - من قضايا الواقع، ويُصورها لنا في شعره المحلق الجميل. ■

احتارت في القلب الدمعة*

منال أحمد درويش - مصر

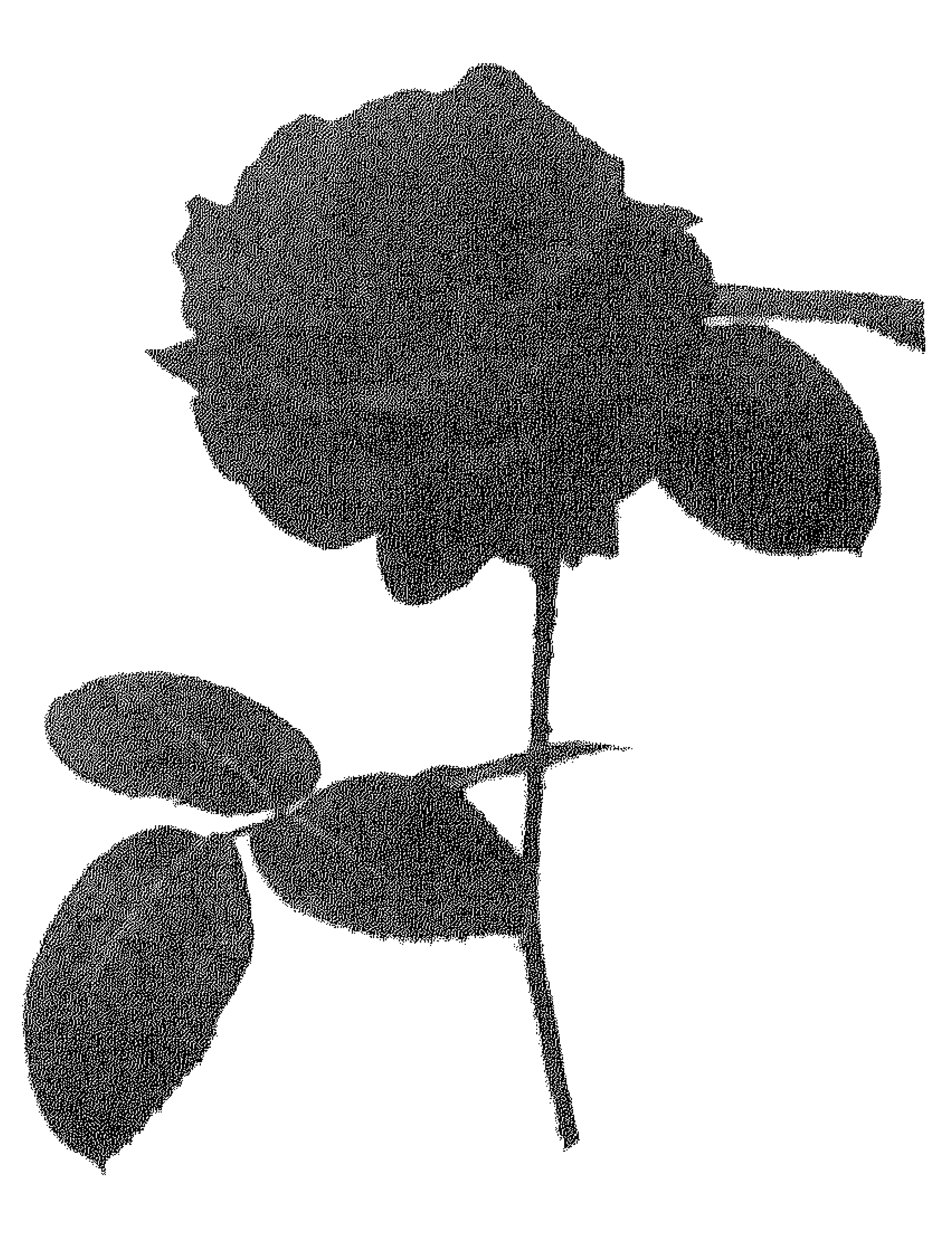


احتارت في القلب الدمعة ... تيه قد حل بمرساتي
انطفأت شمعات الفجر ... واستعذب قلبي أناتي
فغدوتُ كأنشودةِ مطرٍ ... تبحث في نبض الأمواتِ
عن وهمٍ عن حلمٍ خادع ... يسخر من حمق العبراتِ
احتارت والحيرة تمضي ... أسئلةٌ تبحث عن ذاتي
تتلاشى حين تساورني ... أشواقٌ للزمن الآتي
يتبعها سكين الشجنِ ... مغروسٌ في نبض حياتي
بحنينٍ أصطنع البسمة ... وأصافح زيف الهمساتِ
فأعود تراودني الذكرى ... تتراقص فوق الأناتِ
وأُخَلِدُ أنشودةَ زيفٍ ... تسكبُنى فوق الورقاتِ
وسفينة قلبي مشرعةً ... تتلاشى في وهنٍ دام
يتساقط صاريها عمداً ... وتباعاً تسقط أحلامي
تتكسر كالموج هشيماً ... تبكيه دموع الأقلامِ
مرثيَّة عشقٍ أسكبها ... أم وطنٍ كبَّل إقدامي؟!
يتهاوى حين تداعبني ... حالات اليأس المتعامي
تيار الخوف يساومني ... وأنا في نزق الأوهام
أغترف الآهة في كأسٍ ... قد نفدت منه أحلامي
أنفاسي ضاق بها صدري ... وكأن اللحظة إعدامي
وأنا يا قلب مدينتنا ... شامخةٌ مثل الأهرام..!!
احتارت في القلب الدمعة ... والقلب طبيباً أشقاني
أغرقني في ظلمة ليلٍ ... وتوارى يحرق بستاني
قد قال بأني أسكنه ... فأذوبُ بجمر التحنانِ
مسكينٌ من يشكو سقماً ... لغريبٍ ضيَّع عنواني
احتارت في القلب الدمعة ... والصمت رماد الأحزانِ
يتوارى في زهدِ الكلمة ... يتمنَّى رحمة نسيانِ

* القصيدة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة الشعر في موقع لها أون لاين

خدعوها!!*

موسى محمد الزهراني
السعودية



خدعوها بسفسطات الهُراء ... أوردوها موارد الأغبياء

أغرقوها في لجَّة الوهم مكراً ... أوهموها بقمَّة الكبرياء

داعبوا عقلهَا الضعيفَ بكيدٍ ... جاهليٍ أعمى الرؤى والرّواء

جردوها من الحياء وقالوا ... أنتِ أبهى من السنى والسناء

أسكنوها حظيرة الزور قالوا ... أنتِ يا كوكباً بجوِّ السماء

أنت بدر الدُّجى فلا تحجبيه ... بقَتام يُزري بنور البهاء

اكشفي وجهَك الجميلَ وغنِّي ... إنما السَّعْدُ في ليالي الغناء

والبسي ما حلا وطاب من اللُّبـ ... ـسِ ولا تسمعي لدعوى الغباء

وارسمي لوحةً من الحُبِّ تبدو ... شادياتٍ بها طيورُ الحُداء

داعبي الكون نشوةً وتخطي ... حاجزَ الصمت وانشدي للضياء

خدعوها .. ولم تزل في سباتٍ ... أعجمي أحلامُه كالهواء

خدعوها بالفن قالوا سموٌّ ... جهلوا أنّه سمومُ البغاء

وأناخوا مطيَّهم فوق جرح ... ليس يرجى له قريبُ الشفاء

اسألوهم عنها إذا زارها الشيـ ... ـبُ وصارت في حالةٍ شوهاء

هل يمدون نحوها كفَّ عطفٍ ... أم يدوسونهنَّ تحت الحذاء!

خدعوها .. ولم يكن ذاتَ يوم ... همُّهم دينَها وبذْلَ النقاء

هم يريدونها خواءً من الدينْ ... فأين الجمالُ بعد الخواءِ

لم يكن همُّهم سوى جلب عُهرٍ ... فاضح في الليالي الحمراء

لم يكن همُّهم سوى صفع وجهٍ ... عربيٍ يحيا حياة الحياء

مسلم يبتغي لها كل خيرٍ ... ويُداريَّ عنها دعاة الدهاء

لم يكنْ همُّهم سوى بعثِ جيلٍ ... نسلُه من براثن الفحشاء

أختَنا يامنارة العزِّ أنتِ ... أنتِ كالطَّود في شموخ الإباء

أنت رمزُ العفاف رمزُ النقاء ... أنت أختُ الصحابة الأتقياء

أنتِ بدرٌ والسافرات ظلامٌ ... أنتِ أمُّ البراعم الأبرياء

أنت عزٌّ لنا ومجدٌ تليدٌ ... أنت نسل الأفاضل الكرماء

علميهم أن العفاف ارتقاءٌ ... للمعالي أكرم بذا الارتقاء

أخبريهم أن الحياء حياةٌ ... فُقِدت حين أجحفت بالحياء

نبئيهم أن الحجاب احتشامٌ ... واعتصامٌ عن أعينِ الخبثاء

عن كلاب الشهوات لمَّا أرادوا ... ملء أجفانهم بخُبث النساء

ارفعي الرأسَ عالياً واستجيبي ... لنداء الرحمن للعلياء

للجنان الخضراء لا تستعيضي ... بالتجافي عنها وبالكبرياء

خاطبي من تلقفتها الأيادي ... ورمتها في محضن الأدعياء

بالنصارى وباليهود اقتديتِ؟! ... ورغبتِ عن سيرة الشرفاء

عن ردا زينبٍ وأمِّ حرام ... والبتول العفيفة الزهراء

حاربي من حبوكِ أعظمَ وهمٍ ... وأرادوك دميةً في الدِّماء

يا دعاة التحرير يكفي افتراءً ... قد عشقتم مرابعَ الافتراء

عشقوا الغرب عشقنا للجنان ... نعشق الحور عشقهم للبغاء

ونرى الدين تاج نصر على الرأ ... س وهم يسفلون نحو الغثاء

يا دعاة التغريب إنَّا أُناسٌ ... قد رفعنا جباهنا للسماء

* القصيدة الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الشعر في موقع لها أون لاين ، وقد حذفنا جزءاً منها لطولها.

متى نعود؟*

طارق أحمد شوقي – مصر

غضبت منه وعزمت على الرحيل وترك عش الزوجية، فدس لها هذه الرسالة بين أشيائها تحمل هذه الأبيات؛ لعلها تعود!!

تعالي نعود لسحر الليالي ... فدفء الليالي سريع الفرار
تعالي نزيل هموم الزمان ... ونمحو بقلبي بقايا انكسار
تعالي نضيء شموع الأماني ... ونحضن حلماً يفيض اخضرار
تعالي نعود لدفء هوانا ... ونُرجع للعمر صفو الصغار
فتأتي نجوم المساء تغني ... فتشدو الشطوط ويشدو المحار
وأرنو لعينيك نبع الغرام ... ووجهةُ يفوق شروق النهار
يطلُّ عليَّ الصباح البهيج ... فيكسو الربيع دروب القفار
إذا ما صحا العشق فينا يغني ... نرى كل شيء بدا في ازدهار
وموج البحار يثور ولكن ... جنوني يفوق جنون البحار
تعالي فأنتِ النوارس تشدو ... وأنت المراسي وأنت المنار
أحبك طهراً وفجراً وشعراً ... يعيد إلى الأغنيات النضار
أحبك جدول ماء يغني ... وحولك كل الورود تغار
أحبك نوراً عظيم البريق ... عظيم البهاء عظيم القرار
أحبك دفئاً وقلباً غدا ... إلى المستحيل بدون اختيار
فحين نحب نذوب اشتياقاً ... نذوب حنيناً نذوب اعتصار
نتيه جمالاً نتيه دلالاً ... نتيه خيالاً يتيه الحوار
تعالي نعيد الزمان الجميل ... فقلبي غديرٌ بعيد المزار
وهاتِي ضياكِ وفيض الحنان ... فإني كعشب غزاه اصفرار
تعالي فإنّ عذاب فؤادي ... يؤرقني والشجون حصار
فأنّى لقلبي هناءٌ وأنتِ ... أمامي سراب وبحر الدوار
فأحلى الأغاني تنادي الهوى ... وأنتِ بريق المنى المستعار
على الدرب يصحو الحنين القديم ... ولكن دفء الحنايا غبار
وعاد الحمام الجريح ليحكي ... عن الحب كيف الوداع انشطار
أحقاً عقدتِ الرحيل فكيف ... وجرحي عميقٌ وليلي انتظار
تعربد فينا ليالي الخريف ... فماذا تبقى لحب الديار
فلا تسأليني ضياء الطريق ... فضوء عيوني حنينٌ ونار
وحتى جبيني رماد حريق ... فآهٍ مذاق الرحيل مرار
يسافر عنّا شراع الحنين ... فكيف تلاشى وكيف استدار
تعالي فما عاد دربي غناءٌ ... وما عاد قلبي يطيق انكسار

* القصيدة الفائزة بالجائزة الثالثة في مسابقة الشعر في موقع لها أون لاين.

أخبار المكاتب



أخبار الأدب الإسلامي

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب البلاد العربية:

أسبوع الأدب الإسلامي في السودان

يقيم مكتب البلاد العربية بالتعاون مع وزارة الثقافة السودانية، وفرع الرابطة في السودان ندوتين أدبيتين وأمسية شعرية في كل من الخرطوم ومدينة (ودمدني).

الأدب الإسلامي ورابطته العالمية

ففي يوم الاثنين ١٤٢٤/٨/٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/١٠/٢٠م، تقام في الخرطوم ندوة «الأدب الإسلامي ورابطته العالمية» برعاية معالي الأستاذ عبدالباسط عبدالماجد وزير الثقافة في جمهورية السودان تتناول المحاور الآتية:



د. عبدالقدوس أبو صالح

- تعريف الأدب الإسلامي ومفهومه.
- خصائص الأدب الإسلامي.
- مسوغات الأدب الإسلامي.
- رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

ويسهم في هذه المحاور كل من :

د. حسن الهويمل

- د. عبدالقدوس أبو صالح (رئيس الرابطة).
- د. عبدالباسط بدر (نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، ورئيس مكتب البلاد العربية).
- د. حسن الهويمل (رئيس المكتب الإقليمي في الرياض).
- د. عبدالرحمن العشماوي (عضو الرابطة).

ومن السودان :

- د. صالح آدم بيلو (رئيس فرع الرابطة) ألقي كلمة الفرع.
- د. عباس محجوب (جامعة القرآن الكريم) مدير الندوة.

أمسية شعرية

وفي يوم الثلاثاء ١٤٢٤/٨/٢٥هـ تقام في الخرطوم أمسية شعرية يشارك فيها كل من:

- الأستاذ صديق المجتبى (وزير دولة في وزارة الثقافة).
- د. عبدالقدوس أبو صالح .
- د. صالح آدم بيلو
- د. عباس محجوب.
- د. عبدالرحمن العشماوي.

ويدير الأمسية د. عزالدين موسى (الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية).

د. عزالدين موسى



من قضايا الأدب الإسلامي

وفي يوم الأربعاء ١٤٢٤/٨/٢٦هـ تقام ندوة « من قضايا الأدب الإسلامي » في مدينة ود مدني في ولاية الجزيرة بوسط السودان. تتناول المحاور الآتية:



د. عبدالرحمن العشماوي

- الأدب الإسلامي بين النظرية والمذهب.
- تصنيف النصوص والأدباء.
- الأدب الإسلامي بين الالتزام والإلزام.
- بين الأدب العربي و الأدب الإسلامي.

ويسهم في الندوة كل من :

- د. عبدالقدوس أبو صالح.
- د. عبدالباسط بدر
- د. حسن الهويمل.
- د. عبدالرحمن العشماوي.

ويلقي د. أحمد الحسن كلمة فرع الرابطة في السودان، كما يدير الندوة د. حسن بشير صديق.

وسيكون عريف الندوة د. عبدالعظيم نور الدين.

د. صالح آدم بيلو

مكتب الرياض:

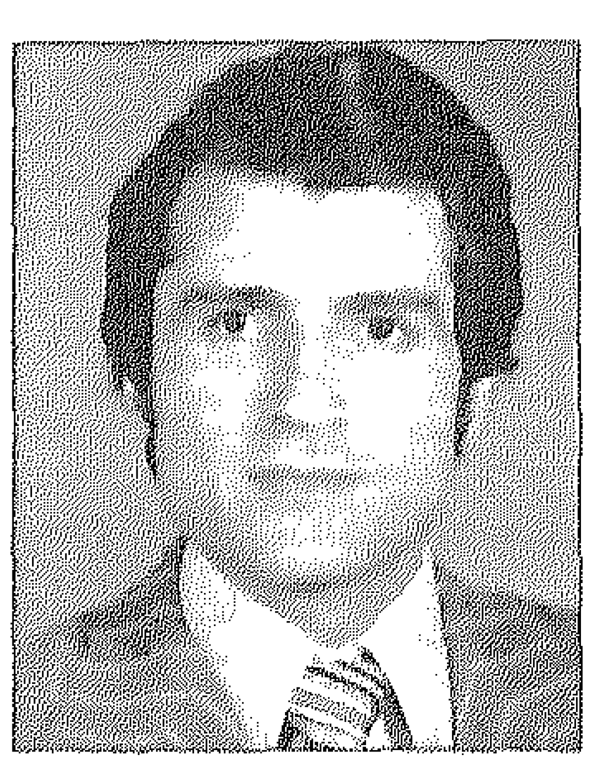
د. وليد قصاب وتجربته الأدبية والنقدية

استضاف المكتب الإقليمي للرابطة في الرياض في مستهل نشاطه للموسم الثقافي للعام الدراسي الجديد ١٤٢٤/١٤٢٥هـ، الدكتور وليد قصاب الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك في ٢٧ رجب ١٤٢٤هـ .

وقد تحدث د. وليد عن بداياته الأدبية والنقدية والعوامل المؤثرة في حياته الثقافية . والأنماط الأدبية التي استأثرت بإبداعه من الشعر والقصة ثم النقد.

وقد أثنى عدد من النقاد المتابعين على الجهود النقدية التي يقوم بها د. وليد في ساحة النقد الأدبي الإسلامي.

والجدير بالذكر أن مكتب الرياض يقيم ملتقى أدبيا شهريا في الأربعاء الأخير من كل شهر قمري، كما يقيم في الأربعاء الثاني من كل شهر ملتقى إبداعيا ونقديا خاصا بالشباب بمتابعة كل من د. حسين علي محمد والأستاذ محمد شلال الحناحنة.



د. وليد قصاب

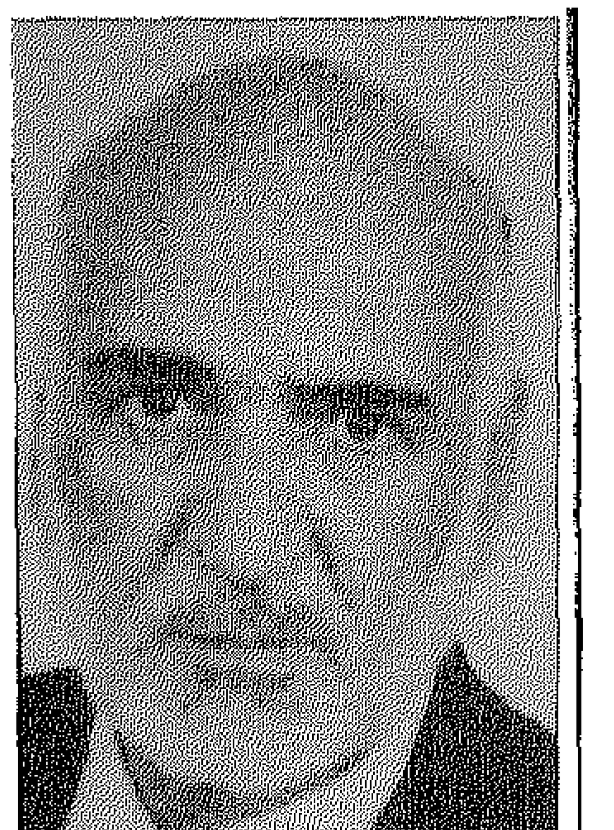
مكتب الأردن - صالح البوريني:

ذكرى الكيلاني

أقام المكتب الإقليمي للرابطة في عمان حفلا تأبينيا للأديب الداعية المربي مصطفى حيدر زيد الكيلاني رحمه الله، وذلك مساء يوم الجمعة ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣/٥/٣٠م. بالتعاون مع جمعية السلط الخيرية .

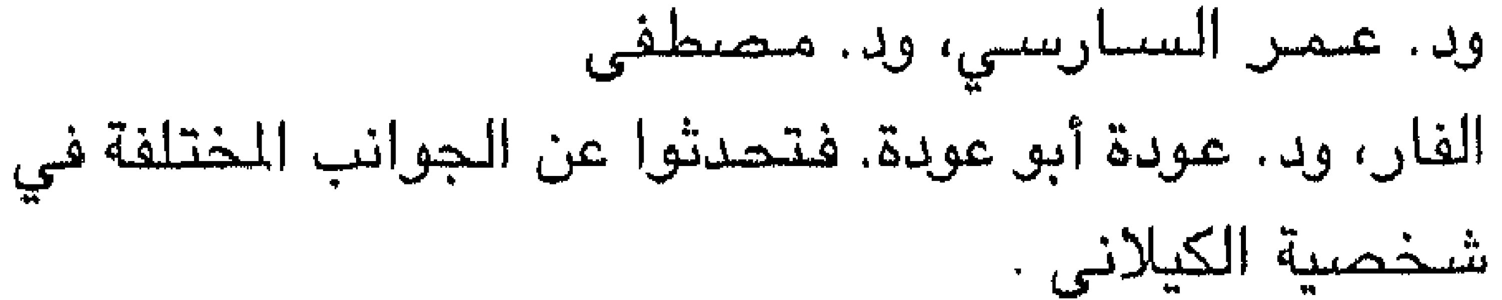
وقد أقيم الحفل تحت رعاية معالي وزير الثقافة الأردني الأستاذ حيدر محمود في قاعة المركز الثقافي بمدينة السلط.

وبدئ الحفل بالقرآن الكريم، ثم ألقى د. مأمون جرار كلمة الافتتاحية فتحدث عن نشاط الأديب الراحل في الندوات التي يقيمها المكتب أسبوعيا.



د. وليد قصاب

كما شارك في الحفل كل من أ. محمود أبو الرز، ود. عودة الله القيسي، و د. عبدالقادر رمزي، ود. عمر السارسي، ود. مصطفى الفار، ود. عودة أبو عودة. فتحدثوا عن الجوانب المختلفة في شخصية الكيلاني .



ثم شكر د. أنمار الكيلاني نجل الفقيد الحضور على وفائهم لذكرى والده الأديب الداعية . وألقى الشاعر علي الكيلاني قصيدة رثاء جاء في مطلعها :

إذا ملك البيان لسان صدق	كسيف الحق يخشاه العتاة
وأنت ملكت ناصية القوافي	بها الركبان تشدو والمشاة
وأوتيت البيان سداه فقه	ولحمته على الحق الثبات
وتبكيك المنابر والقوافي	ويرثيك الأماثل والهداة
عليك تنزل الرحمات تترى	على جدث به زكت الرفات

مكتب القاهرة - محيي الدين صالح:

ندوة الرافعي بمكتب القاهرة

تقيم جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة الملتقى الأدبي الأول وذلك في شهر ذي الحجة ١٤٢٤هـ / فبراير ٢٠٠٤م حيث يجري حفل افتتاح رسمي لمكتب رابطة الأدب الإسلامي.

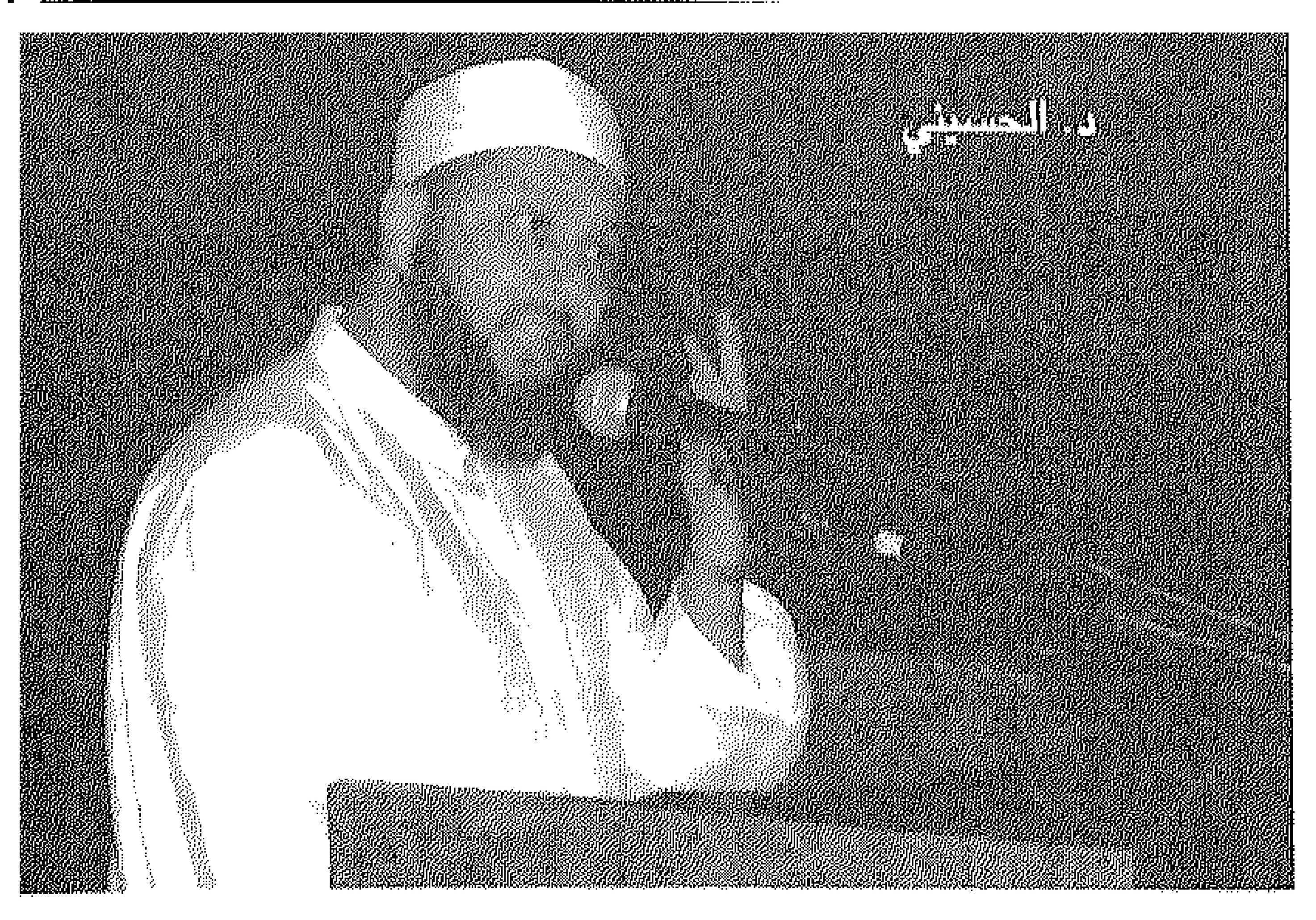
وتم اختيار الأديب الإسلامي الكبير / مصطفى صادق الرافعي(رحمه الله) موضوعا للملتقى الأدبي الأول في المحاور التالية:

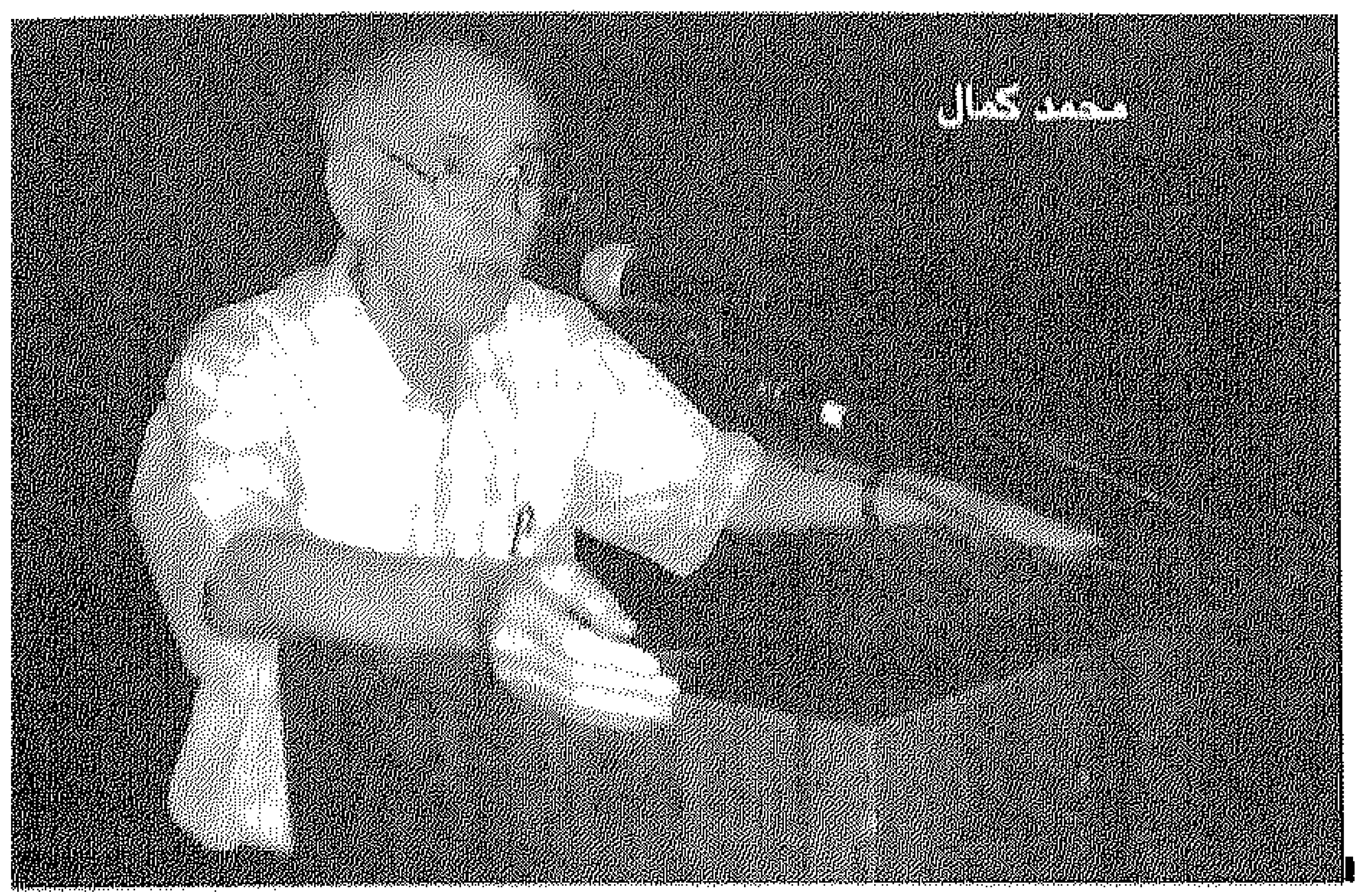
- تأثير الجانب الخلقي في حياة الرافعي.
- معاركه الأدبية والفكرية.
- رؤيته في كتاب تاريخ الأدب العربي.
- إبداعاته القصصية والشعرية.
- المقالة في أدب الرافعي.

وحدد آخر موعد لقبول البحوث يوم ٢٠٠٣/١٠/٣٠م.

الرافعي

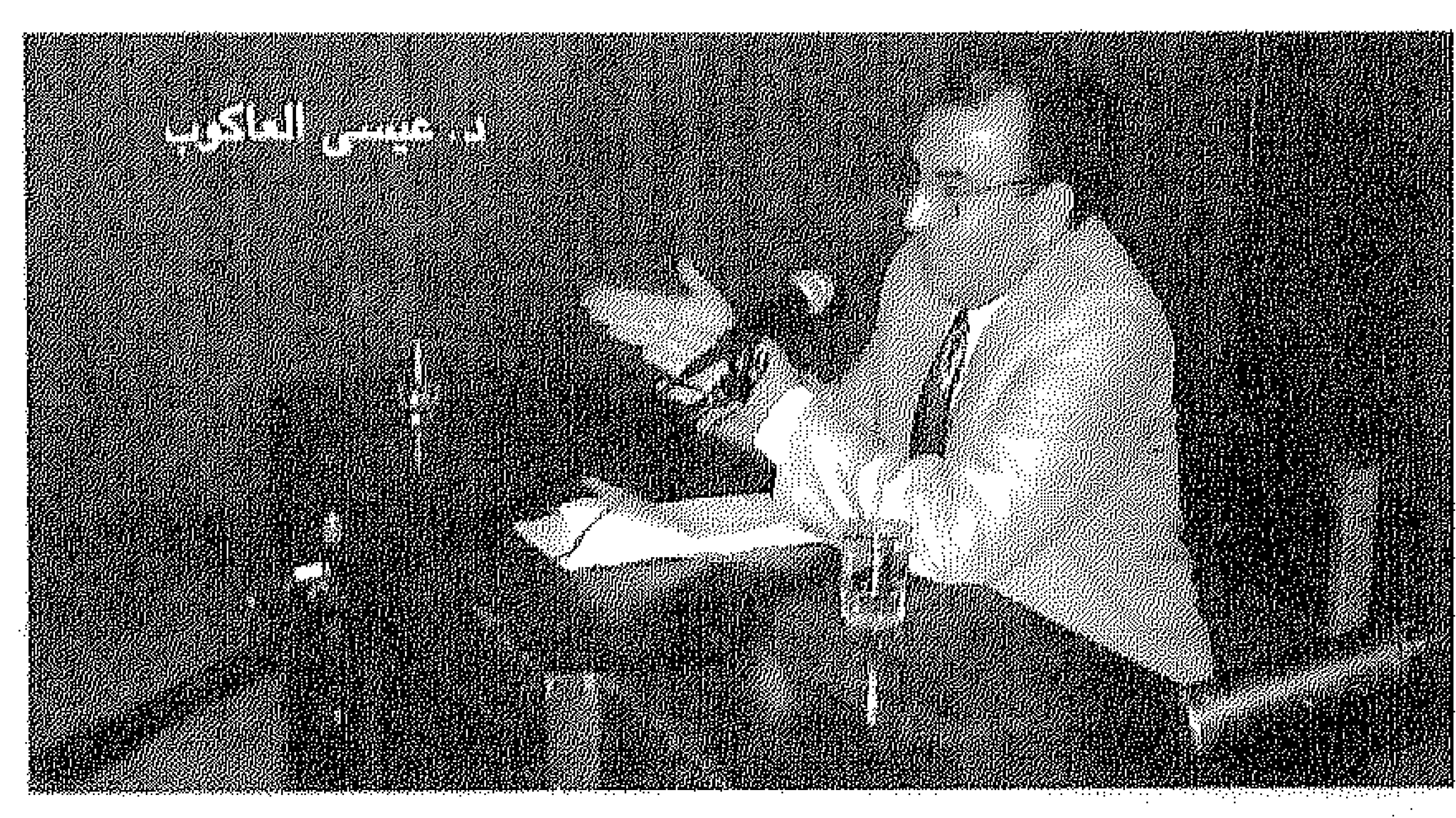
أمسية الشعر الإسلامي في حلب

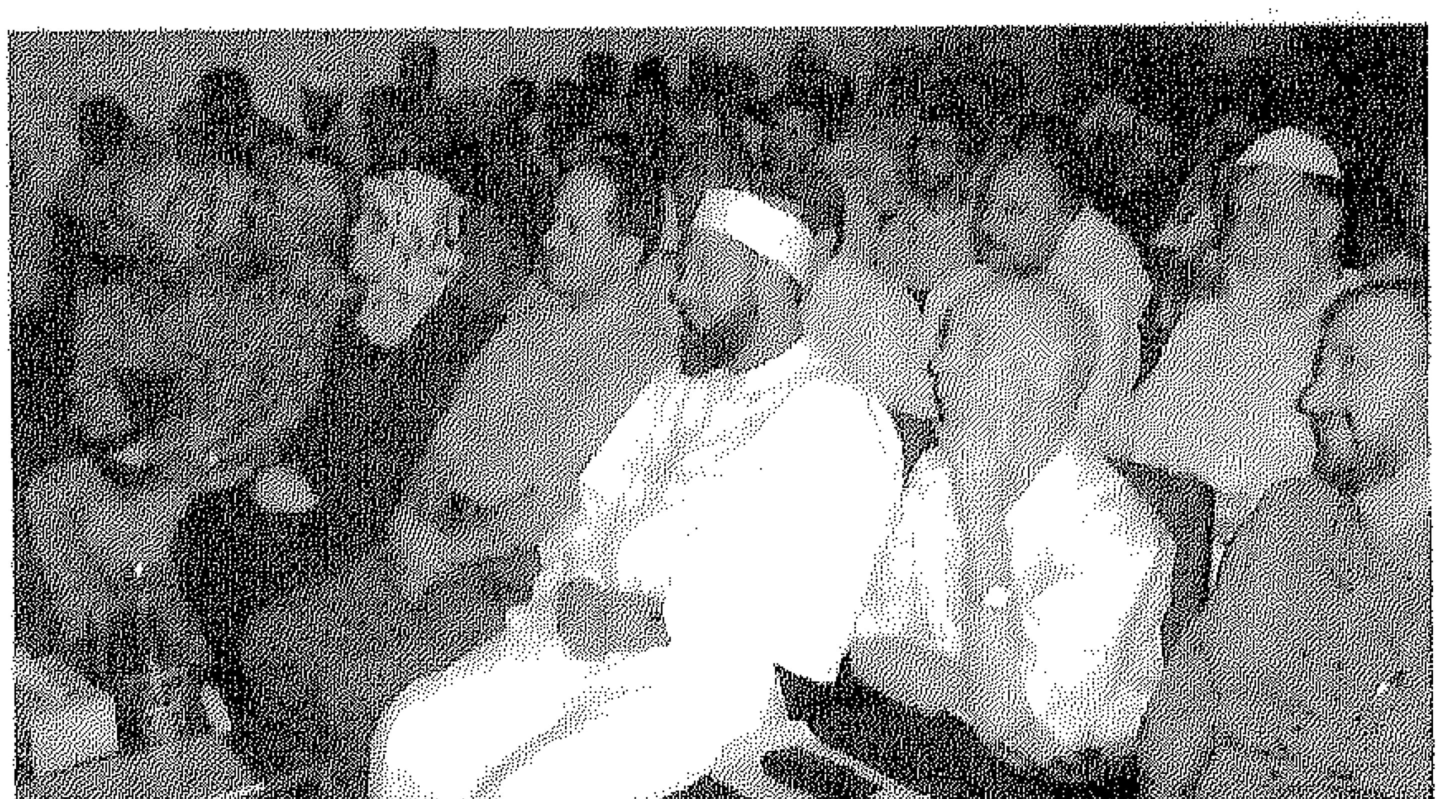

د. الحسيني


محمد كمال

أقيم في المركز الثقافي العربي أمسية شعرية شارك فيها أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في حلب /سوريا بتاريخ ٦ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ الموافق /٢٠٠٣/ ٨/٤م، وألقى القصائد على التوالي كل من الشاعرة فاطمة شنون (الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة لرابطة الأدب الإسلامي ، والشاعر محمد كمال من منبج (بلدة الشاعر الكبير عمر أبي ريشة) ، والطبيب الشاعر محمود أبو الهدى الحسيني العضو العامل في الرابطة.

وقد أدار الأمسية الأستاذ الدكتور الأديب عيسى العاكوب رئيس قسم اللغة العربية في جامعة حلب سابقا، حيث تحدث في البداية عن مفهوم النقد الذي ينبغي أن يكون مستمدا من التراث العربي الأصيل ،ودعا إلى رفض الأدب الذي لا يرتفع عن التدني والإسفاف، مشيدا بالأدب الذي ينتجه الإنسان في حالات سموه. وتساءل عما إذا كان يجوز أن نصف الكلمة الهابطة بالأدب


د. عيسى العاكوب



في حين أن الرسولﷺ يقول :(أدبني ربي فأحسن تأديبي).

وقدم مدير الندوة د. العاكوب إضاءة نقدية موجزة عن شعر كل من الشعراء الثلاثة وتعريفا موجزا بهم ، ثم استمع الحضور واستمتع بالنصوص الشعرية المختارة من الشعراء.

وقد قدمت الشاعرة فاطمة شنون مقاطع شعرية من السيرة النبوية تحت عنوان : الفداء ، حامل النور، الوحي ، وقصيدة بعنوان: أيها الآتون وأخرى بعنوان: عندما تحصد الحقول.

كما قدم الشاعر محمد كمال الذي وصفه مدير الندوة بأنه من مدرسة الشاعر الكبير عمر أبي ريشة ، قصيدة بعنوان : في منتصف الطريق ، وأخرى بعنوان : المشاهدة والخطاب لا يجتمعان.

أما الشاعر محمود أبو الهدى فقد حلق في آفاق شعرية عالية فقدم أربع قصائد ، هي: عودة بلقيس، المرأة اليوسفية، سر العشق، الزقاق القديم.

معجم دواوين الشعر الإسلامي المعاصر

تعتزم دار الضياء للنشر والتوزيع إصدار «معجم دواوين الشعر الإسلامي المعاصر» يتضمن المعلومات التالية عن كل ديوان: ١- اسم الديوان كما يظهر على الغلاف، ٢- اسم الشاعر كما يظهر على الديوان، ٣- عنوان الشاعر (للتواصل مع القراء والباحثين)، ٤- الطبعة وسنة الإصدار (إذا كان للديوان أكثر من طبعة تذكر سنوات الطبع)، ٥- دار النشر، ٦- مكان النشر : الدولة، المدينة، ٧- لغة الديوان (إذا كان الديوان بلغة غير العربية).

ترسل هذه المعلومات إلى العنوان التالي: دار الضياء للنشر والتوزيع - الأردن - ص.ب ٩٢٥٧٩٨ - عمان ١١١٩٠، أو بالفاكس : ٠٠٩٦٢٦ ٥٦٧٨٥٠٢ ، أو البريد الإلكتروني : daraldia@yahoo.com

وفـاة الداعيـة الأديب الأسـتـاذ محـمـد بريغش



تنعي رابطة الأدب الإسلامي العالمية أحد رواد الأدب الإسلامي وهو الأستاذ الداعية الأديب والناقد المحقق محمد حسن بريغش الذي وافته المنية في مدينة الرياض يوم السبت ١٩ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ الموافق ١٩ / ٧ / ٢٠٠٣م .

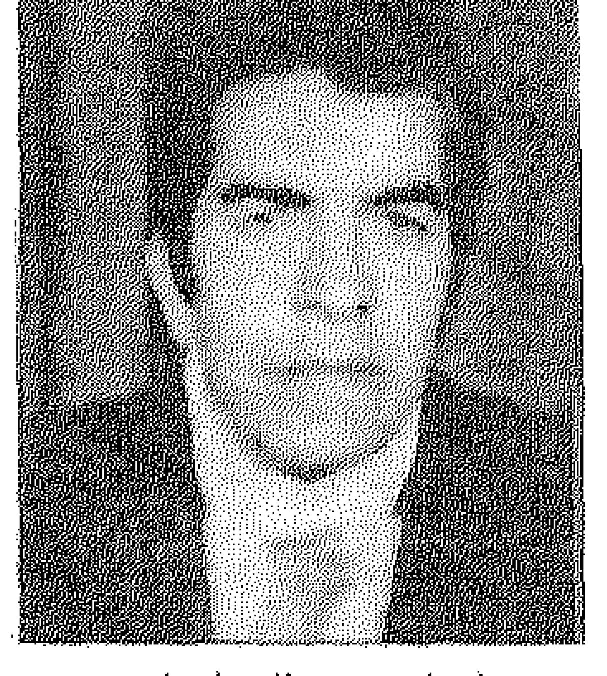
وقد ولد الأستاذ بريغش في سوريا عام ١٩٤٢م، وأتم تحصيله العالي في جامعة دمشق، وعمل أستاذا للغة العربية في مدارسها، ثم مدرسا في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٧٥م، ثم عمل في قسم المناهج التابع لرئاسة تعليم البنات إلى أن تقاعد عن العمل .

والأستاذ محمد حسن بريغش أحد مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية، شغل منصب أمين السر في مكتب البلاد العربية للرابطة، وكان عضوا في مجلس الأمناء لعدة سنوات . وقد حقق ديوان الشاعر هاشم الرفاعي، وألف كتابا عن الأدب الإسلامي المعاصر، كما أصدر عدة كتب عن القصة الإسلامية القصيرة، وله نحو من أربعة عشر كتابا. رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته . وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رحيل ثلاثة شعراء إسلاميين

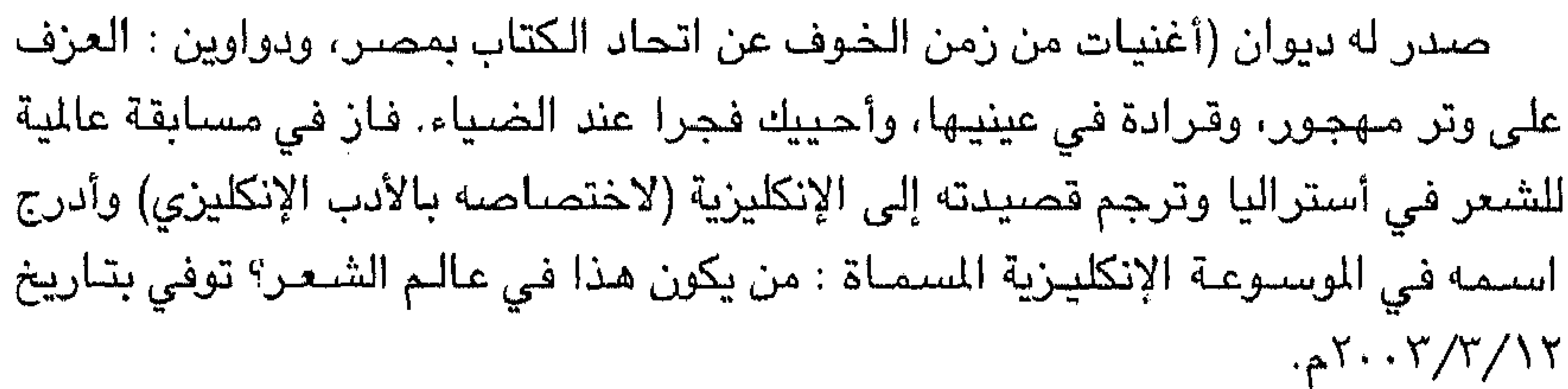
القاهرة – أحمد عبدالهادي:

رحل عن دوحة الشعر العربي الأصيل ثلاثة شعراء إسلاميين تغنوا بأمجاد العروبة والإسلام، وعايشوا آمال المسلمين وآلامهم على امتداد العالم العربي والإسلامي وهم:

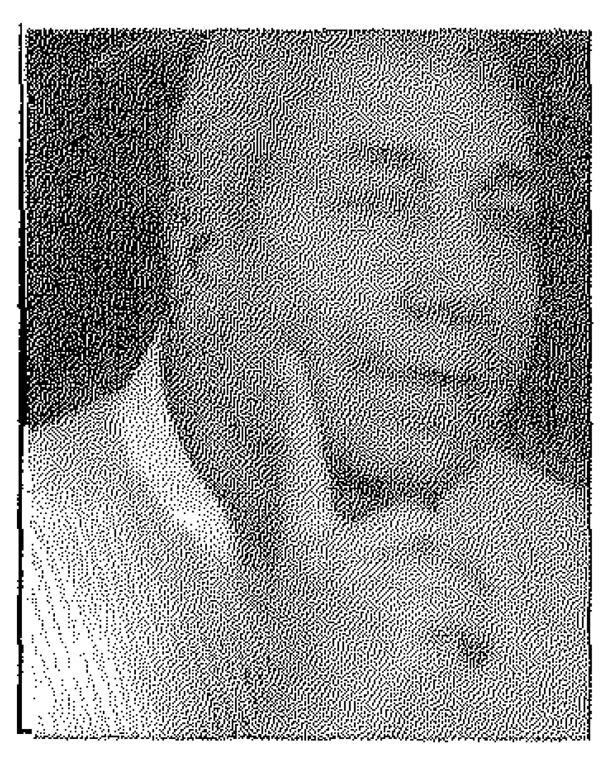


إبراهيم صالح إبراهيم

١- **إبراهيم صالح إبراهيم،** شاعر وجداني رقيق، تأثر في شعره بعلي الجارم ومحمود غنيم ومحمود حسن إسماعيل.



صدر له ديوان (أغنيات من زمن الخوف عن اتحاد الكتاب بمصر، ودواوين : العزف على وتر مهجور، وقرادة في عينيها، وأحييك فجرا عند الضياء. فاز في مسابقة عالمية للشعر في أستراليا وترجم قصيدته إلى الإنكليزية (لاختصاصه بالأدب الإنكليزي) وأدرج اسمه في الموسوعة الإنكليزية المسماة : من يكون هذا في عالم الشعر؟ توفي بتاريخ ٢٠٠٣/٣/١٢م.

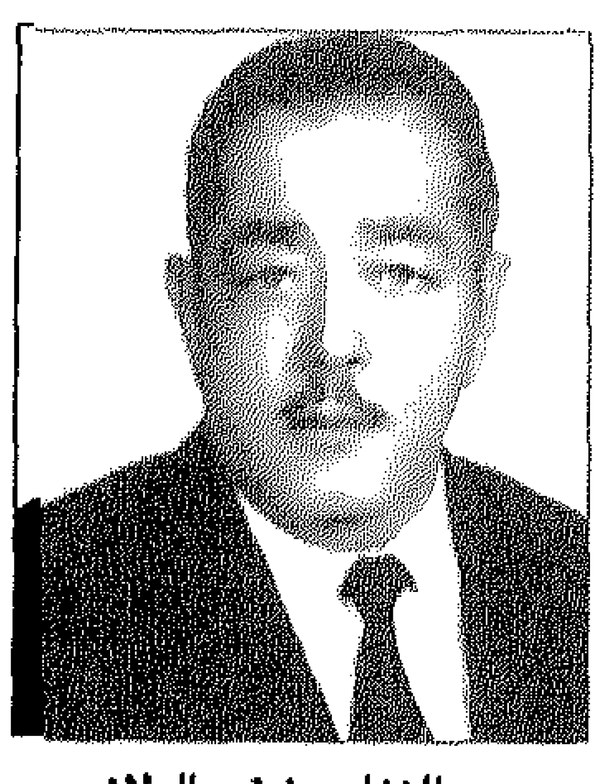


د. الشيخ زكي الخطاب

٢- **د. الشيخ زكي الخطاب،** من علماء الأزهر، دكتوراه في تخصص أصول الدين، حصل على العديد من الجوائز في الشعر، صدر له ديوان : أجساد الموتى تستحم، ومعظم إبداعه الشعري بقي مخطوطا، توفي بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٢٤م.

٣- **عبدالغفار عفيفي الدلاش،** من علماء الأزهر الشريف، من دواوينه : فلسفة الحياة، وموكب النور، والمنار، ورائد النور، ومع الله . وكانت وفاته في ٢٠٠٣/٦/٣م.

وقد رثى الشاعر أحمد عبدالهادي (عضو الرابطة) الشعراء الثلاثة بقصيدة طويلة اخترنا منها بعض الأبيات:



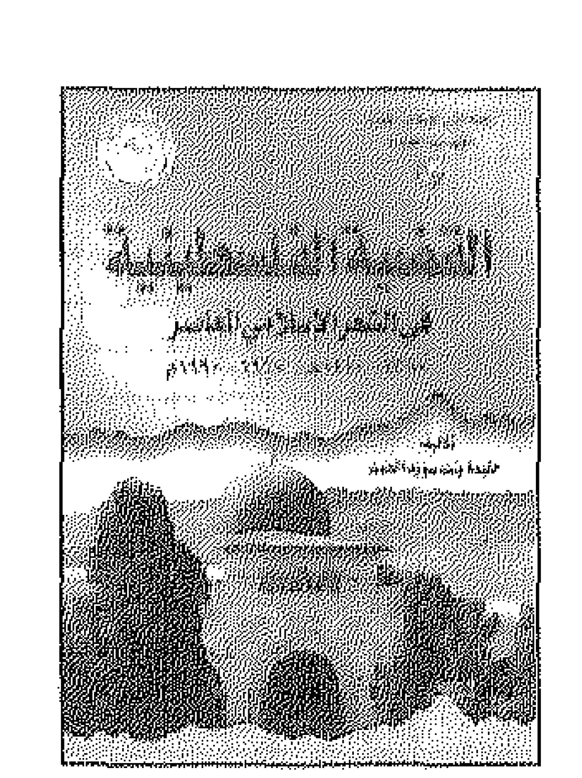
عبدالغفار عفيفي الدلاش

أكذا تغيب بليلنا الأقمار	وتفض بعد غيابها الأسمار
ونظل نضرب في الفيافي، مالنا	خل، ولا ظل ولا مقدار
طارت كروانين الرياض وودعت	أدواحها، فاستاءت الأطيار
كيف التماس الأمن بعد غيابهم	كيف ارتياح القلب وهو مُضار

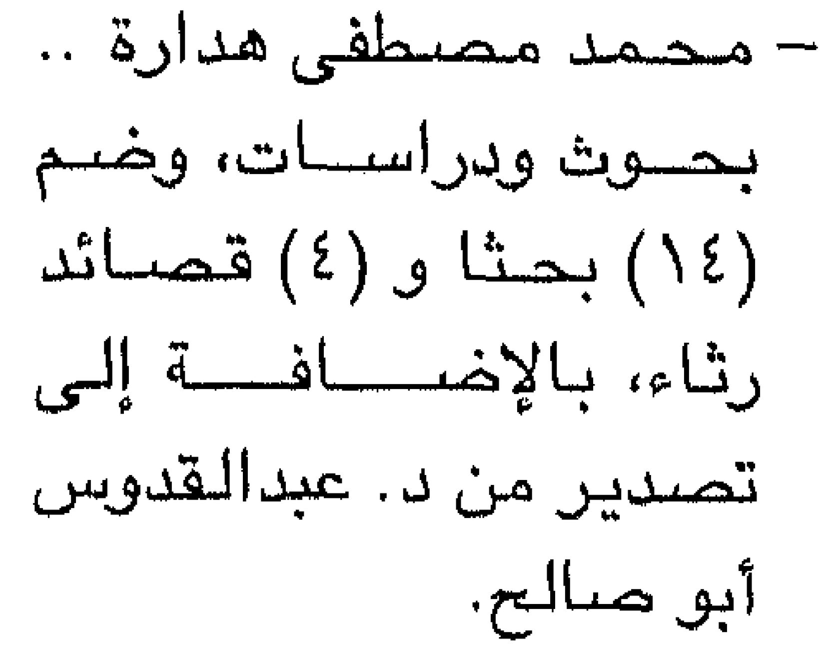
من إصدارات المكاتب

مكتب البلاد العربية:

في سلسلة منشورات مكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية صدر عن مكتبة العبيكان بالرياض الطبعة الأولى لعام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م الكتب الآتية :

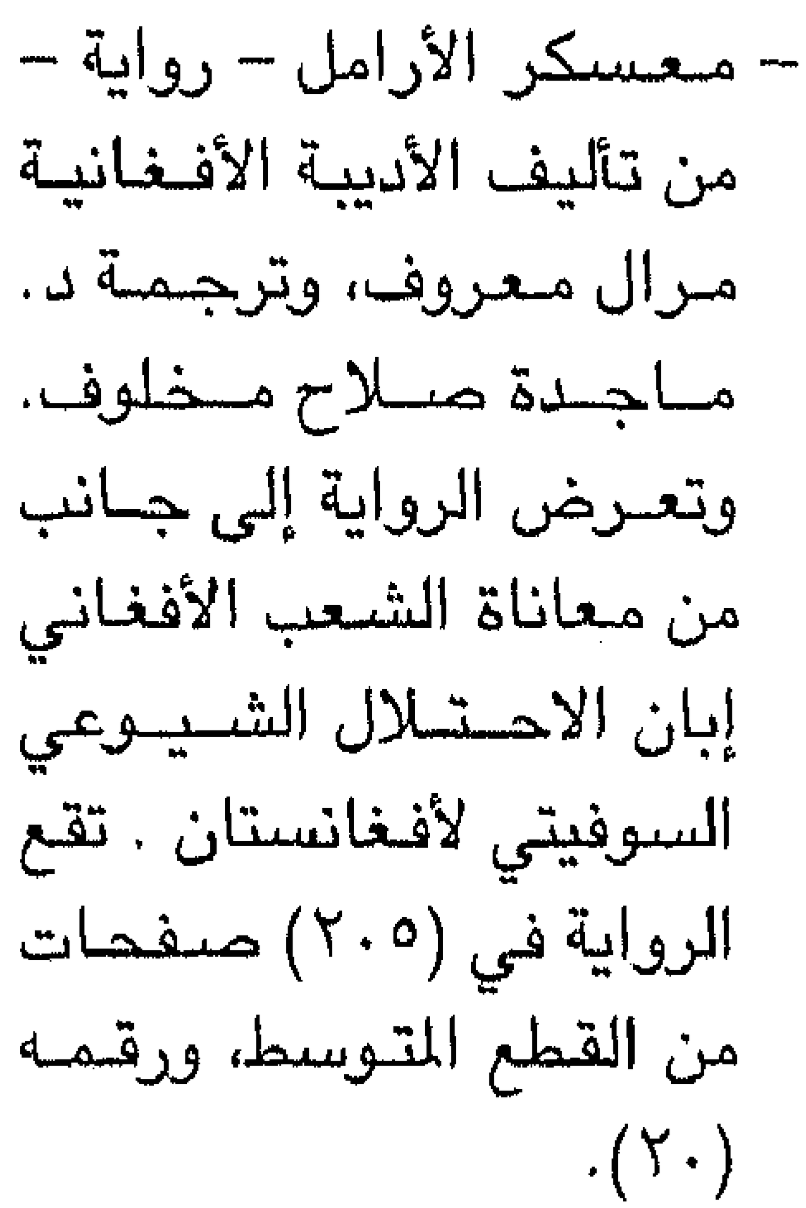


- القضية الفلسطينية في الشعر الإسلامي المعاصر، (١٣٨٧ - ١٤١٠ هـ / ١٩٦٧ -١٩٩٠م) تأليف : حليمة بنت سويد الحمد، يقع الكتاب في ٣٤٠ صفحة من القطع العادي، ورقمه (١٨).

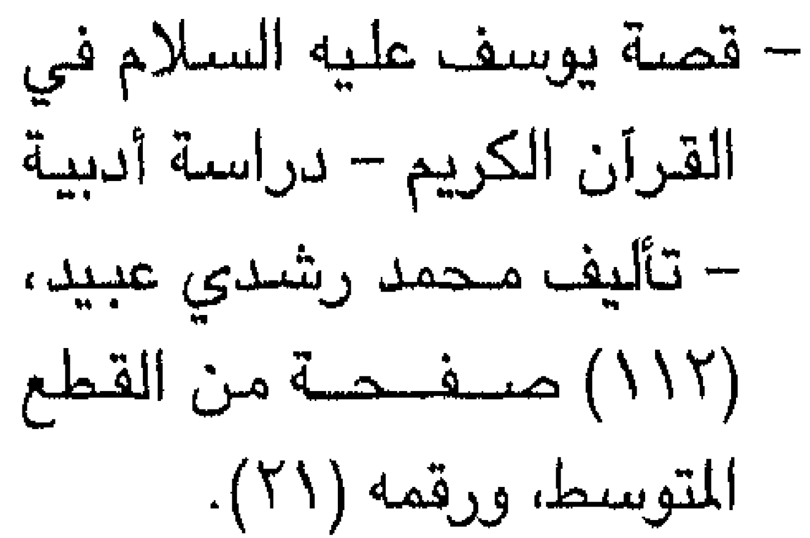


- محمد مصطفى هدارة .. بحوث ودراسات، وضم (١٤) بحثا و (٤) قصائد رثاء، بالإضافة إلى تصدير من د. عبدالقدوس أبو صالح.

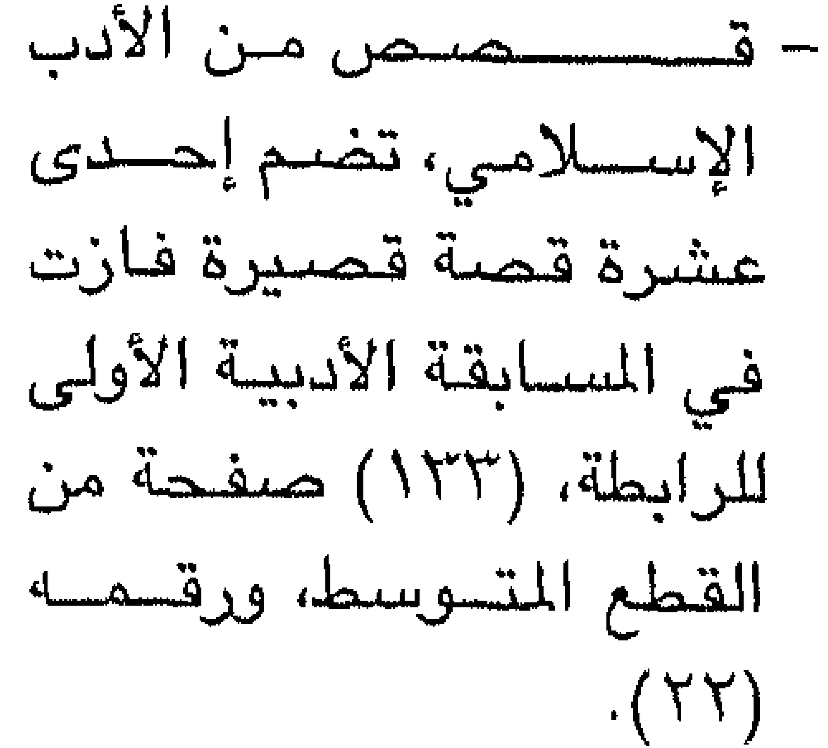
أسهم في الكتاب عدد من كبار الكتاب والنقاد والأكاديميين، وبلغ (٣١٦) صفحة من القطع العادي، ورقمه (١٩).



- معسكر الأرامل - رواية - من تأليف الأديبة الأفغانية مرال معروف، وترجمة د. ماجدة صلاح مخلوف. وتعرض الرواية إلى جانب من معاناة الشعب الأفغاني إبان الاحتلال الشيوعي السوفيتي لأفغانستان . تقع الرواية في (٢٠٥) صفحات من القطع المتوسط، ورقمه (٢٠).



- قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم - دراسة أدبية - تأليف محمد رشدي عبيد، (١١٢) صفحة من القطع المتوسط، ورقمه (٢١).



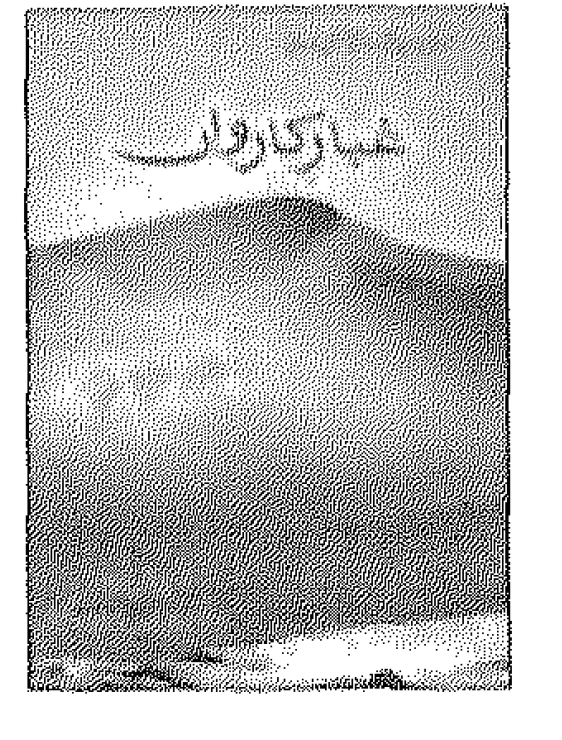


- قصص من الأدب الإسلامي، تضم إحدى عشرة قصة قصيرة فازت في المسابقة الأدبية الأولى للرابطة، (١٣٣) صفحة من القطع المتوسط، ورقمه (٢٢).

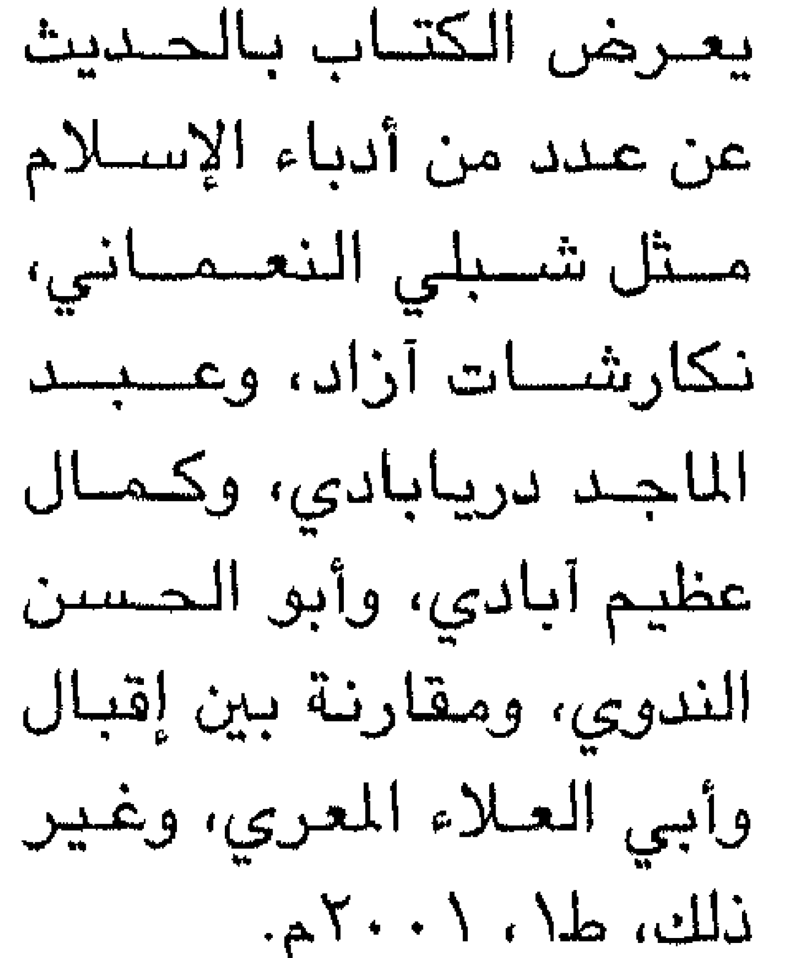
مكتب الهند:

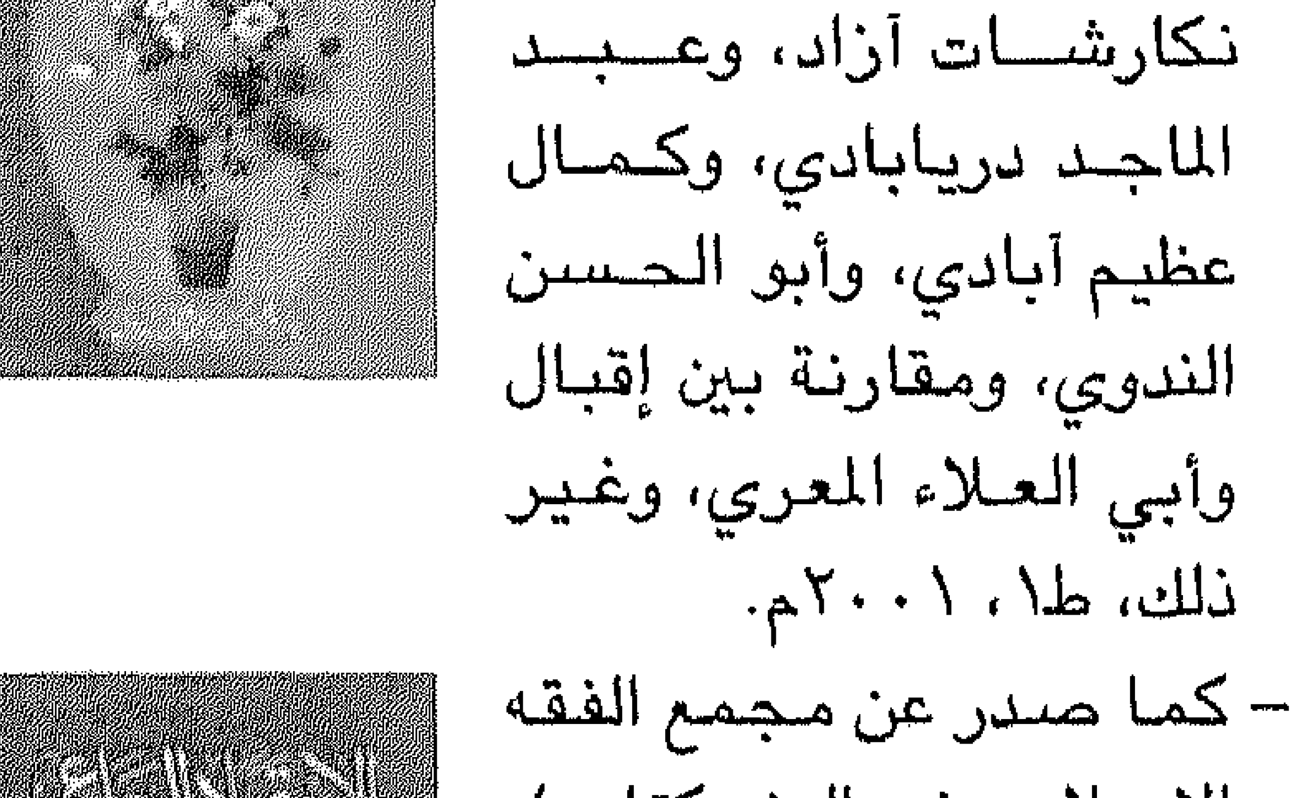
صدر عن مكتب شبه القارة الهندية الكتب التالية باللغة الأردية:

- أفق أعلى - ديوان شعر بالأردية للشاعر فطرت بهكلي، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

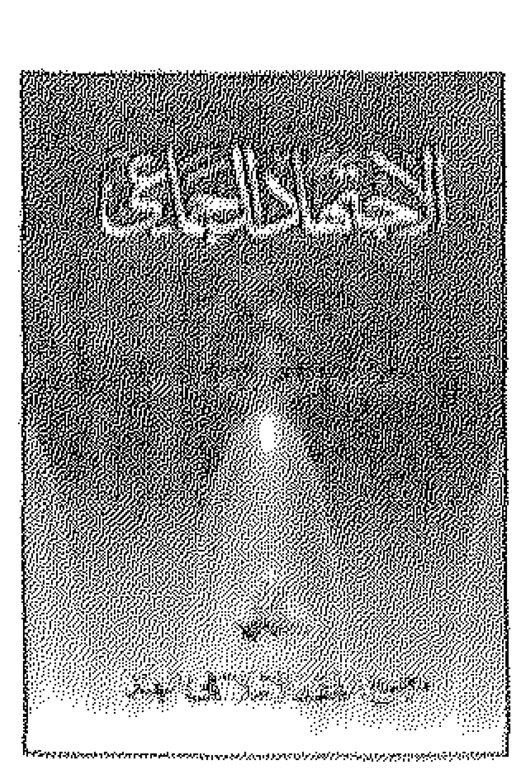


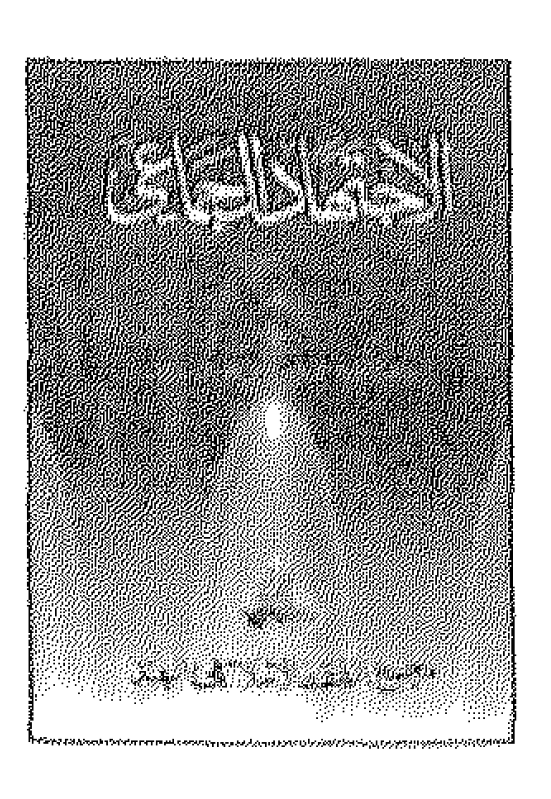
- غبار كاروان - تأليف محمد الرابع الندوي، ويتحدث عن نشأة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وأهمية الأدب الإسلامي ودوره، ونماذج مختارة منه، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.





- مطالعة شعر وأدب، تأليف د، محسن عثمان الندوي، يعرض الكتاب بالحديث عن عدد من أدباء الإسلام مثل شبلي النعماني، نكارشات آزاد، وعبد الماجد دريابادي، وكمال عظيم آبادي، وأبو الحسن الندوي، ومقارنة بين إقبال وأبي العلاء المعري، وغير ذلك، ط١، ٢٠٠١م.



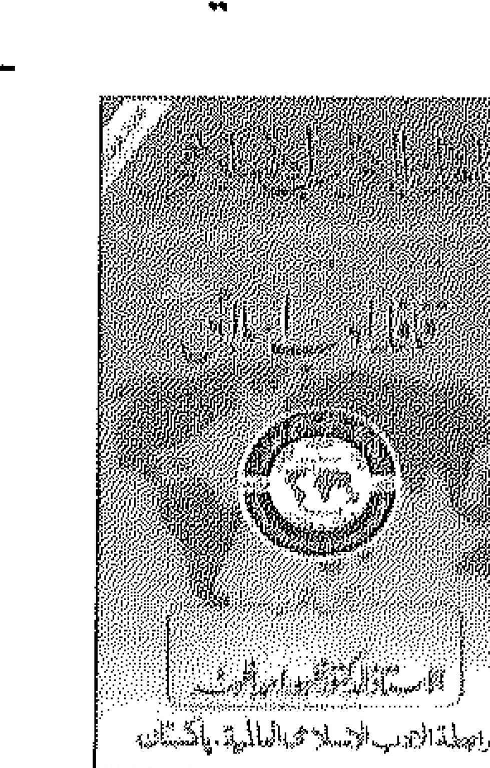


- كما صدر عن مجمع الفقه الإسلامي في الهند كتاب / الاجتهاد الجماعي، تأليف أبي الحسن الندوي، وهو باللغة العربية بتقديم الشيخ محمد الرابع الندوي، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

مكتب باكستان:

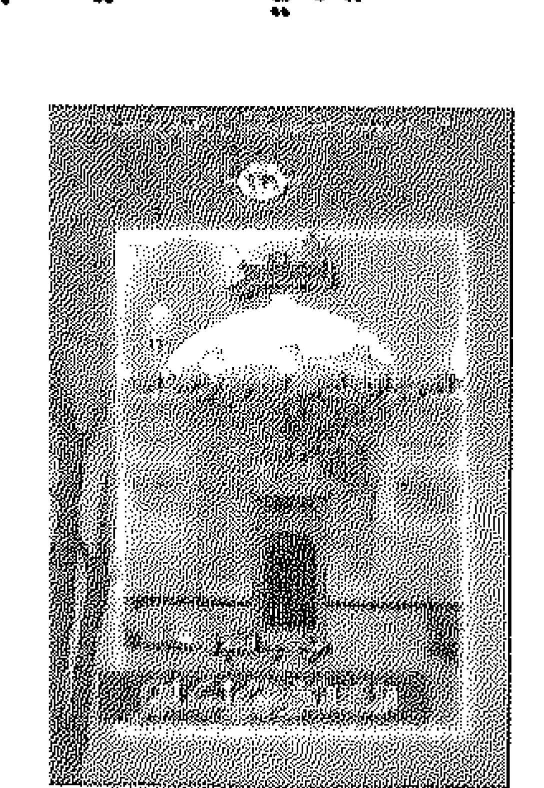
- صدر العدد ٣-٤ من المجلد الثالث لمجلة قافلة الأدب الإسلامي التي تصدر عن المكتب الاقليمي للرابطة في لاهور بباكستان باللغات العربية والأردية والإنكليزية، وهو عدد ممتاز ضمن مجموعتين مستقلتين من البحوث وهي (نذر نعيم) و (بحوث ندوة الأدب الإسلامي للغات باكستان المحلية).

كما ضمت قصة قصيرة مترجمة بعنوان "نيران الثلوج" للدكتور ظهور أحمد أظهر رئيس تحرير المجلة ، بالإضافة إلى تقرير عن زيارة د. ظهور إلى القاهرة واللقاءات الأدبية التي أجريت معه أو تلك التي حضرها.



- كما صدر العددان ١-٢ من المجلد الرابع من مجلة / قافلة الأدب الإسلامي/ التي يصدرها المكتب الإقليمي للرابطة في باكستان، وضم القسم المخصص للغة العربية ثلاثة موضوعات هي:

- قضية الأمة الإسلامية العربية في الشعر الماليزي الحديث بقلم روسني بن سامة.



- شعر الشيخ فريد الدين مسعود رحمه الله، بقلم د. ظهور أحمد (رئيس التحرير)، حيث قدم دراسة نقدية، وترجم عددا كبيرا من نصوصه الشعرية.

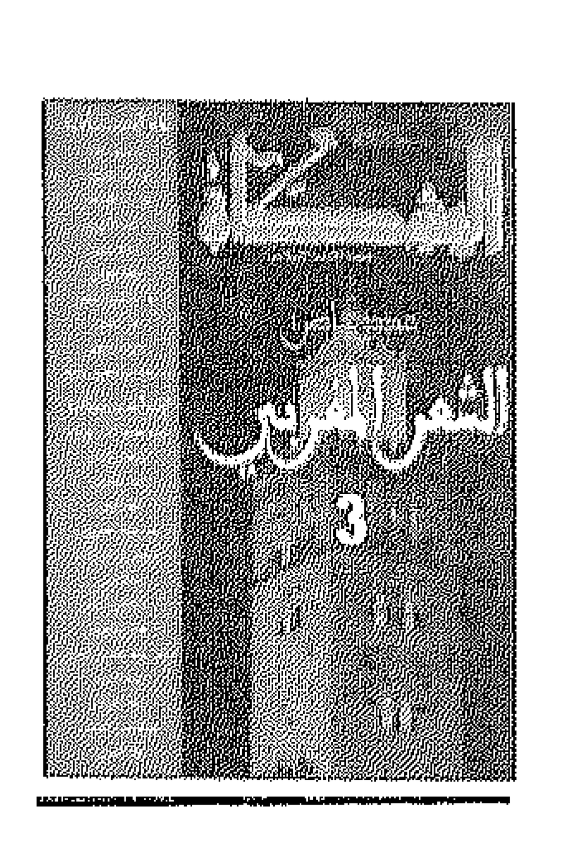
كما تضم المجلة قسما باللغة الأردية وقسما باللغة الانكليزية،، وقد نشرت الترجمة العربية للنصوص الشعرية في كتاب مستقل.

العنوان : 7- haq bahu street. lalazar colony, raiwind, lahore, pakistan.

- وصدر مجموعة مقالات عن الأدب الإسلامي باللغة الأردية من تأليف ذاكر خالق داد ملك، عن المطبعة العربية، لاهور، ط١، ٢٠٠٢م.

- وصدر أيضا باللغة الأردية كتاب نذر نعيم، من إعداد د. ظهور أحمد، ويضم مقالات عن الأديب الكبير فضل الرحمن نعيم صديقي رحمه الله، الذي كرمه المكتب الإقليمي في باكستان تقديرا لدوره الكبير في الساحة الأدبية والعلمية.

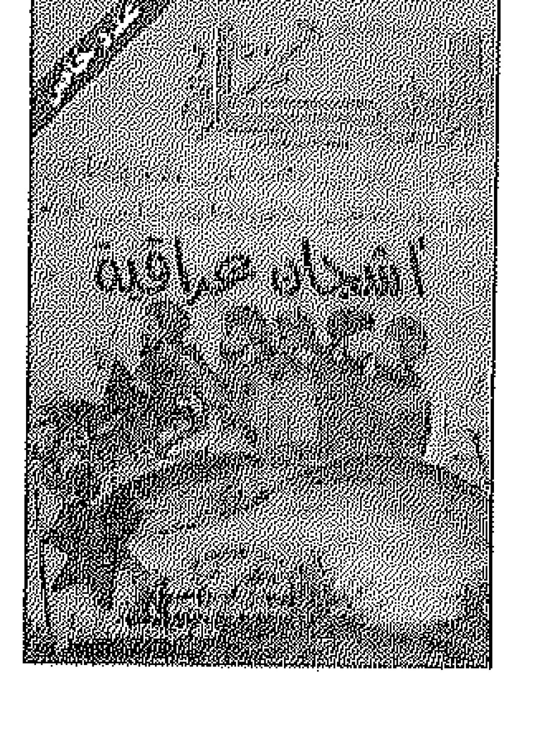
مكتب المغرب:



- صدر العدد (٤١) من مجلة المشكاة، وهو الجزء الثالث من الشعر المغربي، وشارك فيه عشرة كتاب بالدراسات النقدية و (١٨) شاعرا وشاعرة بالإضافة إلى ٤ نصوص نثرية.

ومن مقالات هذا العدد:

صوت الشاعر المغربي د.سعيد غزاوي، الصورة في الشعر المغربي المعاصر ديوان الانتفاضة نموذجا د. محمد الواسطي، شعر الصحراء المغربية أصالة النظم ومغربية المنطلق لصفية الهلالي، الشعر الإسلامي بجنوب المغرب، النشأة والريادة لمحمد المختار المداح.



- كما صدر العدد (٤٢) وهو عدد خاص بعنوان / أشجان عراقية / وضم العدد (١٠) دراسات نقدية في الشعر والقصة والمسرحية لنصوص من الأدب العراقي، بالإضافة إلى نص مسرحي، ونص قصصي. و (٢٥) نصا شعريا تناولت الوضع في العراق لشعراء من المغرب والعراق وسورية والسعودية ومصر.

ومن مقالات هذا العدد: المسجد في شعر حكمت صالح لجليل رشيد، العبور مسرحيات قصيرة تأليف د. عماد الدين خليل لمحمد الحفناوي، الشعر والأحداث لإسماعيل إسماعيلي، هل تعلمت العربية في بغداد لحسن الأمراني، وفي العدد مشاهد من مسرحيات الهم الكبير للدكتور عماد الدين خليل، وقصة هيروشيما لأحمد الكمون.

من إصدارات أعضاء الرابطة

* صدر للشاعر د.عبدالرحمن العشماوي عدد من الدواوين الشعرية الجديدة عن مكتبة العبيكان بالرياض في طبعتها الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م وهي:
- مراكب ذكرياتي، يا ساكنة القلب، حليمة والصوت والصدى، عناقيد الضياء، القدس أنت، عندما يئن العفاف. كما صدرت الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢م للدواوين الآتية:
- عندما يعزف الرياض، إلى حواء، نقوش على واجهة القرن الخامس عشر، مأساة التاريخ، يا أمة الإسلام .
- وصدر عن مكتبة الأديب بالرياض ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ديوان غصون وثمار.

* صدر لمحمد ثابت توفيق:
- مائتا كيلو متر جنوبا ، رواية، عن الهيئة العامة لقصور الثقافة في القاهرة، (العدد ١١٩)، ط١، ٢٠٠٠م.
- على ما قسم، مجموعة قصصية، عن الهيئة المصرية للكتاب، ط١، ٢٠٠٢م.

* صدر للدكتور عدنان النحوي عن دار النحوي للنشر بالرياض، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م :
- الموجز في دراسة الأسلوب والأسلوبية.
- المسلمون بين الواقع والأمل.

* خصائص الأدب الإسلامي...، د. أحمد محمد علي حنطور، كلية اللغة العربية، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

* ظواهر في لهجات العرب الأواخر، سلطان عبدالهادي السهلي، منشورات مجلة (الجزيرة) الكويت، الطبعة الأولى.

* عصفور البحري، رواية، د. عبدالرزاق حسين، دار الكرمل، عمان/الأردن، ط١، ٢٠٠٢م.

* في معية الله، ديوان، رفعت عبدالوهاب المرصفي، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

* أحلام مواطن، رواية، نافذة أحمد الحنبلي، دار البشير، عمان / الأردن، ط١، ٢٠٠٣م.

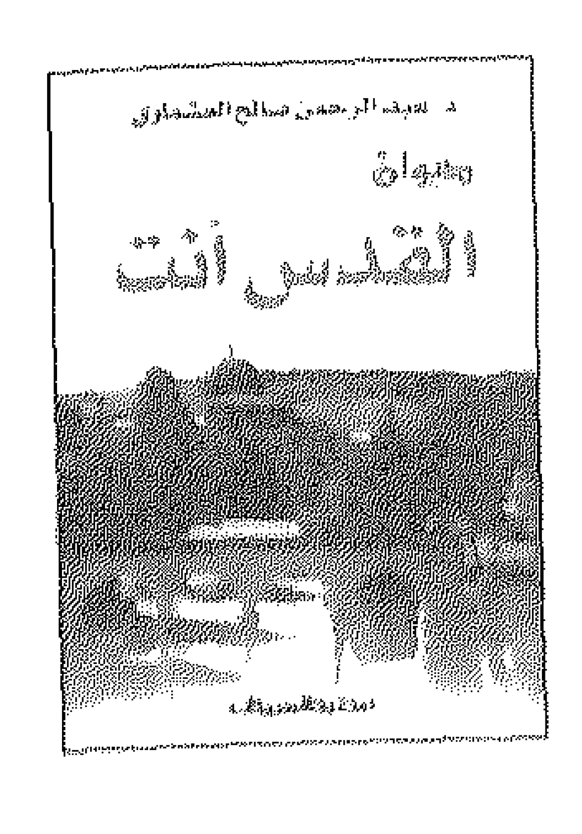
* أنين الغربة، مجموعة قصصية، أمينة العمر حلاق، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق/بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

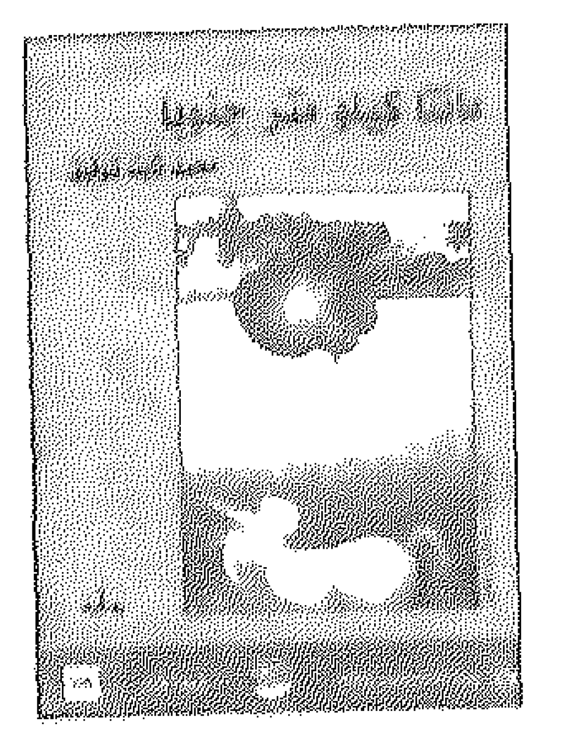
* المجتمع المسلم كما يبينه الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

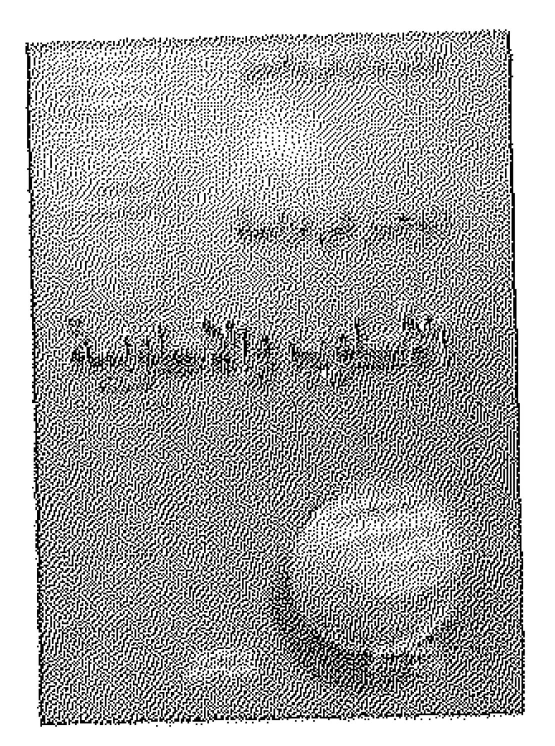
* المرأة المسلمة وتحديات العولمة، سهيلة زين العابدين حماد، مكتبة العبيكان،الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

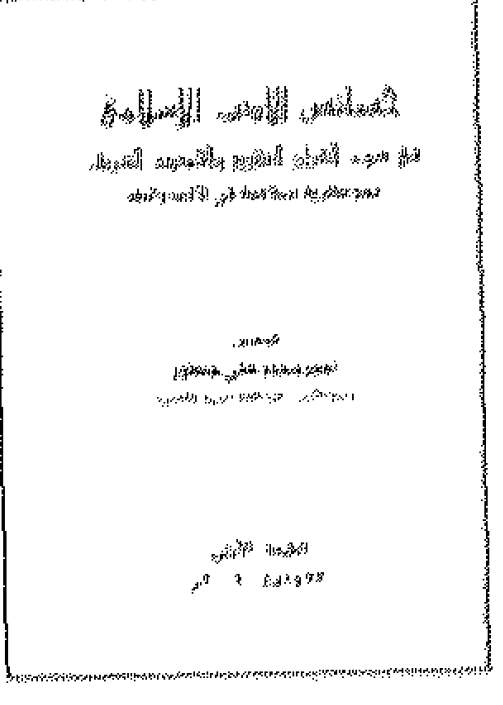
* صدر للدكتورة نهى القاطرجي:
- الاغتصاب .. دراسة تاريخية نفسية اجتماعية .
- جريمة الاغتصاب .. في ضوء الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

* الرواية التاريخية (دراسة تطبيقية)، تأليف د. حلمي محمد القاعود، دار الاعتصام، القاهرة.





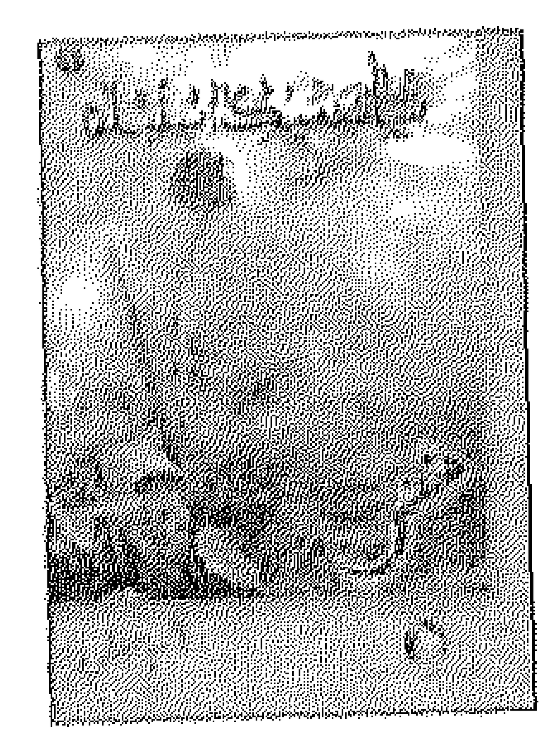


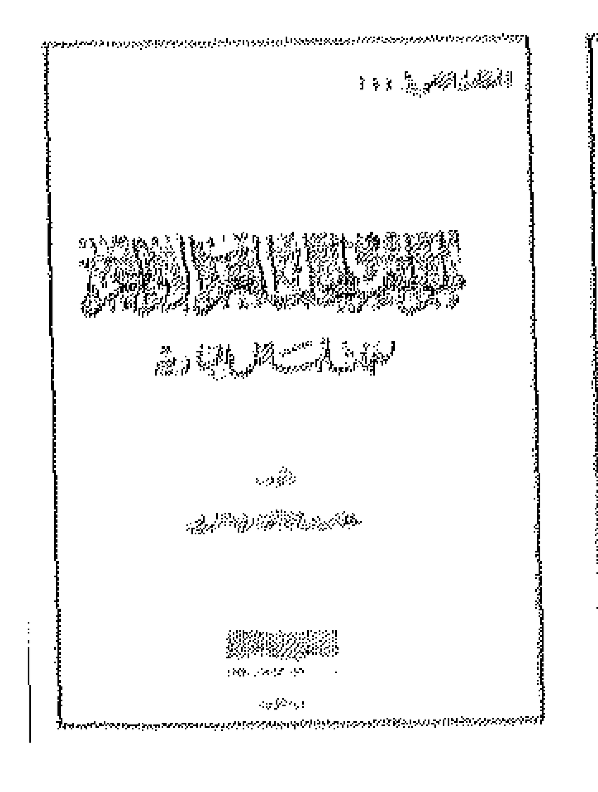


* معجم الشعراء السعوديين، عبدالكريم بن حمد الحقيل، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ضم (٧٠٩) ترجمة .

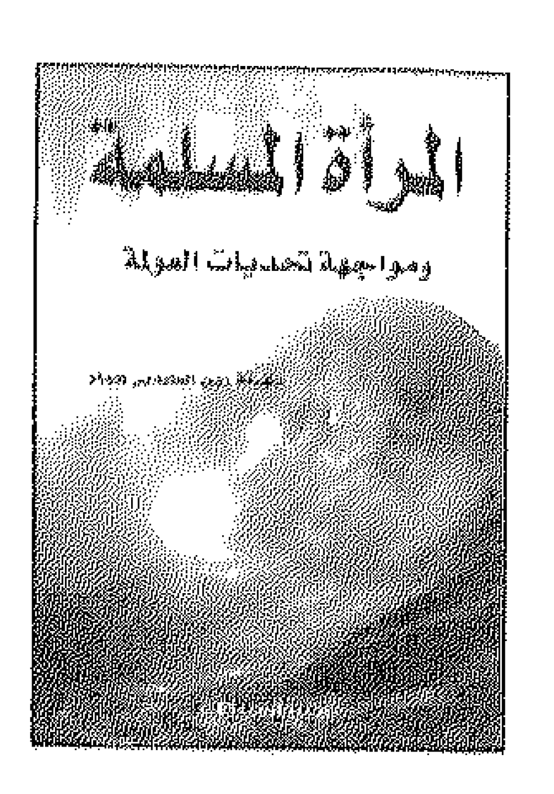
* دروس من الحياة، ج١، خالد بن محمد الأنصاري، دار طويق، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.

* سأسميك سنبلة، ديوان أم سلمى، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان / المغرب، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.





كتب وصلت إلى المجلة



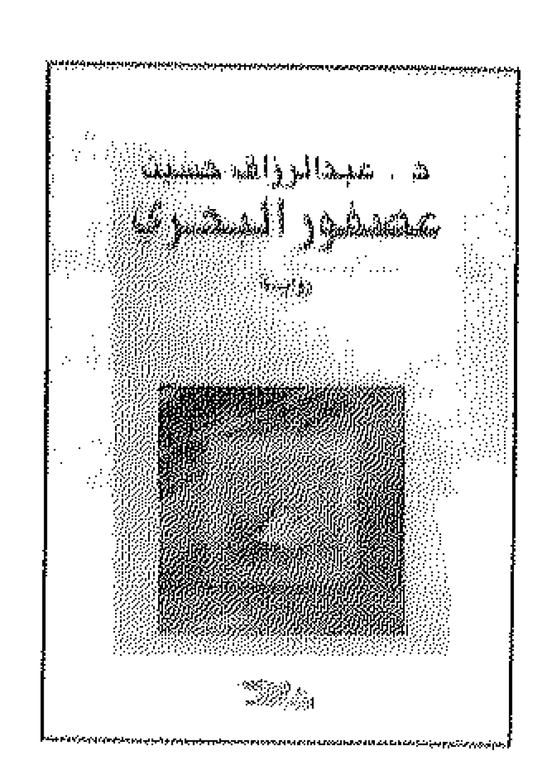
* أدب المعركة في الإسلام، تأليف أحمد عبدربه بصبوص، المفرق/ الأردن، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

* صدر عن مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون في صنعاد / اليمن، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م:

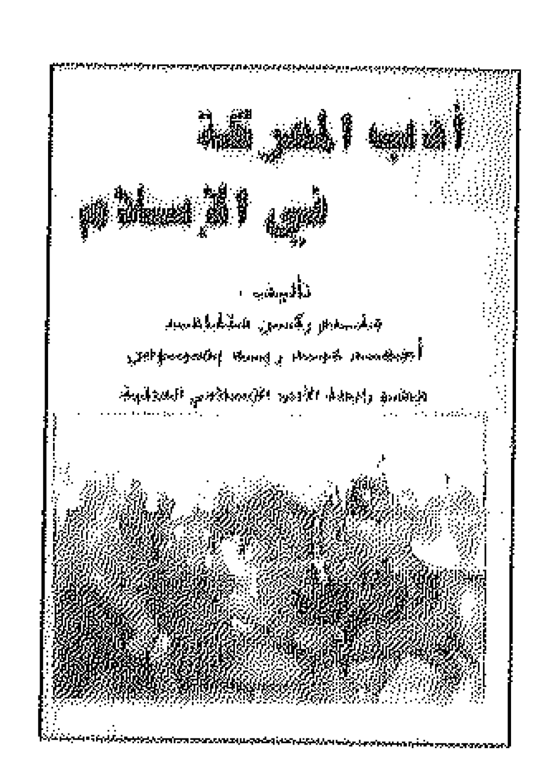
١- أوتار، شعر، د. عبدالولي الشميري، ط٢ .

٢- مناظرة بين الشاعرين إبراهيم صديقي من الجزائر و رضارجب من سورية، ط١ .

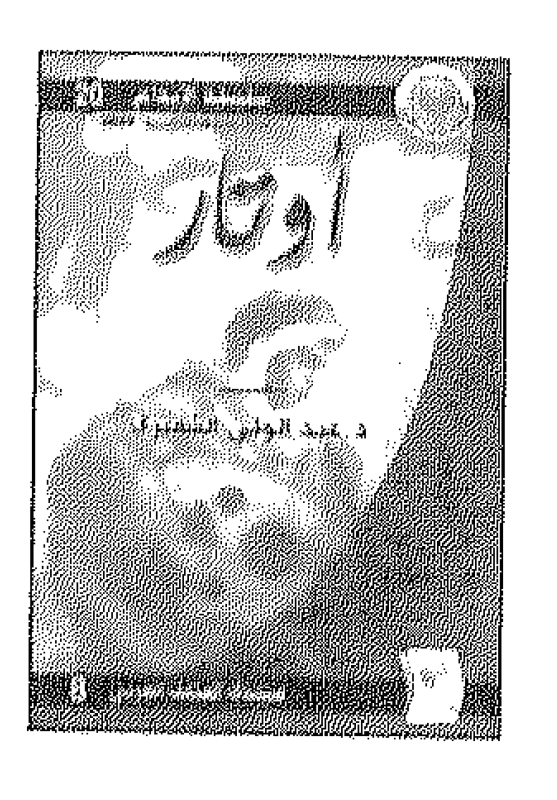
- منتدى المثقف العربي في دائرة الضوء، يلخص مسيرة المنتدى من خلال خمسة وعشرين ملتقى شهريا، تحدث فيها ١٧٠ مفكرا وأديبا، وقد أسس هذا المنتدى في القاهرة د. عبدالولي الشميري (عضو الرابطة) عام ٢٠٠٠م.



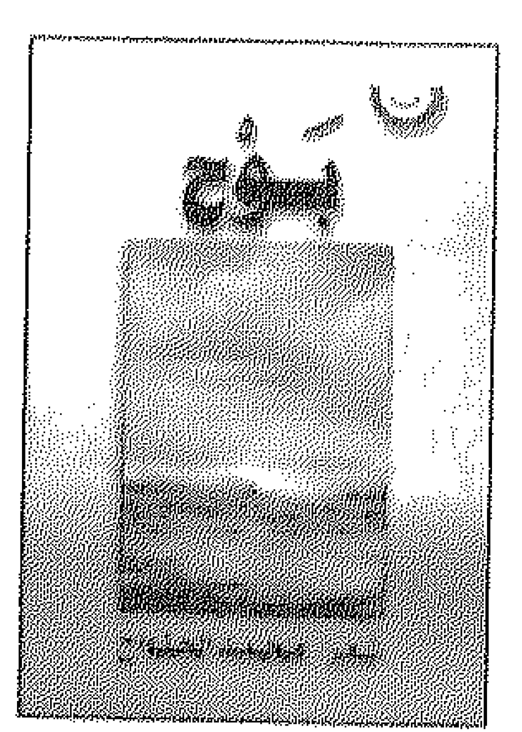
* أبراج الروح، شعر، د.المداني عدادي، منشورات الدفاع الثقافي، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م. المغرب.

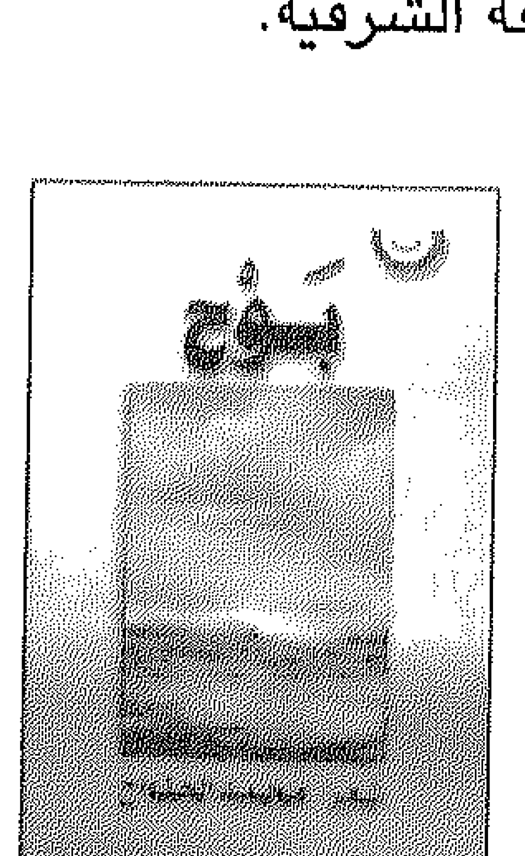


* السيرة الذاتية في الأدب السعودي، د.عبدالله الحيدري، دار طويق للنشر، ط٢، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، الرياض.



* بوح ، ديوان شعر ، محمد الجلواح ، ط١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م، إصدار النادي الأدبي في المنطقة الشرقية.





* أهدت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى مكاتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أنحاء العالم العربي والإسلامي مجموعة من سلسلة آداب الشعوب الإسلامية تم توزيعها على مكاتب الرابطة، وتتألف هذه السلسلة من : الأدب التركي الإسلامي، الأدب الأفغاني الإسلامي، الأدب الأوردي الإسلامي، أدب الهوسا الإسلامي، الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأوردي، الأدب السواحلي الإسلامي.

* صدر عن النادي الأدبي بالرياض، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م:

- جمرات تأكل العتمة (مجموعة قصصية)، منى المديهش.

- حلقات من سلسلة (مجموعة قصصية)،شريفة محمد العبودي.

- انتفاضة القصائد، (ديوان) عبدالله سالم الحميد.

- صورة الرجل في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية، (١٣٩٠ - ١٤١٦هـ / ١٩٧٠ - ١٩٩٦م).

- قصص الأطفال في الأدب السعودي (١٤١٠ - ١٤٢٠هـ)، دراسة موضوعية فنية، تأليف وفاء إبراهيم السبيل، ط١، ١٤٢٤هـ.

* النغم الحزين، شعر علي أحمد النعمي، منشورات النادي الأدبي في الباحة، برقم (٢٢)، ط١، ١٤٢١هـ، / ٢٠٠٠م.

* قسمات وملامح، شعر أحمد علي النعمي، منشورات النادي الأدبي في جازان، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

* أولئك آبائي، زهير الأيوبي، سلسلة الآباء العظماء، رقم(١)، ط١، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩م.

*صدر للأديبة ملك الحافظ، دمشق، سوريا:

- رأيت الله (مقالات)،مكتبة دار الأمين، ط٢، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- شمس لا تغيب، (مقالات)، دار الخير، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- مناجاة الله، (رسائل حب)، الجزء الثاني من كتاب رأيت الله (مقالات)، دار غار حراء، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

كتب وصلت إلى المجلة

- قلب من ذهب (مجموعة قصصية)،دار الثقافة، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

* صدر للأديب د. محمد الحضيف عن دارالبراء بالرياض، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م:
- موضي .. حلم يموت تحت الأقدام (رواية).
- ريمي .. حب أول (مجموعة قصصية) .

* صدر للأستاذ المربي جودت علي أبو بكر عن دار طويق بالرياض ثلاثة كتب جمعت بين التربية والعلم والأدب هي :
- التربية والحب، المكتبة المدرسية تربية وتعلم، الإذاعة المدرسية .. دراسة تربوية ومواد مختارة وموثقة.

* على استحياء، (ديوان)، صلاح بن هندي، مطبعة الأحساء الحديثة، السعودية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* متعة الحديث، (كلمات مختارة)، عبدالله محمد الداوود، توزيع مؤسسة الجريسي بالرياض، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

* صدى البهجة، (ديوان)، د.عبدالله الصالح العثيمين، دار العلوم بالرياض، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* شعر الأسر والسجن في الأندلس، (جمع وتوثيق ودراسة)، د. بسيم عبدالعظيم إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

* قصائد منتفضة، (ديوان)، مصطفى محمد الغماري، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط١، ٢٠٠١م.

* قصائد بشكل آخر، (ديوان)، سعود بن عماش، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، الرياض.

* ألحان ضمير، (ديوان)، محمد حسين علي، سلسلة الإبداع رقم (١٩)، عن مؤسسة الإبداع للثقافة والآداب والفنون / صنعاء، اليمن، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* الأدب الإسلامي .. مبادئه وأهدافه، لزهر بن عيسى، مكتبة دار المستقبل، حلب، سوريا، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

* النص الشعري العربي المعاصر ...، عبدالحفيظ بورديم، دار البشائر، تلمسان، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢م.

* قصائد من الكويت، (ديوان)، ندى الرفاعي، إصدار جمعية بيادر السلام النسائية، الكويت، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

* من إصدرات نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م:
- بيادر، دورية ثقافية إبداعية فصلية، العدد (٣٩)، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- للإسلام تغريدي، شعر، د.مطلق بن محمد شايع عسيري.
- حواف تكتنزه حمرة، مجموعة قصصية، تأليف إبراهيم محمد شحبي.
- مبدعون من عسير في القصة القصيرة، تأليف ممدوح القديري.

* من تأليف عبدالله بن إبراهيم الهويش:
- ألوان من الفكر .. بحوث ومقالات، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، الرياض.
- محكمة الضمير، مجموعة مقالات أدبية وفكرية، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، الرياض.
- من رواد التعليم والقضاء الشيخ إبراهيم عبدالله الهويش، ط١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م ، الرياض.

* أسرار الرماد، شعر، فيصل عبدالله البريهي، مركز عبادي للدراسات والنشر، ط١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، صنعاء، اليمن .

* دور العلماء في إصلاح المجتمع زمن الحروب الصليبية ، د. أحمد عدوان ، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

* بيضة الديك ، نقد لغوي لكتاب (الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة) ، تأليف يوسف الصيداوي ، المطبعة التعاونية .

* في سلسلة كتاب الأمة ، الدوحة ، قطر ، صدر :
- لا إنكار في مسائل الخلاف، د. عبدالسلام المجيدي، ربيع الأول ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، د. معتصم مصطفى ، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

المجلة العربية والأدب الإسلامي



تعد المجلة العربية (ثقافية شهرية) من المجلات الرائدة في عالم الفكر والثقافة في العالم العربي ، وهي تحظى بانتشار واسع وتتميز بالالتزام والأصالة العربية ، والاعتدال في طرح الرؤى الفكرية والأدبية في الإطار الإسلامي .

وقد حظي الأدب الإسلامي إبداعا ودراسة ونقدا برعاية المجلة منذ نشأتها، وبرعاية خاصة من رئيس تحريرها الأستاذ حمد القاضي (عضو الشرف في الرابطة)، فنشرت التعريف برابطة الأدب الإسلامي ، ولقاءات مع د. عبدالقدوس أبو صالح، ود. حسن الهويمل.

كما نشرت في عدديها ٣١٠ و ٣١١ مقالين بعنوان رابطة الأدب الإسلامي .. هموم وتطلعات بقلم الأستاذ الأديب محمد الجلواح وذلك في فضاءاته التي يكتبها في المجلة باستمرار.

الجسور

صدر العدد الأول من مجلة (الجسور) في جمادى الأولى ١٤٢٤هـ، وهي مجلة إسلامية فكرية شاملة بإشراف د. عوض بن محمد القرني ، ورئاسة تحرير الأستاذ عادل باناعمة. حيث احتوى العدد الأول مقالا بعنوان : قراءة في أسلوب الرافعي لرئيس التحرير ومقالا للأديبة الإسلامية المعروفة سهيلة زين العابدين بعنوان : حوار الحضارات، بالإضافة إلى عدد من التحقيقات والحوارات وتضم هيئة التحرير من أعضاء الرابطة الأستاذ مهدي أحمد الحكمي.



العنوان: السعودية - جدة - هاتف وفاكس : ٢٢٤٠٣٦٦

الحج والعمرة

مجلة الحج والعمرة التي تصدر عن وزارة الحج في المملكة العربية السعودية تولي الأدب الإسلامي عناية خاصة، وقد اهتمت بشكل ملحوظ منذ انطلاقتها الأخيرة في شكلها الجديد ومضمونها المتميز بآداب الشعوب الإسلامية غير العربية خاصة. كما خصصت قسما من المجلة لنشر موضوعات باللغة الإنكليزية.

ففي العدد الثاني عشر لشهر صفر ١٤٢٤هـ، من السنة (٥٨)، نشرت المجلة دراسات متعددة عن أدب الرحلات إلى الحج والحرمين الشريفين، كما تابعت بالتغطية أعمال المؤتمر الذي عقد في مكة المكرمة عن موضوع (الحج في آداب الشعوب الإسلامية)، ومن موضوعات العدد: عادات الحج في جزيرة فرسان، والحج في الراوية السعودية، والحج في روايات أفريقيا الغربية، والحج في الرواية المصرية، والأدب الملايوي، بالإضافة إلى حوار مع المفكر الياباني المسلم (موتو) وغيره من الموضوعات ذات الصلة بالأدب الإسلامي بشكل مباشر أو غير مباشر .

العنوان : ص.ب ٤٢٨٨- جدة ٢١٤٩١ - السعودية.

المنهل

خصصت مجلة المنهل ملفا خاصا لتأبين رئيس تحريرها الأستاذ الأديب نبيه عبدالقدوس الأنصاري - رحمه الله - وذلك في عددها (٥٨٦) الصادر في ربيع الآخر/ جمادى الأول ١٤٢٤هـ.

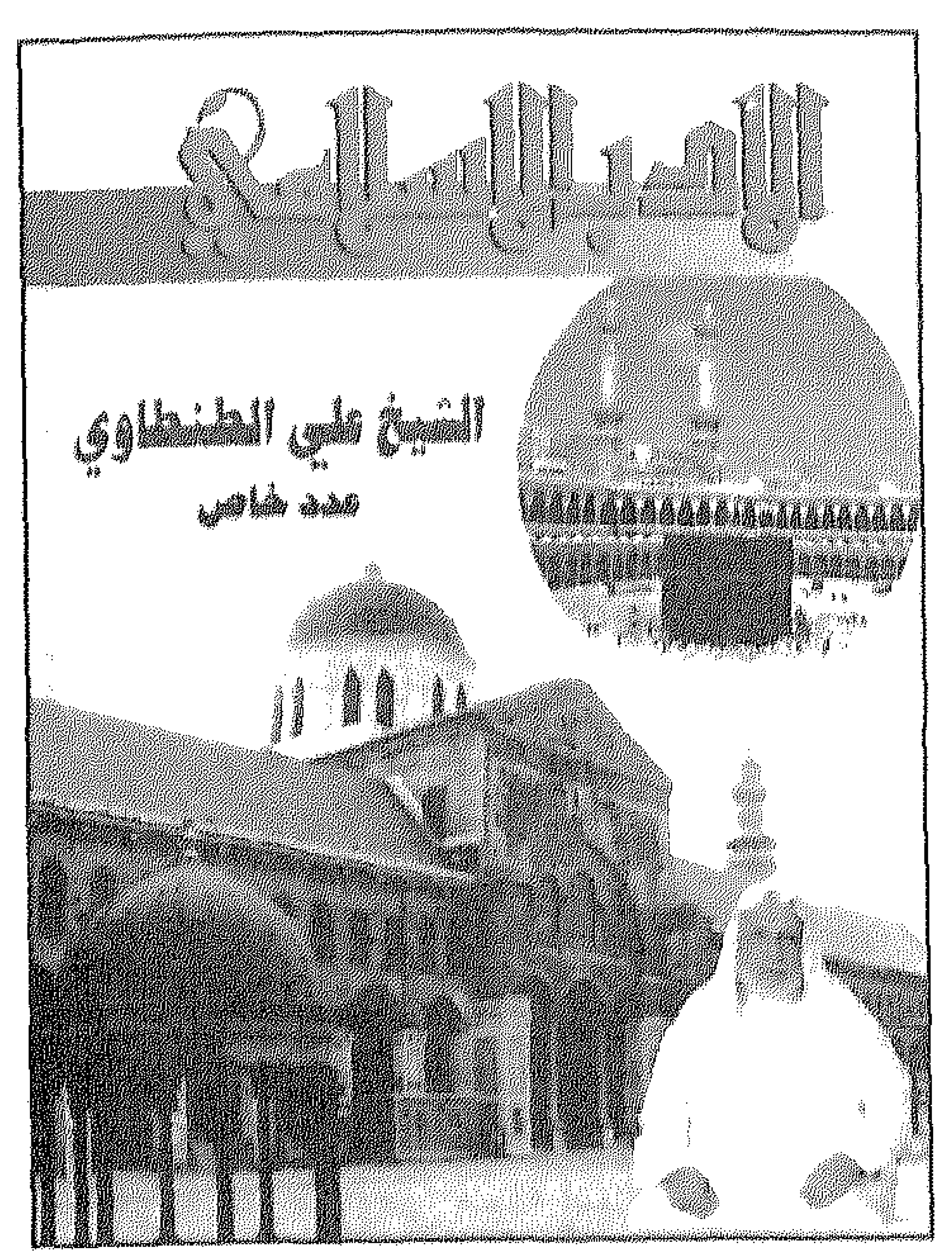
وضم الملف الصفحات من ١ - ٦٩ حيث تحدث ثلة من الأدباء والعلماء والمفكرين عن الأديب الراحل ودوره في تطوير مجلة المنهل لتبقى في مقدمة الدوريات التي تصدر على الساحة المحلية والعربية.

وكتب د. عبدالقدوس أبو صالح -رئيس الرابطة- كلمة مؤثرة بعنوان / وهل ينبت الخطي إلا وشيجه/ أشاد فيها بالدور الرائد لمجلة المنهل ومؤسسها الأديب الكبير عبدالقدوس الأنصاري، ثم الابن نبيه عبدالقدوس الأنصاري، وتمنى للحفيد الأديب زهير بن نبيه الأنصاري كل التوفيق.

العنوان: ص.ب ٢٩٢٥ - جدة ٢١٤٦١ - السعودية.



قالوا عن العدد الخاص بالشيخ علي الطنطاوي



• فقد تلقينا ببالغ الشكر والتقدير نسخة من مجلة الأدب الإسلامي عدد خاص عن الشيخ علي الطنطاوي التي تفضلتم بإرسالها إلينا ، وإني لعلى ثقة أن أساتذة الجامعة وباحثيها وطلابها سيستفيدون من الأبحاث المتضمنة أعظم الفائدة بإذن الله تعالى .

أ. د / حسن محمود عبد اللطيف الشافعي

رئيس الجامعة الإسلامية العالمية

في إسلام اباد / باكستان

• يسعد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة أن تهنئكم بصدور العدد الخاص من مجلة (الأدب الإسلامي) عن الشيخ علي الطنطاوي ، وتشكر لكم إهداءكم إياها نسخة منه . إن هذا العدد وثيقة أدبية تاريخية عن شخصية إسلامية علمية ثقافية أدبية ، كان لها عطاؤها الغني المتميز في الأدب العربي الإسلامي ، وفي الدعوة الإسلامية ، وفي الكتابة والتأليف ، مما تستحقون عليه بالغ التقدير وخالص التهنئة .

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

الرباط - المغرب

• دأبت (الأدب الإسلامي) على إصدار أعداد خاصة بأدبائنا الأفاضل رحمهم الله ، وآخر عدد (٣٥) عن الشيخ على الطنطاوي رحمة الله عليه ، وهذه سنة حميدة أشيد بها ، لأن هذا الجيل أشد حاجة إلى (قدوة) أو (أنموذج قدوة) إن صح التعبير ، وأعترف كم تأثرت بالعدد الخاص عن الشيخ الندوي رحمه الله، خاصة في ورعه وزهده . شبابنا يعاني (أزمة القدوة) ، ويعذر في ذلك إلى حد ما ، فماذا تقدم له وسائل الإعلام شرقيها وغربيها ، خاصة مع التقدم التكنولوجي ويسر وسائل الاتصال ؟! وتكفي إطلالة على غرف أغلب شبابنا ، لنجدها مزينة بصور (نجوم) الفن والرياضة ، الذين يتخذونهم قدوة .

نبيلة عزوزي- المغرب

• نشكركم بداية على العدد المزدوج الخاص بالشيخ علي الطنطاوي من مجلة الأدب الإسلامي الذي أرسلتموه لنا ، وكما يبدو جلياً فإن موضوعات العدد ومحتوياته قد انتقيت بعناية فائقة ، وكلنا أمل بأن يستمر التواصل بيننا لخدمة قضايانا المشتركة .
وتقبلو خالص تحياتنا وتقديرنا .

د. محمد بن عبد العزيز الشريم

رئيس تحرير مجلة الأسرة-الرياض

• يسعدني أن أعبر لكم عن شكري العميق لجهودكم الكريمة في خدمة الأدب الإسلامي واللغة العربية مع إخوانكم في الرابطة ، كما أشكركم جزيل الشكر على العدد الأخير الخاص بالشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى - فقد كان عدداً ممتازاً نافعاً بإذن الله تعالى، ولقد أعطى لهذا الداعية الأديب حقه في التكريم والإشادة بأعماله ، ليكون قدوة صالحة للأدباء الشباب السائرين في طريق الأدب الإسلامي الهادف .

د. بن عيسى با طاهر

جامعة الشارقة - كلية الآداب والعلوم .

يداهمني إحساس غريب مع كل عدد

كلما قرأت موضوعات عدد من أعداد مجلتكم الغراء داهمني إحساس غريب ، فأقرر الكتابة إليكم لأترجم هذا الإحساس في شكل تعبير لغوي أفسر فيه دواعي هذا الإحساس ، لكن شاء الله أن أتأخر في الكتابة . لكني بعدما قرأت موضوعات العدد الأخير من مجلة (الأدب الإسلامي) العدد ٣٣ قررت أن أكتب إليكم ، ولكني آمل أن تجدكم هذه الرسالة وأنتم تنعمون بالصحة والهناء وأملي أن أعبر لكم عما دفعني لمراسلتكم .

إن متابعتي لمجلتكم الغراء ، جعلني أقف على بعد يعد ثابتاً وجامعاً بين موضوعات المجلة ، بل أصبح أرضية صلبة تؤسسها هذه الموضوعات ، التي نلمس أنها تتوخى استنبات ثقافة التوجيه والإرشاد والتربية ، مع اعتماد آليات إبداعية ونقدية وفنية ، ولهذا فإن ما يثيرني في النصوص الإبداعية بشكل خاص (شعر ، قصة ، مسرح) ، التي تنشرها المجلة ، هو أنها نصوص تستند إلى موجهات أخلاقية متناغمة ومتجانسة مع مقومات فنية إبداعية ، فيغدو بذلك الإنجاز النصي الإبداعي تجربة فنية يشتغل فيها ، وبنوع من التعالق ، المعيار الأخلاقي بالبناء النصي فنياً ودلالياً ، وهذا ما يجعل النصوص الإبداعية ، نصوصاً أدبية هادفة ممتعة .

عبد الرحمن محمد التمارة – المغرب

قرأت إعلانا في مجلة المجتمع الكويتية عن مجلة الأدب الإسلامي ، وفرحت كثيراً بأن توجد مجلة تهتم بالأدب الإسلامي ، ونحن في الجامعة وكذلك الطلبة في قسم الأدب العربي ، بحاجة إلى مثل هذه المجلة الإسلامية التي تهتم بالأدب الملتزم .

أخوكم / عماد الهلالي

أصفهان – إيران

لن أنسى تلك اليد الحنون

إن مجلة الأدب الإسلامي تلك المجلة ذات الذوق الرفيع والإخراج البديع لهي واحة خضراء وارفة الظلال يسعدنا أن نستظل بوارف ظلالها في هذا الزمن والأوان الذي ملئت فيه الساحة الأدبية والفكرية بالأفكار المبتذلة والرخيصة وكثرت فيه الأقلام المأجورة .

إن مجلة الأدب الإسلامي عمل أدبي وإسلامي عظيم ، جزى الله من كان سبباً في تأسيسها ومن نهض وقام بأعبائها في الماضي والحاضر .

لقد تعرفت بفضيلة مولانا وشيخنا الداعية الكبير الإمام الراحل سيدي الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي من قراءتي لكتبه النافعة أولاً ثم لقيته شخصياً في منزل السيد د. عبدالله عباس الندوي بمكة المكرمة وكان ذلك في أجواء عام ١٤١٦هـ وألقيت بين يديه حينها أبياتا ركيكة لعلي أرسلها للمجلة بعد تنقيحها في وقت لاحق .

لست أنسى ولن أنسى تلك اليد الحنون التي ربتت على كتفي وذلك الوجه المبتسم الذي لاقاني بعد سماعه تلك الأبيات، ثم ذلك المشهد المؤثر عندما احتضنني فضيلته وعانقني شعرت أنني أسعد إنسان حينها، فما كنت أتصور أن ألتقي بفضيلته وأنى لمثلي أن يلقى رجلاً بهذه المثابة والمكانة، ولكنه التوفيق الرباني .

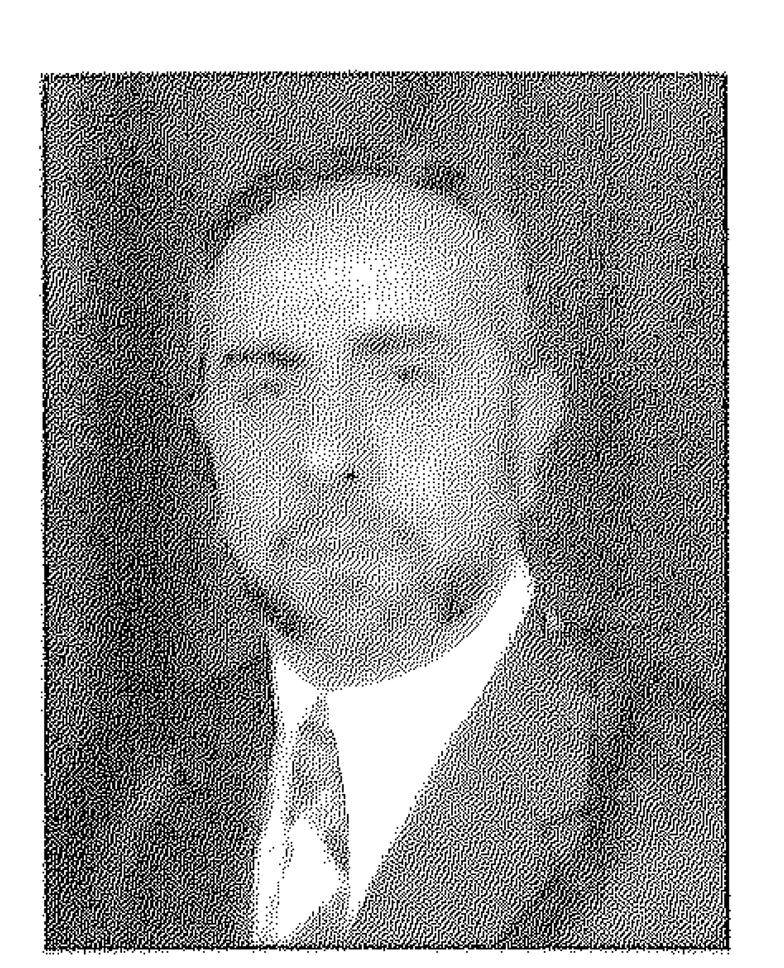
محمد أبوبكر عبدالله با ذيب

بكالوريوس شريعة وقانون

جامعة الأحقاف – كلية الشريعة

بحضرموت

البعد الأخلاقي للعمل الأدبي



عبد الرزاق دياربكرلي*

كثيراً ما ينتهي العمل الأدبي قصة كان أم مسرحية أم قصيدة شعرية بنهاية تربوية ذات مضمون أخلاقي،وهذا ما نلمسه في مختلف الأعمال الإسلامية منها وغير الإسلامية على حد سواء، والشواهد على ذلك كثيرة لا يحصيها عد، فالشرطي يدخل في آخر المسرحية ليضع حداً لإجرام المجرم ويلقي عليه القبض، أو تنزل بالظالم مصيبة في آخر العمل الأدبي بأن تنقلب به سيارته، أو يسقط عليه جدار، أو تأتيه رصاصة طائشة تقتله، فترتاح البلاد والعباد منه ومن آثامه وشروره، ويأتي ذلك على أنه نوع من الانتقام المنطقي على أفعاله وتعديه وظلمه، وتلك بلا شك نتيجة يحسن أن ينتهي إليها العمل الأدبي الإنساني بوجه عام حتى يصل المشاهدأو القارئ إلى النهاية المنطقية التي يمكن أن يتقبلها العقل الإنساني والعاطفة البشرية، أياً كان هذا الإنسان، وأياً كانت نظرته إلى الحياة والقيم ؛ حيث لابد من انتكاسة الشر، وهزيمته، وانتصار الخير وفوزه، إذ إنه من المعهود ألا يبقى الشر منتصراً حتى النهاية .

ومما لا شك فيه أن هذا الأمر لا مشكلة فيه ولا غرابة ولا جدال، ولكن المشكلة تكمن في ملاحظة الجانب الأخلاقي ليس في النهاية فحسب ؛ بل ملاحظته كذلك في أثناء العمل الأدبي ذاته .

ففي كثير من الأعمال الأدبية نجد مسرحية مثلاً تقع في مشاهد أو فصول، ويستمر عرضها لأكثر من ثلاث ساعات، تكون مشتملة على قدر هائل من البذاءات والهبوط، يلوث بها المؤلف الأذواق، ويهبط من خلالها بالمشاعر إلى حد الإسفاف ، ثم تأتي النهاية الأخلاقية في خمس أو عشر دقائق مشتملة على صحوة الضمير وانتصار الفضيلة وإلقاء القبض على المجرم !!! فهل تقوى هذه النهاية التربوية الأخلاقية اليسيرة على غسل ذلك الكم الكثير من السقوط والهبوط الذي تركته المسرحية في نفسية المشاهد أو القارئ وأثرت بها في ذوقه وقيمه وثقافته ومشاعره .

في هذه الناحية فإن الأدب الإسلامي بخاصة، وكل أدب رفيع بعامة، يختلف كل الاختلاف عن سائر الأعمال الأدبية العامة السائدة بين أوساط الناس، إنه يختلف عنها ليس في النهاية التربوية ؛ فذلك أمر مفروغ منه، وهو قاسم مشترك بين الأعمال الأدبية على اختلاف أنواعها، وهو أمر مجمع عليه، إلا أنه يختلف عن غيره من أنواع الأدب في أنه أدب يراعي الجوانب الأخلاقية والأهداف التربوية في كل جوانب العمل الفني بما في ذلك تسلسل الأحداث وتعاقبها، وفي جزئيات العمل الأدبي، وفي طريقة تناولها، بحيث تكون كلها نظيفة في صورها وفي ألفاظها وفي نسيجها الفني والإبداعي . ولو اضطر المؤلف في موقف أدبي واقعي معين إلى إيراد شيء من ذلك لتصوير الهبوط والسقوط فيتم عرضه في أضيق الحدود، وبأقل الإثارة للغرائز مع تغليفها بالبعد التربوي في أثناء العرض ذاته .

فالقرآن الكريم عندما يقص علينا قصة سيدنا يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز التي أخذت تراود فتاها عن نفسه يقول جل شأنه:﴿ وَغَلَّقَت الأَبْوَاب وقَالَتْ هيْتَ لَكَ ﴾ فإن هذا القول الجليل لم يثر فينا الغرائز والمشاعر الهابطة لكونه موجزاً، ومقتضباً، وداخل سياق أخلاقي، حيث تبعه فوراً قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ ثم جاء المشهد الآخر الأشد عنفاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ فأعقبه مباشرة قوله تعالى: ﴿ لَوْلا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ .

فكما أن الأديب يراعي الجانب الأخلاقي في نهاية العمل الأدبي فإن مراعاة هذا الجانب مطلوبة منه في أثناء العمل الأدبي أيضاً من البداية حتى النهاية على حد سواء، أما ما تطلبه الضرورة الفنية من مواقف الهبوط أوالإسفاف بهدف تصوير الواقع فإنما يكون موارياً ومغلفاً بما ينفي عنه تهمة القصد إلى الإثارة قصداً، وبما يوظف تلك الإثارة ويجعلها منسجمة مع النسيج العام للعمل الأدبي أياً كان .

---

* كاتب سوري، باحث تربوي وناقد أدبي

قسيمة اشتراك

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة ....

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية – حساب المجلة

بمبلغ ....

بيانات المشترك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل:.................. هاتف العمل:..................

ملاحظات أخرى: ....

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً .
خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة لحساب المجلة رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض، وترسل صورة الحوالة مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية – الرياض ١١٥٣٤ – ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ – ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

قسيمة اشتراك (هدية - تبرع)

سعادة رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي:

أرجو تسجيل اشتراكنا في مجلة الأدب الإسلامي لمدة .... يرسل هدية إلى:

الاسم:..

العنوان:..

ومرفق طيه شيك باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية – حساب المجلة

بمبلغ:..

بيانات طالب الاشتراك

الاسم: ....

الجنسية: ....

الوظيفة أو العمل: ....

العنوان: ....

هاتف المنزل:.................. هاتف العمل:..................

عدد النسخ المطلوب الاشتراك فيها: ....

المبلغ المدفوع:..

قيمة الاشتراك السنوي

للأفراد: في البلاد العربية ما يعادل (١٥) دولاراً.
خارج البلاد العربية ما يعادل (٢٥) دولاراً.

للهيئات والمؤسسات: ما يعادل (٣٠) دولاراً.

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصرفي معتمد. أو تودع حوالة لحساب المجلة رقم (٣/٨٠٠٨) في شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فرع العليا العام (١٦٦) بالرياض، وترسل صورة الحوالة مع قسيمة الاشتراك على عنوان المجلة:

السعودية – الرياض ١١٥٣٤ – ص.ب ٥٥٤٤٦ هاتف ٤٦٢٧٤٨٢ – ٤٦٣٤٣٨٨ فاكس ٤٦٤٩٧٠٦ جوال ٠٥٣٤٧٧٠٩٤

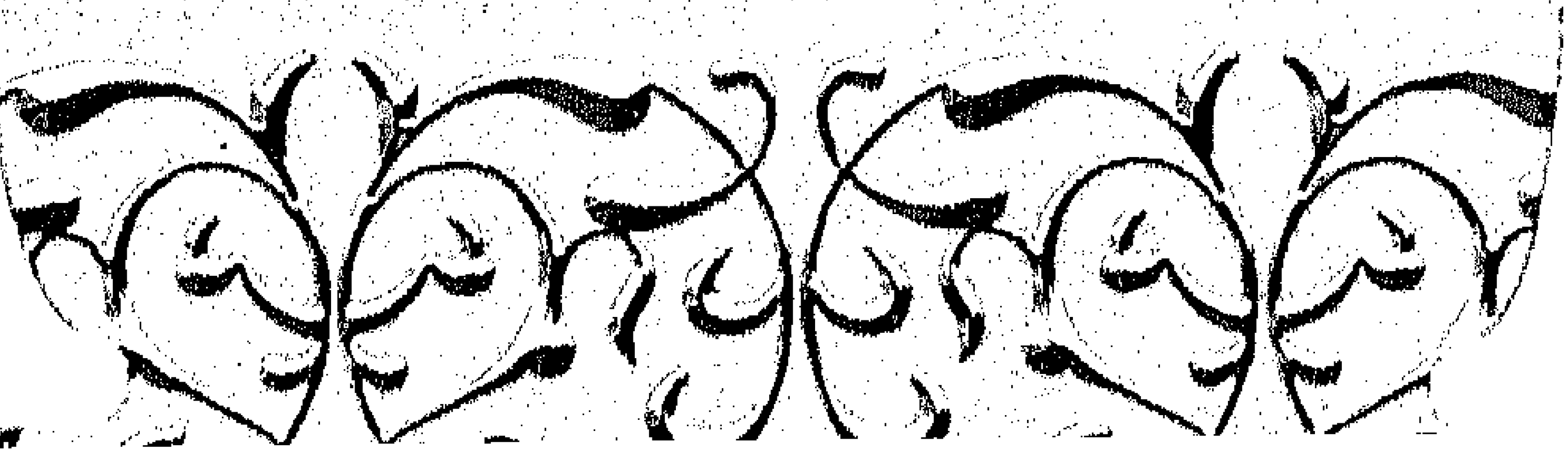
أخي القارئ

في مجلة الأدب الإسلامي:

- الإبداع والنقد.
- الأصالة والتجديد.
- منبر الأدباء الإسلاميين.
- مكتبة الأدب الإسلامي.
- رسائل جامعية في الأدب الإسلامي.
- الأقلام الواعدة.
- مسيرة الأدب الإسلامي ورابطته العالمية.
- اشتراكك في المجلة دعم للأدب الإسلامي ورابطته العالمية.

أخي القارئ

- إهداء المجلة إلى صديق لك يجعله من أنصار الأدب الإسلامي.
- إهداء المجلة إلى أحد المراكز الإسلامية يتيح لعدد كبير من القراء أن يطلعوا على الأدب الإسلامي ومسيرة رابطته العالمية.
- إهداء مجلة الأدب الإسلامي من العلم الذي ينتفع به.




ArabsCall
قال صلى الله عليه وسلم :
"من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن
لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" حديث شريف
كن شجرة مثمرة....
وسباقاً لفعل الخير
اهدِ آيات من القرآن الكريم منتقاة بعناية من أهل العلم الى جوال كل من تراه مقصرا بـ
صلة الرحم
حسن الخلق
التوبة من الزنا
كثرة الخصام مع الاخوان
الخوف من الظلم
حقوق الجار
البعد عن الحسد
بر الوالدين
التوبة من شرب الخمر
ترك الصلاة
التوبة من أكل الربا
لتشغيل خدمة
الـ ٧٠٠ الإتصال على
الهاتف الجوال ٩٠٢
الهاتف الثابت ٩٠٧
أي استفسار الرجاء الإتصال على
هاتف ٤١٢٥٥٠١
أفكار هدامة
فتن
عبر اتصالك بالرقم ٧٠٠٤٧٧١٧